أعلام الوعي

بقلم:

هشام الصباغ
باحث لغوي

تراجم نشرت في مجلة "الوعي الإسلامي" الكويتية

من العدد 634 إلى العدد 711

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في دولة الكويت

منذ 1385هـ/ 1965م

ملاحظة: رتبت المقالات بحسب التسلسل الزمني لنشرها.

هشام الصباغ
باحث لغوي



العلامة محمد عبداللطيف السبكي

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

انطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

نسبه ومولده

● ٤٤ عاما، بين تخرجه في الأزهر ووفاته، قضاها في خدمة العلم والدين.. جند نفسه لتفسير الدين كما أنزله الله.. آخر من تولى منصب شيخ مذهب الحنابلة في الأزهر.. إنه الشيخ العلامة محمد عبداللطيف السبكي.

ولد الشيخ السبكي في ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٦م، في قرية «سبك الضحاك» بمحافظة المنوفية، ومنها جاء لقبه «السبكي»؛ نسبة إلى اسم القرية.

نشأته ومناصبه

● نشأته الريفية أضفت عليه حالا من التأمل والصفاء والنقاء، فشب محبا للعلم، شغوفا بالقراءة والتحصيل.

● تخرج الشيخ السبكي في الأزهر الشريف عام ١٩٢٥م، وعين فور تخرجه مدرسا بمعهد الزقازيق الديني، ثم نقل أستاذا في كلية الشريعة عام ١٩٣٥م، وفي العام نفسه عين عضوا في لجنة الفتوى (حين كان الإمام الراحل الشيخ المراغي شيخا للأزهر)، ثم تولى رئاستها، واتسع نشاط اللجنة في عهده وأصبحت تتلقى الفتاوى وترد عليها.

● حصل على عضوية هيئة كبار العلماء، واختير مفتشا عاما للعلوم الدينية والعربية في الأزهر سنة ١٩٤٧م، وفي عام ١٩٥١م عاد إلى منصبه أستاذا في كلية الشريعة، ثم عميدا لها، وظل يعمل في الكلية حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥٩م.

● تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وترأس لجنة التعريف بالإسلام، وعين عضوا في جماعة نشر الثقافة في الأزهر، وفي السنوات الأخيرة عين رئيسا للجنة إحياء التراث الإسلامي والعربي وعضوا بلجنتي الخبراء وموسوعة عبدالناصر للفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

شيوخه وتلاميذه

● ومن خلال الاستقراء قد يكون الشيخ درس على أيدي كبار مشايخ عصره، مثل: الشيخ عبدالمجيد سليم (مفتي مصر وشيخ الأزهر) وحسنين مخلوف (مفتي مصر) ومحمد الظواهري (شيخ الأزهر) والشيخ المراغي (شيخ

الأزهـر) والشيخ عـلام نصار (مفتي مصـر) والشيخ عبدالرحمن قراعة (مفتي مصر). ولعل كان من تلامذته الشيخ محمد خاطر (مفتي مصر) والشيخ عبداللطيف حمـزة (مفتي مصر)، والشيخ جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهـر) والشيخ محمد عبدالرحمن بيصار (شيخ الأزهر).

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

هدفت مجلة «الوعي الإسلامي» منذ نشأتها أن تكون منبرا لكل قامة علمية سامقة، وكان العلامة السبكي ضمن كوكبة العلماء الذين أضاءت محابرهم صفحاتها، فكان مع عددها الثالث بمقال حمل عنوان «إشراقة الإسلام» (السنة الأولى - العدد الثالث - ربيع الأول - ١٣٨٥هـ/يوليـو ١٩٦٥م). ولتزاحم أقلام نظرائه على صفحات المجلة، قسّم مقاله الثاني (أحمد بن حنبل)، فنشر الجزء الأول منه (السنة الأولـى - العـدد ١١ - ذو القعدة - ١٣٨٥هـ/فـبـرايـر ١٩٦٦م)، ونشر الجـزء الثاني فـي (السنة الثانية - العدد ١٤ - صفر - ١٣٨٦هـ/ مايو ١٩٦٦م). أما مقاله الأخير (من ملامح النبوة والرسـالـة) فنشر في (السنة الثالثة - العدد ٢٥ - محرم - ١٣٨٧هـ/أبريل ١٩٦٧م).

«إشراقة الإسلام»

● عـنـون مقـالـه الأول فـي «الـوعـي الإسلامي» بـ «إشراقة الإسلام كانت بالدعوة إلى العلم».. أراد من خلاله أن يقـول: «إن الحيـاة الجديدة التي هبط جبريل يحمل مصباحها إلى محمد ﷺ هي حياة العقل الراشد، والمعرفة الفياضة، والاهتـداء بالعلم فـي آفـاق هـذه الـدنيـا، أو هـي حياة الوعى الإنساني في أكمل أطـواره.. أو هـي حياة الإسلام وكفى..!». وبعد هذا التقرير يوضح أن القرآن: «يشيد بالقلم، لأنه الأداة الحتمية لقيد العلم، وتدوين بنوده، وضبط شوارده، ليكون عماد الإنسانية».

«أحمد بن حنبل»

● مقاله الثاني كان باسم «أحمد بن حنبل»، تناول في جزئه الأول مولد الإمام أحمد، ونشأته، موضحا انكبابه على تحصيل العلم، يدفعه في ذلك «حفظ نـادر، وفهم ممتاز، ورغبة لا يلحقها ملل، وتوفيق لم يعهد مثله إلا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله، وقـيـضـهـم لحـفـظ الـسـنـة، وضـبـط الشريعة وصيانة الأحكام». ثم تناول مكانته في الفقه وعلم الحديث، قائلا: «استطاع أحمد أن يجمع من الحديث خمسين ألفا وسبعمئة ألف حديث، ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير حتى صفاها من الدخيل، واستقر به الأمر على نحو من أربعين ألفا».

● وفي جزئه الثاني تناول تهمتين لحقتا بالإمام (فقه الإمـام أحمد لا يتسع لحاجات الناس والتزمت والجمود)، ووصفهما بأنهما «كاذبتان»، متعجبا منهما وممـن يتحدث بهما، واصفا إياهم بـ«بعض المتعلمين. وهـؤلاء في حاجة إلى الإرشاد والتوجيه».

«من ملامح النبوة والرسالة»

● فـي مقـالـه الـرابـع يـوضـح الشيخ السبكي أن النبـوة والـرسـالـة كانت لهما إرهاصات ومقدمات قبل الوحي، قـائـلا: «لـم تكن نـبـوة الأنـبـيـاء، ولا رسـالات الرسل، عليهم جميعا صلاة الله وسلامه، من قبيل الوحي المفاجئ كما يتوهم البعض، بل كـانـت بعد مقدمات من جانب الله تعالى تتعلق بالإنسان الذي سيختاره الله لنبوته، أو لرسالته».

ويوضح أن الله قد أجرى سنته «على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومه، ليكونوا على معرفة بشخصيته، وعلى علم بسيرته، وعلـى خبـرة بأصوله، وبكل ما يدور حوله فيهم».

إرثه العلمي

● ترك الشيخ السبكي سجلا حافلا مـن الـتـراث الإسـلامـي وعـددا كبيرا مـن المؤلـفـات، أشـهـرهـا: «فـي ريـاض الـقـرآن والـهـجـرة والـسـيـرة النبوية والجهاد، والحلال والحرام»، «نغمات القرآن» و«في ظلال الكعبة والهجرة النبوية». كما أصدر قاموسا «عربي - عربي» على غرار «القاموس المحيط» و«المنتخب مـن الـقـرآن» و«الموسـوعـة الدينية» (أطلقوا عليها لاحقا اسم «مـوسـوعـة جـمـال عـبـدالـنـاصـر»)، وكتاب «المنتخب من السنة»، كما ترك عددا كبيرا من المقالات في مجلات: «الوعي الإسلامي»، «منبر الإسـلام»، «لـواء الإسـلام»، «الأزهـر» و«الشبان المسلمين»، وجريدة «الأهرام»، والعديد من الأحاديث المسجلة في التلفزيون والإذاعة في برامج: «نور على نور»، «رحاب الإيمان» و«رأي الدين».

وكانت مجلة «منبر الإسلام» قد اتسعت للكثير من المساجلات بينه وبين عباس العقاد.

السبكي والقدس

● يذكر نجله د. هـانـي السبكي أن الشيخ في أواخر حياته كان منكبا على إنجاز كتاب عن القدس أراد أن يتوج بـه مسيرته فـي التأليف، وهـو كتاب «القدس»، انتهى من فصوله ولم يتبق سوى الفصل الأخير.

وفاته

● توفي الشيخ يوم ٣١ مارس من العام ١٩٦٩م، عـن عمر ٧٣ عـامـا، ودفـن بمسقط رأسه في محافظة المنوفية.

هشام الصباغ
صحفي مصري



محب الدين الخطيب العالم الكبير والكاتب الحجة

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ من ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني.. أبوه كان أمينا لدار كتب الظاهرية وأحد وعاظ الجامع الأموي بدمشق، كما تولى التدريس فيه.. إنه محب الدين بن أبي الفتح بن عبدالقادر ابن صالح بن عبدالرحيم بن محمد الخطيب، العراقي الأصل (من بغداد).

■ أسرته هاجرت إلى حماة، ونزح فرع منها إلى مدينة دمشق، التي ولد فيها في حي القيمرية في الشهر السابع من سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م.

■ نشأ في بيئة محافظة، فأسرته ذات دين وخلق وعلم. كان محب الدين صغيرا في حجر أمه ساعة موتها في فلاة بين مكة والمدينة بريح السموم، وهي قافلة من فريضة الحج في ركب المحمل الشامي.

■ عند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده (وهو في السابعة من عمره)، بمدرسة الترقي النموذجية، وحصل منها على الابتدائية، ثم التحق بمدرسة مكتب عنبر.

دور الجزائري بحياته

■ بعد سنة من التحاقه بمدرسة مكتب عنبر توفي والده، فتولاه الشيخ طاهر الجزائري، الذي كان مشرفا على المكتبات والمدارس في بلاد الشام، ووجهه نحو العلم وملازمة العلماء، وغرس فيه حب الدعوة إلى الله، وحرضه على إيقاظ العرب ليقووا على حمل رسالة الإسلام.

■ وعن الشيخ طاهر الجزائري يقول العلامة محب الدين الخطيب: «من الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي».. «ثم قيض الله لهذا اليتيم الضعيف أستاذا في أسمى مراتب الإنسانية، فأخذ بيده، وأحسن توجيهه في الطريق الذي هداه الله إليه في الحياة... فهو أبوه الروحي».

«عبدالله باشا العظم»

■ أوصاه الشيخ طاهر الجزائري بالتردد على العلماء: أحمد النويلاتي، وجمال الدين القاسمي، ومحمد علي

مسلم، في مدرسة عبدالله باشا العظم، حيث كانت لهم غرف. وفي هذه المدرسة تفتحت آفاقه العلمية، فقرأ فيها على النويلاتي ألفية ابن مالك، وأتقن تلاوة القرآن.

■ تردد فيها أيضا على حلقة شيخه الجزائري (حلقة دمشق) يستمع إلى رواد الفكر والإصلاح، كالشيخ طاهر والقاسمي والشيخ عبدالرزاق البيطار ومحمد كرد علي وسليم البخاري.. وغيرهم، وكان هو الاستثناء بينهم لصغر سنه، وكانت الحلقة محضنه الأساسي لصقل شخصيته ومنهجيته، لذا شكل على منوالها حلقة سماها «دمشق الصغرى» مع الأمير عارف الشهابي، و د. صلاح القاسمي، وصالح قنباز، وكان هو حلقة الوصل بين الحلقتين.

بين إسطنبول والقاهرة.. مرورا باليمن

■ في نهاية عام ١٩٠٥م، وصل إسطنبول، والتحق بكليتي الحقوق والآداب. صدمه جهل غالبية الطلاب العرب هناك بقواعد النحو والإملاء، فضلا عن الأدب والثقافة العربية، فأسس عام ١٩٠٦م، جمعية «النهضة العربية» وكان عمره وقتها ٢٠ عاما.

نشاطه باليمن

■ سافر إلى اليمن مرورا بالقاهرة، فلقي شيخه الجزائري وصديقه كرد علي، كما التقى عددا من قادة الرأي والعلماء كان على رأسهم الأديب التركي عبدالله بك جودت والسيد رشيد رضا ورفيق بك العظم.

■ وصل اليمن ١٩٠٧م، وهناك حرص على التواصل مع اليمنيين والتعرف على أحوالهم، فجدد وطور المدرسة الأميرية فيها، وطلب من زملائه التطوع للتدريس مجانا، وحث التجار على التبرع بأحذية وأقمشة لتوفير زي مدرسي للطلبة، فارتفع عدد الطلبة من ٣ إلى ٣٠٠ في أسبوعين.

■ عمل على إنشاء مطبعة وجريدة تنهض باليمن ثقافيا، فحث زملاءه على تأسيس شركة مساهمة لهذا الغرض وخاطب شركات آلات الطباعة للحصول على «كتالوجاتها»، لكنه لم يتمكن من إتمام المشروع.

المُعلم في فكر محب الدين

■ يؤمن أن المعلم هو المسؤول الأول عن نقل الأمة من حالة التخلف والجمود إلى حالة الرقي والتقدم، ولذلك ألف في هذه القضية كتابه «إصلاح الأزهر»، كما شارك في تجربة السيد رشيد رضا بإنشاء مدرسة «الدعوة والإرشاد»، التي كانت تهدف إلى إعداد الدعاة.

■ وصل القاهرة في أغسطس ١٩٠٩م، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حياته استمرت ٦٠ عاما ظهر فيها الجانب الثقافي والإعلامي أكثر من الجانب السياسي.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كان حديث الأستاذ محب الدين الخطيب عن شخصية عثمان ﵁ في حلقات عدة في برنامج «شخصيات إسلامية» على تلفزيون دولة الكويت، «واحدا» من دوافع مجلة «الوعي الإسلامي» لدعوته للكتابة عن تلك الشخصية.

■ بدأ سلسلته (ذو النورين) عن سيدنا عثمان ﵁ بترجمة موجزة، تناول فيها، نشأته، مبينا أنه «كان فيها إعداد من الله ليكون حجرا من الأحجار الأولى في بناء الإسلام»، ثم تناول إسلامه ومصاهرته النبي ﷺ وهجرته إلى الحبشة، ثم عرض إلى بعض جوانب أخلاقه وفضائله، مستعرضا قصته مع بئر رومة وشراءه الأرض لتوسعة المسجد النبوي، وتجهيزه جيش العسرة. ثم تحدث عن أيام خلافته، وكيف تولى أمرها، متوقفا بين يدي خطبته بعد توليته الخلافة، ومسألة محاباة أقربائه وتوليتهم، وأوضح موقفه ﵁ من عبيدالله بن عمر في حادث مقتل الهرمزان، وموقفه من أبي ذر الغفاري وإقامته في الربذة، ذابا عما ألقي عليه من افتراء، ثم تناول مسائل عدة أخرى.

تراثه العلمي

■ كان العلامة محب الدين الخطيب يجيد أربع لغات: العربية والتركية والفارسية والفرنسية، وترك مؤلفات إسلامية عدة تدل على عبقريته وموسوعيته، نذكر منها: «الحديقة» (١٤ جزءا، مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور والموضوعات)، «مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان» (بلغت ألف رسالة)، «الأزهر ماضيه وحاضره».

وله تعليقات على كتب عديدة، منها تعليقاته الرائعة على كتاب «العواصم من القواصم» لابن العربي المالكي (وهي أكبر وأهم من الكتاب).

وفاته

■ توفي عن ٨٣ عاما، قضاها في البحث والتحرير والتأليف، يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٨٩هـ/٣٠ ديسمبر ١٩٦٩م، بمستشفى الكاتب بالدقي بعد عملية جراحية.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٣٨ و٣٩ و٤١ و٤٣.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- «الأعلام» للزركلي.
٤- «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري».
٥- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

مالك بن نبي
ابن خلدون العصر الحديث.. وفقيه الحضارة

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ لم يستطع الغرب، الذي طالما نجح في إغواء كثيرين غيره، ومنهم معممون، وأبقى أيديهم – رضا – مغلولة بعنق حضارته، أن يسحر عينيه أو يسترهبه، رغم أنه قصد قلبه النابض ساعتئذ (باريس)، لكن بريق حضارته لم يأسر فكره أو يحرف بوصلته، التي تغيت نهضة إسلامية أصيلة، تبرئ أمته من سقم ألم بها فأقعدها؛ فهضم إيجابيات الحضارة الغربية، ولم تعم عاصمة النور عينيه عن رؤية سلبياتها.

■ أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين و«فيلسوف العصر» و«فقيه الحضارة» و«شاهد القرن».. إجمالا يمكن اعتباره امتدادا لابن خلدون؛ إنه مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي.

■ ولد مالك بن نبي مع الإشراقة الأولى لعام ١٩٠٥م، في مدينة قسنطينة الجزائرية لأسرة متدينة «فقيرة»؛ فأبوه كان موظفا، وأمه كانت تحيك الملابس لتساعده.

■ في تبسة، التي نقل أبوه إليها بحكم وظيفته، قضى معظم طفولته، فالتحق لأربعة أعوام بكتّاب لتحفيظ القرآن إلى جانب دراسته في المدرسة الفرنسية حتى أتم تعليمه الابتدائي والإعدادي. نبوغه وتفوقه في هذه السن مكناه من الحصول على منحة لمواصلة دراسته في قسنطينة، وفيها تعرف عن قرب على الثقافة الفرنسية.

■ قصد فرنسا بعدما أتم تعليمه الثانوي بغرض الانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية ليصبح محاميا، غير أن طلبه رفض، فتوجه إلى مدرسة اللاسلكي وحصل على شهادة مهندس كهرباء عام ١٩٣٥م.

تجربته الفكرية

■ في قسنطينة طالع كتابين كان لهما بالغ الأثر في حياته، هما «الإفلاس المعنوي هل هو للسياسة الغربية في الشرق؟» للشاعر الإسلامي المعروف أحمد محرم، و«رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده، ساعداه على رؤية أوضاع العالم الإسلامي في تلك الفترة، وقرأ كتاب «أم القرى» للكواكبي، كما تعرف على الإنجيل من خلال تردده على إحدى البعثات التبشيرية الإنجيلية، وناقش المبشرين في أدق الأفكار. وفي ١٩٢٨م، تعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس (رائد الحركة الإصلاحية ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

■ في باريس عاش مشكلات أمته ووطنه، وعمل صحفيا في «اللوموند»، وتعرف على «روح» الحضارة الغربية وأفكارها. وفي مارسيليا أشرف على نادي «المؤتمر الجزائري الإسلامي»، وشارك في تأسيس جمعية «الوحدة المغاربية» تحت إشراف الأمير شكيب أرسلان.

■ الثنائية الثقافية بين الحضارتين الإسلامية والغربية صاغت التكوين الفكري لمالك، وكانت لها انعكاسات واضحة في كتاباته، التي تميزت بالمزاوجة بينهما.. وكان أبرز مظاهرها زواجه من فرنسية، وإسلامها على يديه.

القاهرة.. والبحث عن التغيير

■ الذهاب إلى القاهرة ظل أملا يراوده، إذ كانت تحتضن وقتئذ قضايا التحرر والعروبة، ورآها احد مواقع التغيير في العالم الإسلامي. فيها أصدر كتابه الأول باللغة العربية (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة).

من أبرز أفكاره

■ القابلية للاستعمار: وهي جملة خواص اجتماعية تؤدي إلى استمرار الوضع المنحل للحضارة: «فهناك مجتمعات تعرضت للاحتلال العسكري لكنها مجتمعات غير قابلة للاستعمار، وفي المقابل توجد مجتمعات لم تتعرض للاستعمار لكنها قابلة للاستعمار».

■ تكديس منتجات الحضارة: يرى أنه «لا يأتي بالحضارة.. فالحضارة هي التي تكوّن منتجاتها، وليست المنتجات هي التي تكوّن حضارة».

■ الجاهلية: يرى أن الجاهلية التي ذكرها القرآن «لم تكن فقيرة في صناعة الأدب، لأن علاقتها المقدسة كانت مع الأوثان لا الأفكار.. وإذا كانت الوثنية جهالة فالجهالة بالمقابل وثنية».

■ أصالة الأفكار وفعاليتها: الفكرة عنده إذا خرجت إلى النور «فهي إمّا صحيحة أو باطلة، وحينما تكون صحيحة فإنها تحتفظ بأصالتها حتّى آخر الزمان، لكنها في المقابل يمكن أن تفقد فعّاليتها في الطريق حتّى لو كانت صحيحة».

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

لم يكن لمثل هذه العين الثقافية الثرة إلا أن تروي «الوعي الإسلامي» بمدادها ظمأ قرّائها، فكتب لهم بن نبي مقالات ثلاثة، هي: «إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث» (نُشر جزؤه الأول في العدد ٤٩، محرم ١٣٨٩هـ - مارس ١٩٦٩م، والثاني بالعدد ٥٢، ربيع الثاني ١٣٨٩هـ - يونيو ١٩٦٩م) و«المجتمع الإنساني والإنسانية العذراء (نُشر في العدد ٧٧، جمادى الأولى ١٣٩١هـ - يونيو ١٩٧١م).. كان مدارها يناقش تقريبا ما جاء في قوله مجملا: «المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن، هي مشكلة الحضارة وكيفية إيجاد الحلول الواقعية لها، وإزالة التناقض بين النجاح المادي والتخلف المعنوي؛ أعني تخلف القيم أو إهمالها».

إرثه العلمي ووفاته

■ ألف أكثر من ثلاثين كتابا، من أشهرها «الظاهرة القرآنية» و«شروط النهضة» و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي». ونشر له كتابان بعد وفاته هما: «دور المسلم ورسالته في القرن العشرين» عام ١٩٧٧م، والثاني «بين الرشاد والتيه» عام ١٩٧٨م.

■ كانت له ندوة أسبوعية يعقدها في بيته يقصدها الشباب المثقف، ومع استمرار هذه الندوات ونجاحها؛ وتكريما له حولتها الجزائر إلى ملتقى للفكر الإسلامي يقام كل عام.

■ كُتب عدة طبعت عن حياته وأفكاره، من أهمها: «في صحبة مالك بن نبي» و«مقاربات حول فكر مالك بن نبي» اللذان كتبهما عمر كامل مسقاوي، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية.

■ توفي مالك بن نبي - رحمة الله عليه - يوم ٤ شوال ١٣٩٣هـ، الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٧٣م.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٤٩ و٥٢ و٧٧.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع الأستاذ مالك بن نبي.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الشيخ محمد أبو زهرة العلامة الفقيه

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ سار على نهج أحمد وابن تيمية والعز ابن عبدالسلام، فمزج كلماته المكتوبة بصوت مسموع مدو، وحف جداول علمه بالعمل الجاد، ولم يكن من العلماء الذين استغرقوا بالتنظير وانشغلوا بالتأليف عن متابعة الواقع ومعايشته والدعوة إلى تغييره وإصلاحه.

■ أسلوبه في الدعوة كان سر قوته وتلهف الناس للاستماع إليه والالتفاف حوله، فهو أحد أبرز علماء الفقه والقانون في العصر الحديث الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الذود عن الشريعة وإعلاء كلمة الحق مهما كلفهم الأمر، وجرأته في مواجهة الظالمين واضحة لا لبس فيها، وقد حورب من أجلها فما تخاذل أو استكان.

■ امتلك صفات عدة هيأته للإمامة في عصره، وكانت سببا لرفعة منزلته بين أقرانه وتلامذته: فهو جريء «مجاهر» بالحق «مندد» بالباطل والظلم «كاشف» لعوراتهما غير هياب أو وجل.. إنه الشيخ الفقيه محمد أحمد مصطفى أحمد عبدالله الشستاوي، المشهور بـ«الشيخ أبو زهرة».

■ ولد في مدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر في ٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ/٢٩ من مارس ١٨٩٨م، لأسرة محبة للدين، عهدت به إلى أحد الكتاتيب (كانت وقتذاك تؤدي دور مراحل التعليم الأولي في وقتنا الحالي).

تحصيله العلمي

■ بعد حفظه القرآن وتعلمه القراءة والكتابة، التحق سنة ١٩١٣م لثلاثة أعوام بالجامع الأحمدي في طنطا (كان يسمى وقتها «الأزهر الثاني»). رغب بعده في الالتحاق بمدرسة القضاء الشرعي، لكن تحديات ثلاثة وقفت أمامه: صغر سنه، قصر مدة تعلمه في الجامع الأحمدي وأخيرا امتحان صعب للمتقدمين.. اجتازها جميعها، وكان أول الناجحين، وحصل منها على شهادة «عالمية القضاء الشرعية»، وعادلها بعد ذلك بشهادة دار العلوم، بعد اجتياز اختبارها سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، فاجتمع له تخصصان قويان.

أشياخه

■ ألمع علماء دار العلوم درّسوا للشيخ، وكان عظيم الوفاء لهم، يقول الشيخ عن بعضهم: «لقد تسابق إلى خاطري

شيوخي الذين تلقيت العلم عليهم، أو تنّسمت نسيم العلم في جوهم، وتغذت روحي بأفاويق المعرفة من فيضهم.. تذكرت أستاذ الأساتذة عاطف العبقري (محمد عاطف بركات باشا) الذي لم يفر فريه في التربية أحد.. وتذكرت الأستاذ عبدالحكيم بن محمد في سمته وتقاه.. وتذكرت الأستاذ محمد الخضري، تذكرت فيه الفقه، وتذكرت فيه المؤرخ.. وتذكرت الأستاذ محمد المهدي بك الألباني وموازناته الأدبية المصورة للخطباء.. وتذكرت بحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، الأستاذ أحمد إبراهيم.. تذكرت دراساته الفقهية المقارنة المقربة للبعيد، والمؤنسة للغريب (....)».

في ميدان العمل

■ رغم دراسته في مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم، فإنه لم يتجه إلى القضاء، وإنما إلى ميدان التعليم، فدرّس الشريعة والعربية بمدرسة «تجهيزيّة دار العلوم»، ثم اختير للتدريس في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكلف بتدريس مادة الخطابة والجدل، ثم انتقل إلى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) لتدريس الخطابة. وتقديرا لعلمه ونبوغه عهدت إليه الكلية بتدريس الشريعة الإسلامية، وترأس قسم الشريعة الإسلامية فيها، ثم شغل منصب الوكالة.

■ في عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م اختير عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وأسس مع جماعة من العلماء معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة. كما كان مقررا للجنة بحوث القرآن ولجنة المتابعة ولجنة السنة المطهرة، وشيخا في لجان التقنين للمذهبين الحنفي والشافعي. وكان أيضا عضوا في مجلس جامعة الأزهر، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومعهد البحوث الجنائية والاجتماعية، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، ومجلس محافظة القاهرة.

تلاميذه

■ أشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه، وترأس لجان مناقشتها في الفقه والقانون والتفسير والحديث وعلم الكلام وسائر فروع الثقافة العربية الإسلامية في كليات: الآداب والحقوق والشريعة وأصول الدين، في جامعات: القاهرة وعين شمس والأزهر والإسكندرية.. وغيرها.

■ من تلقوا العلم على يديه لا يمكن إحصاؤهم، لكن نذكر منهم: سيد قطب، والدكتور عبدالعزيز عامر، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ صلاح أبو إسماعيل، والعلامة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، والدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور أحمد الحجي الكردي.

مساهماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمتان في المجلة: الأولى كانت مع العدد ٦٤ (ربيع الثاني ١٣٩٠هـ/يونيو ١٩٧٠م)، تناول فيها مسألة زكاة الأسهم، بينما جاءت الثانية في العدد ٨٧ (ربيع الأول ١٣٩٢هـ/أبريل ١٩٧٢م)، تحدث فيها بإسهاب وتفصيل شديد عن «الطلاق»، معقبا على مقال نشر في المجلة للأستاذ علي الخفيف، يدعو فيه إلى ضرورة أن يكون الطلاق بعد التحاكم أمام القاضي، وتوقيع عقوبة بالسجن والغرامة على من يطلِّق من غير تحكيم للقضاء.

مؤلفاته ووفاته

■ الفكر الحر في عرض قضايا الإسلام كان ما ميز الشيخ عن معاصريه، وقد ظل قلمه، حتى آخر أنفاسه، يمد المكتبة العربية والإسلامية بما يملكه من ثروة علمية هائلة، وخلف ما يزيد على ٣٠ كتابا، لاسيما في الفقه والقانون، مثل: «علم أصول الفقه»، «محاضرات في الوقف»، «العقوبة في الفقه الإسلامي»، «المعجزة الكبرى»، «خاتم النبيين» (...). كما ترجم لثمانية من كبار أئمة الإسلام (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية) وأفرد لكل واحد منهم كتابا مستقلا.. كما ترجم لغيرهم.

■ ومع مؤلفه «زهرة التفاسير»، الذي فسر فيه القرآن حتى الآية ٧٣ من سورة النمل، ونحا فيه نحو محمد عبده ورشيد رضا، مع رعاية اختلاف العصر واختلاف النظرة إلى نظام الإسلام والحضارة الغربية، وافته المنية يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). ومن تصاريف القدر أن المؤتمر الشعبي الكبير، الذي أُعد على عينه ونفقته أمام بيته؛ ليحارب فيه التعدي على الشريعة، يصبح سرادق عزائه، إذ أثناء نزوله لتفقده، سقط ساجدا على المصحف مفتوحا على آخر ما وصل إليه في التفسير، وفاضت روحه إلى بارئها.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٦٤ و ٨.
٢- المكتبة الشاملة.
٣- موقع رابطة العلماء السوريين.
٤ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

عبدالله مشاري الروضان الوزير الشعبي

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ أسرته عربية عريقة، ضربت بجذورها ليس في أعماق الكويت فقط، ولكن في قلب جزيرة العرب، فعائلته تنتمي إلى الفضول، وهم من قبيلة عنزة بأرض نجد، وقد استوطنوا الكويت في سنيها الأولى، ومن ثم كان لهم شرف المساهمة في وضع لبنات الكويت الأولى، وسجل التاريخ لهم بذلهم أرواح أبنائهم رخيصة دفاعا عن وطنهم في جميع المواقع والمعارك التي خاضها أبناء الكويت للذود عن حياضها وحماية بيضتها.

■ من بيت طيب عصامي محبا للدين، اشتهر بين أهل الكويت بالمودة والصلة والكرم والإحسان، امتلك عددا من السفن الشراعية، وله نقعة (مرسى للسفن) باسمه في منطقة الشرق.. إنه بيت الروضان، الذي نشأ فيه واتصف بصفاته، المرحوم بإذن الله، عبدالله مشاري الروضان، وزير الأوقاف الكويتي الأسبق، الذي ولد في حي الشرق عام ١٣٢٨هـ الموافق لعام ١٩١٠م.

نشأته وتحصيله العلمي

■ مات جده وأبوه في سن صغيرة، فنشأ أبوه معتمدا على نفسه متحملا المسؤولية ومحبا للدين والعلم، فضلا عن أنه أتم حفظ القرآن ودرس النحو والصرف، وتعلم الخط والقراءة والكتابة وشيئا من الحساب.. وتلك الصفات ورّثها مشاري لابنه عبدالله وغرسها فيه صغيرا، فتشرّب من أبيه كيفية النجاح في الحياة العملية.

■ على الرغم من عدم وجود مدارس نظامية في الكويت ساعتئذ، فإن مشاري الروضان كان شديد الحرص على تعليم أبنائه، فألحق ولده عبدالله بالكُتّاب ليتعلم مبادئ القراءة والحساب، ثم أرسله إلى مدرسة الملا عبداللطيف العمر (إحدى المدارس

الأهلية المنتشرة وقتذاك)، التي كانت تعنى بتدريس الدين وتحفيظ القرآن، وعندما بدأ التعليم النظامي في الكويت سارع إلى إدخاله مدرسة المباركية (أولى المدارس النظامية في الكويت).

احتراف العمل باكرا

■ النوخذة والطواشة (البحارة والغوص على اللؤلؤ) صنعتان من ثلاث (الرعي) امتهنها أهل الكويت قديما، وما إن بلغ الروضان الخامسة عشرة من عمره حتى احترف الأولين، وكان من البارزين فيهما؛ فغاص على اللؤلؤ مع أبيه، وتاجر فيه، وكان من القلائل الذين يعلمون خصائصه وأنواعه ويقيّمون سعره.

■ خبر التجارة بشكل أوسع وتعلمها على أصولها من خلال خوضه عباب البحر نوخذة على إحدى السفن الكويتية، التي كانت تجول البحار للتجارة ونقل البضائع.

■ لم يكن لظهور اللؤلؤ الصناعي وكساد سوق اللؤلؤ الطبيعي، أن ينالا من عزم تلك الشخصية أو يفتا في عضدها؛ فنوع أنشطته التجارية، ووسعها، فشملت، إلى جانب الغوص على اللؤلؤ والتجارة فيه، العديد من المواد والسلع الأخرى، وجالت قوافله التجارية سواحل أفريقيا والهند والبحرين ودول الخليج الأخرى، كما تاجر في العقارات.

ذرية بعضها من بعض

■ أشرف على مشاريع والده الوقفية في حياته. ومن خلال عمله وزيرا للأوقاف، اطلع على خبايا والده، التي لم توقف على أعمال الخير داخل الكويت فقط، بل تعدتها إلى دول أخرى، وكان لا يعلم بها؛ فأدرك معنى كيف تجهل شماله ما تنفقه يمينه، فأكمل تنفيذها بعد موته، وزاد عليها.. فالبذل والمسارعة إلى الإنفاق في هذا الباب تشهد بهما سيرته وأعماله.

■ من نافذة الوزارة تحصّل على كشف بعناوين وأسماء عدد من الأسر المتعففة (حوالي ٣٠٠ أسرة)، تكفل بالإنفاق عليها ومساعدتها طوال حياته، وعهد إلى أبنائه من بعده باستمرار مساعدة تلك الأسر، حتى وُصف بـ «الوزير الشعبي».

■ صرف عنايته – رحمه الله – إلى طباعة كتاب الله مترجما إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية؛ حرصا منه على نشر كتاب الله تعالى في أوروبا وأميركا. كما تبرع للكثير من الهيئات واللجان الخيرية خارج الكويت واستمر في دعمها؛ إلى جانب قيامه ببناء بعض المراكز الإسلامية خارج الكويت كالمركز الإسلامي في بلجيكا.

مناصبه

■ طلاقة الوجه والهدوء والوقار والحكمة والقدرة على اتخاذ القرار وقربه من الناس وتلمسه حاجتهم.. صفات اتسم بها وأهّلته لتولي مناصب خدمية في الدولة، ففي عام ١٩٥١م عين عضوا في المجلس البلدي، وبعد ظهور النفط كان أحد ثلاثة عشر عضوا انتُخبوا للمجلس البلدي، الذي ترأسه وقتها الشيخ فهد السالم. وعين عضوا في مجلس معارف الكويت عام ١٩٦١م، تحت رئاسة المرحوم الشيخ عبدالله الجابر الصباح، كما كان عضوا في مجلس الصحة عام ١٩٥٩م، الذي ساهم في تأسيس العمل الصحي الحكومي في الكويت. وكان عضوا في أول مجلس أمة عرفته الكويت، وبعد فوزه بأيام قليلة انتُخب وزيرا للشؤون الاجتماعية، ثم تولى بعدها حقيبة الأوقاف.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ عبدالله مشاري الروضان مساهمتان في المجلة: الأولى كانت بعنوان «رسول الله قدوتنا» مع العدد ٤٠ (ربيع الثاني ١٣٨٨هـ/يونيو ١٩٦٨م)، تناولت كلمته – رحمه الله – في حفل أقامته وزارة الأوقاف في ذكرى مولد الرسول ﷺ. بينما جاءت الثانية تحت عنوان «في سبيل جيل مؤمن» في العدد ٤٩ (المحرم ١٣٨٩هـ/مارس ١٩٦٩م).

وفاته

■ توفي – رحمه الله – بعد مسيرة حافلة بالعطاء والبذل؛ حكوميا وشعبيا، داخل الكويت وخارجها، عن عمر يناهز ٦٩ عاما، يوم ١١ صفر ١٤٠٠هـ/٣٠ ديسمبر ١٩٧٩م.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٤٠ و٤٩.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع تاريخ الكويت.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد: هشام الصباغ

الشيخ عبدالله النوري

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

كان النوري من علماء الكويت الذين أضاءوا الطريق لمن جاءوا بعدهم؛ قولا وعملا، فكان ولم يزل قدوة حسنة في العالم العربي وخارج حدود العرب، وأصبح بما قدمه من إحسان حيا في تاريخ الوطن العربي وفي قلوب الناس.

النشأة

■ نشأته في أسرة متدينة شغوفة بالعلم ومحبة للدين جعلت منه خطيبا مفوها، وداعية مرشدا، ومرجعا دينيا موثوقا في الدولة ومحبوبا بين الناس، فكان رحمة الله عليه من أعلام الهدى.. إنه الشيخ عبدالله بن محمد النوري.

■ ولد الشيخ النوري فجر الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٣٢٣هـ، الموافق ١٧ مايو ١٩٠٥م. ومنذ صغره تعهده والده بالقراءة والكتابة فختم القرآن وهو في الثامنة من عمره.

■ قرأ كتب الفقه الحنبلي والنحو على يد والده العالم العامل الفقيه الشيخ محمد النوري، الذي توفاه الله في سنة ١٩٢٧م، بعدها لازم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ودرس على يديه الفقه الحنبلي.

حياته العملية

■ اشتغل في التدريس، ثم انتقل إلى التجارة، ثم تركها وعاد مدرسا في مدرسة العجيري، ثم المدرسة المباركية، ثم المدرسة الأحمدية، ولم يكن قد أكمل العشرين من عمره ومن تلاميذه من هو أكبر منه.

■ في عام ١٩٢٦م عين كاتبا في المحكمة، ثم تدرج حتى أصبح رئيسا

للكتاب، ثم اختاره رئيسها الشيخ عبدالله الجابر سكرتيرا خاصا له، وقد أسندت إليه وهو في المحكمة مهمة التدريس بالمعهد الديني.

■ في عام ١٩٥٣م تولى إدارة إذاعة الكويت فأدخل فيها برامج متنوعة، منها برنامج «الدين النصيحة»، وبرامج صحية كان يعدها ويقدمها بنفسه، وبرامج للأطفال يغرس فيهم مبادئ الدين القويم.

لجنة الفتوى

■ في سنة ١٩٦٥م تشكلت لجنة للفتوى من وزارة الأوقاف وكان الشيخ عضوا فيها، وفي ثاني تشكيل لهذه اللجنة صار الشيخ رئيسا لها. كما عين مفتشا ومرشدا عاما لأئمة المساجد.

■ تولى إعداد وتنفيذ حلقات تلفزيونية أسبوعية كل خميس على شكل سؤال وجواب كانت ولادة لبرنامج عظيم تحت عنوان «مع الدين» الذي اكتسب شعبية واسعة داخل الكويت وخارجها.

مسجده وبيته

■ في المسجد كان له درس يومي بعد صلاة العصر في تفسير القرآن.. وبيته الكبير كان يضج بالحياة ففيه الموائد دائمة للفقراء والضيوف، وفيه كان يستقبل في المساء الناس بعد صلاة العشاء لحل مشكلاتهم والإصلاح بينهم.

مدرسة إسلامية بأستراليا

■ في عام ١٩٧٠م ترك وظائفه الحكومية وبدأ يتجول في البلاد التي تعيش فيها أقليات مسلمة ليتفقد أحوالهم ويتلمس احتياجاتهم حاملا معه الأموال لتوزيعها على المدارس والمستشفيات هناك بالتعاون مع جمعيات إسلامية معتمدة.

■ عند سفره إلى أستراليا لتفقد أحوال الجالية الإسلامية، التقى مسؤولي الاتحاد الإسلامي الذين طرحوا عليه فكرة إنشاء مدرسة إسلامية بمدينة سيدني، فلاقت الفكرة استحسانا لديه، فجمع التبرعات اللازمة ثم باشر من فوره في إنشائها، لكن الله توفاه قبل أن ترى المدرسة النور، فأكمل أولاده والجمعية التي حملت اسمه (جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية) بناءها، وأصبحت فيما بعد مدرسة نموذجية يؤمها أولاد المسلمين في أستراليا وافتتحت عام ١٩٨٩م.

إرثه العلمي

■ سعة أفقه جعلته من عشاق الكتابة فكتب في الخطب والمواعظ والتفسير والفتاوى والرحلات والأسفار والشعر والتراث والتاريخ الشعبي، ومنها: «الرشد» و«شهر في الحجاز» و«المنبر» و«ديوان من الكويت» و«قصة التعليم في الكويت» و«الأمثال الدارجة في الكويت» و«قطف الأزهار» و«البهائية سراب» و«أحاديث» و«من غريب ما سألوني».

■ كما ترك الشيخ مكتبة عامرة بكتب الفقه والحديث وعلوم الدين والدنيا، ضمت ما يزيد على سبعة آلاف كتاب ينتفع بها الآن كثير من طلاب العلم.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب «القرآن والعرب» (العدد ٢٤، ذو الحجة ١٣٨٦هـ، مارس ١٩٦٧م)، و«كلكم راع ومسؤول عن رعيته» (العدد ٢٨، ربيع الثاني ١٣٨٧هـ، يوليو ١٩٦٧م)، و«بالعمل الصالح تطيب الحياة» (العدد ٣٣، رمضان ١٣٨٧هـ، ديسمبر ١٩٦٧م)، و«الحب في الإسلام» (العدد ٩٩، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، أبريل ١٩٧٣م).

وفاته

■ في نوفمبر ١٩٨٠م وأثناء تفقده مشروع مدرسته بأستراليا أحس الشيخ بآلام في جسده فعاد إلى الكويت وأُدخل على إثرها مستشفى الصدري. وفي يوم السبت ١١ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٨١م فقدت الكويت الشيخ عبدالله النوري، طيب الله ثراه، وشيع جثمانه يوم الأحد.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢٤ و٢٨ و٣٣ و٩٩.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



أول من قدِّم على الوزراء في المراسم الحكومية

شيخ الأزهر
الإمام عبدالحليم محمود

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

نشأته وتحصيله العلمي

■ ولد في إحدى قرى محافظة الشرقية تسمى «عزبة أبو أحمد» (نسبة إلى جده)، في ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٢ مايو ١٩١٠م، لأسرة ثرية من أعيان الريف ينتهي نسبها إلى الإمام الحسين.. إنه الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبدالحليم محمود، رحمه الله.

■ سنه الصغيرة حالت دون التحاقه بالأزهر، رغم حفظه القرآن كاملا، فألحقه والده بالمدرسة الأولية إلى أن أصبحت سنه مناسبة، ثم بدأ الدراسة في (مسجد إبراهيم أغا) عام ١٩٢٣م.

أشياخه

■ في الأزهر تتلمذ الشيخ على يد كبار علمائه؛ كالشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد عبداللطيف دراز، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبدالرازق.

الدكتوراه من «السوربون»

■ بعد حصوله على عالمية الأزهر قصد فرنسا لنيل الدكتوراه على نفقته الخاصة، فالتحق عام ١٩٣٢م بجامعة السوربون لدراسة تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع، وحصل على الليسانس فيها عام ١٩٣٧م.

■ لم يكن للحرب العالمية الثانية، التي اندلعت في السنة الثانية من إعداده لأطروحة الدكتوراه، أن تخيفه أو تقطع عليه طريقه، فاستكمل مسيرته

ونـال الـدكـتـوراه عـام ١٩٤٠م بـدرجة امتياز بمرتبة الشرف الأولى، وقررت «السوربون» طبع رسالته بالفرنسية.

حياته العملية.. ومناصبه

■ بعد الدكتوراه عاد إلى مصر وعمل مدرسا لعلم النفس في كلية اللغة العربية، ثم أستاذا للفلسفة في كلية أصول الدين (عام ١٩٥١م) ثم عميدا لها (١٩٦٣م).

■ في عام ١٩٦٤م اختير عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وفي ١٩٦٩م عين أمينا عاما للمجمع وأمينا لمؤتمر علماء المسلمين بدرجة وكيل وزارة، وفي ١٩٧٠م عين وكيلا للأزهر، وفي ١٩٧٢م اختير وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر.

مشيخة الأزهر

■ في ١٩٧٣م عين شيخا للأزهر، ثم حدثت بعض الظروف الإدارية التي دفعت الشيخ إلى تقديم استقالته، وأحدثت استقالته دويا هائلا في مصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي.

■ إزاء هذا الموقف الملتهب، تم تدارك أمر استقالته وصدر قرار جديد أعاد الأمور إلى نصابها، وجاء فيه: «شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر». كما تضمن القرار أن «يعامل شيخ الأزهر معاملة الوزير من حيث الراتب والمعاش، ويكون ترتيبه في الأسبقية قبل الوزراء مباشرة».

بعض رحلاته

■ سافر الشيخ إلى العراق لتنظيم وزارة الأوقاف والمؤسسات الدينية فيه، كما سافر إلى قطر لوضع قواعد بناء التعليم الديني فيها. وعمل الشيخ أستاذا زائرا في كل من: تونس، ليبيا، الفلبين، إندونيسيا، باكستان، السودان وماليزيا.

تراثه العلمي

■ مؤلفاته تربو على المئة؛ تأليفا وتحقيقا وترجمة، كان أولها قصة ترجمها عن الفرنسية، ثم تتابعت مؤلفاته الغزيرة ومن أشهرها: «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام»، و«فتاوى عن الشيوعية»، و«أوروبا والإسلام»، و«القرآن والنبي»، و«دلائل النبوة ومعجزات الرسول»، و«الحمد لله هذه حياتي» (سيرته الذاتية)، و«منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع»، و«التفكير الفلسفي في الإسلام» (من أهم المراجع التي تتناول علم الفلسفة بمنظور إسلامي، حيث يؤرخ فيه للفكر الفلسفي في الإسلام ويستعرض التيارات المذهبية المتعددة فيه ليبين أصالة الفلسفة الإسلامية، وسبقها الفلسفة الغربية في كثير من طرق التفكير).

■ كما ترجم لعشرات الأعلام مثل سفيان الثوري وأبي الحسن الشاذلي وأبي مدين الغوث.. وغيرهم. وحقق الكثير من أمهات الكتب مثل: «اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي، و«المنقذ من الضلال» لحجة الإسلام الغزالي وغيرهما. وترجم العديد من الكتب في الفلسفة اليونانية والأخلاق مثل «الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها»، و«الأخلاق في الفلسفة الحديثة».

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب «الإسلام ومقومات الحضارة» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ، يونيو ١٩٦٥م)، و«الرسول ﷺ وسنته الشريفة» (العدد ٢٣، ذو القعدة ١٣٨٦هـ، فبراير ١٩٦٧م)، و«الإسراء والمعراج» (العدد ٦٧، رجب ١٣٩٠هـ، سبتمبر ١٩٧٠م)، و«اقرأ باسم ربك» (العدد ٦٩، رمضان ١٣٩٠هـ، نوفمبر ١٩٧٠م)، و«نشر السنة واجب ديني وإصلاح خلقي واجتماعي» (العدد ٨٨، ربيع الآخر ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م)، و«الوحدة الإسلامية» (العدد ١٠٨، ذوالحجة ١٣٩٣هـ، ديسمبر ١٩٧٣م)، و«فقيه مصر الليث بن سعد (٣حلقات)» (الأعداد: «نشأته وحبه للعلم ١٤٥» محرم ١٣٩٧هـ، يناير ١٩٧٧م - «كرمه واتزانه ١٤٦» صفر ١٣٩٧هـ، فبراير ١٩٧٧م - «محدثا وفقيها ١٤٧» ربيع الأول ١٣٩٧هـ، مارس ١٩٧٧م).

وفاته

■ بعد عودته، رحمه الله، من الحج في عام ١٣٩٨هـ، أجرى عملية جراحية في القاهرة توفي على إثرها، وتلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاته بالأسى، وصلى عليه ألوف المسلمين الذين احتشدوا بالجامع الأزهر ليشيعوه إلى مثواه الأخير، تاركا تراثا فكريا ذاخرا ما زال يعاد نشره وطباعته.

المصادر والمراجع

١ - مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢ و ٢ و٦٧ و٦٩ و١٠٨.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣ - دار الإفتاء المصرية: الإمام عبدالحليم محمود.

٤ - شيوخ الأزهر، تأليف: أشرف فوزي.

٥ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر



صاحب «الرسالة»

أحمد حسن الزيات

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ أحد أئمة النثر الفني في العصر الحديث، وعلم من أعلام الأدب العربي الذين خرجوا من رحم الريف المصري، إذ ولد في قرية كفر «دميرة القديم» (إحدى قرى مركز طلخا)، بمحافظة الدقهلية سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

■ من أرق الناس طبعا، ومن أنصع كتاب العربية ديباجة.. أسلوبه «أوضح من الرافعي، وأسمح من العقاد، وأوجز من طه حسين» (بحسب وصف بعض معاصريه).. إنه الأديب الألمعي أحمد حسن الزيات.

■ للزيات أسلوب خاص دعا إليه في كتابه «دفاع عن البلاغة» يقوم على ركنين:

أولهما: العودة بالبلاغة إلى طابعها العربي الأول من الإيجاز، ورصانة الفواصل وقصرها، وتصفية الألفاظ، كما يتجلى في كتابات الجاحظ وأبي حيان التوحيدي.

والآخر: هو إمداد الفكر العربي الحديث بآثار الفكر العربي، وروائع الآداب العالمية عن طريق الترجمة، ليعايش الأدب العربي الحديث ركب الحضارة المعاصرة.

■ عندما بلغ الزيات الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكُتّاب القرية ليتلقى فيه تعليمه الأوّلي، فأتم حفظ القرآن الكريم وتجويده، ثم أرسله والده إلى أحد علماء قرية مجاورة، ليتلقى على يديه القراءات السبع، فأتقنها في سنة واحدة.

الزيات.. و«الأزهر»

■ في الثالثة عشرة من عمره التحق الزيات بالجامع الأزهر، وظل به عشر سنوات، تلقى خلالها علوم الشريعة والعربية، لكن نفسه التواقة إلى الأدب؛ بسبب النشأة والتكوين، دفعته إليه، فانصرف إليه كلية، وقصد دروس الشيخ المرصفي الذي كان يدرّس الأدب في الأزهر، ويشرح «حماسة أبي تمام، وكتاب «الكامل» للمبرّد، كما حضر شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي (أحد أعلام اللغة البارزين).

■ ربطه حب الأدب مع مريدين أصبحوا رموزا للأدب العربي فيما بعد، كطه حسين ومحمود حسن الزناتي، إذ كانا مثله يقصدان دروس المرصفي، الذي فتح لهم آفاقا واسعة في الأدب والنقد، وأثّر فيهم تأثيرا قويا. كما كانوا يترددون معا على «دار الكتب المصرية» لمطالعة عيون الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء.

الزيات دارسا ومدرسا

■ في عام ١٩٠م اختاره المستشرق الفرنسي الفرير بلاج لتدريس «العربية» في المدارس الفرنسية، وفور إنشاء الجامعة المصرية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩٠م سارع إلى الالتحاق بها، وكانت الدراسة بها مساء، وخلال فترة الدراسة عمل

مدرسا بالمدارس الأهلية، وفي الوقت نفسه يدرس اللغة الفرنسية التي أعانته كثيرا في دراسته الجامعية حتى تمكن من نيل إجازة الليسانس سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

■ استمر بالمدارس الأهلية حتى اختارته الجامعة الأميركية بالقاهرة رئيسا للقسم العربي بها في سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، وكانت الدراسة بها مدتها ثلاث سنوات، أمضى منها سنتين في مصر، والثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

■ ظل بالجامعة الأميركية حتى اختير أستاذا في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢م، ومكث هناك ثلاث سنوات صنف فيها كتابه «العراق كما عرفته»، الذي احترق قبل نشره.

مناصبه

■ انتخب الزيات عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون، وكان قبل ذلك من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، ولجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، كما رأس تحرير مجلة الأزهر في الخمسينيات.

«الرسالة»

■ عاد من بغداد سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، وهجر التدريس، وقرر التفرغ للصحافة والتأليف، ثم فكّر في إنشاء مجلة تعنى بالأدب الراقي والفن الرفيع.. فكانت مجلة «الرسالة».

■ شهد اليوم الخامس عشر من يناير ١٩٣٣م مولد «الرسالة»، التي قال عنها: «فأهلت على دنيا الأدب قشيبة الثوب مضيئة، قسيمة الوجه وسيمة.. عربية الملامح أصيلة».. وعاشت «رسالة» الزيات عشرين عاما ألحق بها خلالها مجلة «الرواية».

■ في عام ١٩٦٣م فكرت الحكومة المصرية في إعادة إصدار «الرسالة» بعهدة الزيات أيضا، لكن لم تكن لها مكانتها الأولى، فاحتجبت، وانقطع الزيات إلى تحرير مجلة «الأزهر» بين سنتي ١٣٦٤هـ و ١٣٧٠هـ.

إرثه العلمي

■ أول ما علت به شهرته كان كتاب «تاريخ الأدب العربي»، ثم كان من كتبه المطبوعة: «دفاع عن البلاغة» و«وحي الرسالة» (في أربعة أجزاء)، و«في أصول الأدب» و«في ضوء الرسالة»، و«العراق كما رأيته».

■ ترجم عن الفرنسية عن «آلام فرتر» لجوته، و«روفائيل» للامارتين، ومختارات من الأدب الفرنسي (ترجمة لقصائد وأقاصيص).

عن «آلام فرتر»

■ في ١٩١٩م قرأ «آلام فرتر»، بعد هوى أصابه، وعبر عن شعوره حين قرأها فقال: «كنت أقرأ ولا أقرأ في الحادثة سواي، وأشعر ولا أشعر إلا بهواي، وأندب ولا أندب إلا بلواي.. فهل كنت أقرأ في خيالي، أم أنظر في قلبي، أم هو الصدق في نقل الشعور، والحذق في تصوير العاطفة.. يظهر قلوب الناس جميعاً على لون واحد».

آراؤه

■ دعا إلى إصلاح الأزهر وتخليصه من المضمضة بالألفاظ الاصطلاحية، والجمجمة بالجمل المعقدة على أنها العلم والأدب، وكانت دعوته جامعة لإصلاح المجتمع بمحاربة الجهل والفقر والمرض بالتخطيط والتشريع والكتابة، كما هاجم الإقطاع والبيروقراطية وربط بين الدين والضمان الاجتماعي، ورأى أن الفقر سبب للاستجداء والاستخذاء والجريمة والرذيلة.

الزيات مكرما

■ لقي الزيات تقدير المجامع والهيئات العربية، فاختير عضوا في المجامع اللغوية في: القاهرة، ودمشق، وبغداد.

■ وفي مصر كرمته الدولة بمنحه جائزتها في الأدب عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥م عن كتابه «وحي الرسالة» (مقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلة الرسالة)، ثم كرمته مرة أخرى عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ومنحته جائزتها التقديرية في الأدب، كما اختارته عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ لم يكن لمثل هذا السابح في بحار الأدب إلا أن تستقطب «الوعي الإسلامي» مداد قلمه لتروي به ظمأ قرّائها، فكتب لها الزيات مقالين، هما: «الإسلام والمبادئ المثالية» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ/يونيو ١٩٦٥م)، والثاني «من تراثنا الأدبي» (العدد ١٤٤، ذو الحجة ١٣٩٦هـ/ديسمبر ١٩٧٦م).

وفاته

■ توفي الزيات في القاهرة صباح الأربعاء ١٦ من ربيع الأول ١٣٨٨هـ/١٢ من مايو ١٩٦٨م عن ٨٣ سنة، وحمل إلى قريته فدفن فيها.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٢ و١٤٤.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٤ – شبكة الألوكة.

٥ – موقع أدب.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

«أبو شكيب» التقي

محمد تقي الدين الهلالي

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● محدث، ولغوي، وأديب، وشاعر، ورحالة، وسلفي ظاهري.. نشأ في أسرة علم وفقه؛ فقد كان والده وجده من فقهاء بلاده.

● يكنى «أبو شكيب»، حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان.. إنه الشيخ العلامة محمد التقي بن عبدالقادر بن محمد ابن عبدالقادر بن الطيب بن أحمد ابن عبدالقادر بن محمد بن عبدالنور ابن عبدالقادر بن هلال بن محمد بن هلال.

مولده.. وتعليمه الأولي

● في وادي سجلماسة بمملكة المغرب عام ١٣١١هـ، وفي قرية «الفرخ» (وتسمى أيضا بـ«الفيضة القديمة» وهي من بوادي سجلماسة)، ولد الشيخ الهلالي.

● قرأ القرآن على والده، وحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة. أنهى تعلّمه الأولي ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره. وبعد وفاة والده، تنقل بين القبائل، واستقر في زيان، يؤم الناس في المسجد، ويعلم الأطفال القرآن، وهناك تعلم الأمازيغية الأطلسية.

أشياخه

● لازم الهلالي الشيخ محمد بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي؛ حتى أنابه الشيخ عنه في غيابه.

● بعد وفاة شيخه، توجه إلى مدينة وجدة، قاصدا القاضي أحمد السكيرج، ليخوض معه في اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير.

● في عام ١٣٤٠هـ ولى وجهه شطر فاس ليجلس تحت قدمي الشيخ الفاطمي الشراوي والشيخ محمد بن العربي العلوي، ويحصل على شهادة من جامع القرويين.

● كما تتلمذ على يد طائفة من علماء القرويين وبعض علماء الأزهر.

رحالة في طلب الحديث

● في سعيه لطلب علم الحديث، قصد الأزهر في مصر، وهو في السادسة والعشرين من عمره، ثم التحق بحلقة الشيخ رشيد رضا،

الذي كان سببا في نضجه الفكري، وتحوله عن التقليد إلى البحث الاستقلالي والترجيح.

● كما طلبه في الهند والتقى فيها علماء كبارا، من أهمهم المحدث العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري (صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»)، الذي أجازه؛ كما أجازه أيضا الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني (نزيل الهند آنذاك) الذي قرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأقام عنده.

● وأيضا طلبه في العراق، الذي مكث فيه ٣٥ سنة غير متتابعة (من ١٩٢٤م حتى ١٩٥٩م)، حيث التقى العالم الموريتاني المحقق الشيخ محمد أمين الشنقيطي الزبيري (مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير).

توصيتا رضا وأرسلان

● «إن محمدا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه».. تلك كانت توصية محمد رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، الذي أبقاه في ضيافته لبضعة أشهر حتى عين مراقبا للتدريس في المسجد النبوي، كما عين إماما له، ونقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة، ثم غادر السعودية وتوجه ثانية إلى العراق لِيَدْرُسُ ويُدرّس في الجامعة، ثم ترك العراق وتوجّه إلى الهند، والتحق بالجامعة، فكان دارسا ومدرسا، وكان من بين تلامذته أبو الحسن الندوي.

● عندما قصد ألمانيا لتحضير الدكتوراه، كتب له صديقه شكيب أرسلان توصية إلى أحد معارفه في وزارة الخارجية الألمانية، قال فيها: «عندي شاب مغربي أديب، ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة»، فعين محاضرا في جامعة بون.

● في سنة ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه في جامعة برلين، وكان موضوعها «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها»، فند فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارتمن، وكارل بروكلمان، وكان مجلس مناقشتها مكونا من عشرة علماء، وافقوا بالإجماع على منحه الدكتوراه في الأدب العربي.

● اتصل بالزعيم الألماني هتلر، وأقنعه أن يُنشئ إذاعة عربية موجهة إلى العرب بلغتهم، فوافق هتلر وصار تقي الدين الهلالي مُعدّ مواد الإذاعة.

العمل الأكاديمي

● عين مدرسا بكلية الملكة عالية في بغداد، ثم بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم بفرعها في فاس. وفي سنة ١٩٦٨م تلقى دعوة من الشيخ عبدالعزيز بن باز (رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة آنذاك) للعمل أستاذا بالجامعة.

مؤلفاته

● كان نشطا في الكتابة، لكن مؤلفاته ألفها في أزمنة مختلفة وبقاع شتى، منها: الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري، الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام، مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، فضل الكبير المتعالي (ديوان شعر)، أسماء الله الحسنى (قصيدة).. وغيرها كثير.

● كما كان نشطا في الترجمة، فترجم إلى الإنجليزية صحيح البخاري، والمجمع للقرآن (إلى جانب محمد محسن خان).

إسهاماته مع «الوعي الإسلامي»

● لم يكن لسحابة العلم هذه أن تمر من دون أن تستمطرها «الوعي الإسلامي»، فكتب لها (كعادته في التأليف على أزمنة عدة) سلسلة من ٤ أجزاء، جاءت في: أهل الحديث ١ (العدد ٣٩، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/مايو ١٩٦٨م)، أهل الحديث ٢ (العدد ٧٦، ربيع الآخر ١٣٩٠هـ/مايو ١٩٧١م)، أهل الحديث ٣ (العدد ٨٠، شعبان ١٣٩١هـ/سبتمبر ١٩٧١م)، أهل الحديث ٤ (العدد ٨٣، ذو القعدة ١٣٩١هـ/ديسمبر ١٩٧١م).

وفاته

● توفي يوم الإثنين ٢٢ يونيو ١٩٨٧م بمنزله في مدينة الدار البيضاء ودفن بالسباتة، وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٣٩ و٧٦ و٨٠ و٨٣.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الموسوعة الحية

الشيخ حمد الجاسر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ علامة ومؤرخ.. جغرافي ورحالة.. باحث وإعلامي.. عاشق للغة العربية ومحب للتاريخ.. مهتم بالأنساب.

■ له أسهم في الحياة الثقافية لوطنه، إذ خلف تركة معرفية متنوعة، من مصورات تاريخية وجغرافية، مرورا بأدب الرحلات وكتب السيرة، إلى طبعات نقدية لبعض النصوص التراثية.

■ «نجدي» الأصل، وتحديدا من قرية «البرود»، التي وُلد فيها عام ١٣٢٨هـ، لأسرة بسيطة فقيرة، يعيلها والده من عمله بالفلاحة، ويمتد نسبها إلى قبيلة «حرب»؛ إحدى أعرق قبائل العرب... إنه الشيخ الأستاذ حمد بن محمد بن جاسر.

تعليمه

■ رأى أبوه أن ابنه لن يكون بمقدوره مساعدته في إعالة الأسرة، إذ كان ابنه ضعيف البنية، فألحقه بـ «كُتّاب القرية» لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن.. ولما رأى أمارات النبوغ والنباهة تطفو على صفحة وجهه ولمس مدى شغفه بالعلم ذهب به عام ١٣٤٠هـ إلى قريب له في مدينة الرياض يطلب العلم، فتعلم شيئا قليلا من الفقه والتوحيد.

■ لم يطل مكثه لدى قريبه أكثر من سنتين، إذ توفاه الله، فعاد أدراجه حزينا إلى قريته، ولم يكد يلتقط أنفاسه حتى مات أبوه، فكفله جده لأمه.

نفس تواقة للعلم

■ ساعد جده في إمامة أهل القرية، ثم اشتغل معلما لصبيانها إلى أن نُدب عام ١٣٤٦هـ مرشدا لفخذ من قبيلة عتيبة يصلي بهم رمضان، ويعلمهم أمور دينهم.

■ مع نهاية العام نفسه، تاقت نفسه مرة أخرى لطلب العلم على مشايخه في الرياض، فقصدها وقرأ شيئا من المتون كـ«الآجرومية» لابن آجروم، و«الأصول الثلاثة»، و«آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبدالوهاب و«ملحة الإعراب» للحريري.

■ في سنة ١٣٤٨هـ، قصد مكة للالتحاق بالمعهد العلمي السعودي (أول مدرسة نظامية تنشأ في العهد السعودي)، لتبدأ معها مرحلة مهمة من حياته.

حياته العلمية ومناصبه

■ بعد أن أنهى المعهد متخصصا في القضاء الشرعي، عمل في ينبع (من ١٣٥٣هـ حتى ١٣٥٧هـ) مدرسا فمديرا للمدرسة، ثم انتقل إلى القضاء فعمل قاضيا في ضبا عام ١٣٥٧هـ.

■ لكن شوقه إلى المعرفة كان في اتقاد مستمر، فقرر السفر إلى مصر عام ١٣٥٨هـ والالتحاق بكلية الآداب في جامعة القاهرة، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية أحال بينه وبين إتمام دراسته.

■ عاد من القاهرة، وعمل مرة أخرى بالتدريس، وجاب مناطق عدة بالمملكة، وشغل مناصب تربوية مختلفة.

■ في عام ١٣٦٩هـ تولى إدارة التعليم في نجد، وخلال فترة إدارته أنشأ «مكتبة العرب»، التي كانت أول مكتبة وقتها تعنى بعرض المؤلفات الحديثة.

■ كان أول مدير لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض اللتين كانتا النواة لإنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

■ كان عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان، وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية في عمان، والمجمع العراقي في بغداد، والمجمع العلمي في الهند.

إنتاج الشيخ الثقافي

■ إنتاج الجاسر البحثي والأدبي والتاريخي والثقافي يجعلنا نعده موسوعة حية ودائرة معارف متنقلة؛ فمؤلفاته، لاسيما ما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية؛ بلدانها وأعلامها وأنسابها، مرجع للمحققين ومقصد للباحثين.

■ رمى الشيخ في كل فن من فنون الأدب بسهم، فكتب في الرحلات: «إطلالة على العالم الفسيح»...، وفي الأنساب: «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (جزآن)...، وفي تحديد المواضع: «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (مقدمة المعجم – جزآن)...، وفي تاريخ البلدان: «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»...، وكتب عن الخيل: «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها»...، وفي التراجم: «رحالة غربيون في بلادنا»...، وفي المباحث اللغوية: «نظرات في كتاب تاج العروس».. وكثير غيرها.

■ كما حقق العديد من الكتب: «الأماكن» للحازمي (جزآن)، «الإيناس في علم الأنساب» و«أدب الخواص» للوزير المغربي.. وغيرها.

تكريمه

■ منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ؛ ووسام التكريم من مجلس التعاون الخليجي عام ١٤١٠هـ، ووسام الملك عبدالعزيز عندما اختير الشخصية السعودية المكرمة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) عام ١٤١٥هـ، والدكتوراه الفخرية عام ١٤١هـ من جامعة الملك سعود؛ وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٤١٦هـ، وجائزة سلطان العويس الأدبية من الإمارات العربية المتحدة عام ١٤١٦هـ، وجائزة الكويت للتقدم العلمي عن كتاب «أصول الخيل العربية الحديثة» عام ١٤١٦هـ.

تواضع جم

■ رغم ما عرف عنه من قوة حفظ وشمولية اطلاع وانقطاع إلى العلم وشدة تقلب في الجزيرة العربية؛ بحثا وتنقيبا عن المعلومات، فإنه رفض وصف الدكتور عبدالله الهدلق له في إحدى كتابته قائلا: «عالم الجزيرة الشيخ حمد الجاسر»، طالبا من الهدلق حذفه بقوله: «جزيرة أنا عالمها جزيرة جاهلة».

أول صحيفة.. وأول مطبعة

■ لا تزال السعودية تدين بالفضل لجهود الشيخ في نشأة الصحافة والطباعة فيها، ففي عام ١٣٧٢هـ أنشأ أول صحيفة (اليمامة) تخرج من مدينة الرياض، كما أنشأ أول مطبعة فيها باسم «شركة الطباعة والنشر الوطنية» في عهد الملك سعود رحمه الله.

■ وفي عهد الملك فيصل، رحمه الله، عاد إلى الرياض (بعدما أقام فترة في لبنان أنشأ خلالها «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر»)، ومنح – مع آخرين– امتياز إنشاء «مؤسسة اليمامة الصحافية» التي تصدر عنها جريدة «الرياض» اليومية، ومجلة «اليمامة» الأسبوعية، و«رياض ديلي» باللغة الإنجليزية، و«كتاب الرياض»، ثم لظروف خاصة تخلى عن العمل في المؤسسة، وأصدر مجلة «العرب» الشهرية في رجب سنة ١٣٨٦هـ.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمتان في المجلة: الأولى «رحلة إلى طيبة (١)» كانت مع العدد ٣٧ (محرم ١٣٨٨هـ/مارس ١٩٦٨م)، بينما كانت الثانية «رحلة إلى طيبة (٢)» في العدد ٣٨ (صفر ١٣٨٨هـ/أبريل ١٩٦٨م).

وفاته

■ في يوم الخميس ١٦ رجب ١٤٢١هـ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٠٠م، فقدت المكتبة العربية علما من أعلامها الأفذاذ، إذ توفي الشيخ حمد الجاسر عن عمر يناهز ٩٣ عاما، بعد حياة حافلة بالعطاء.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٣٧ و٣٨.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٤ – موقع معرفة.

٥ – موقع الاثنينية.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الجواد السخي
الشيخ عبدالعزيز علي المطوع

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ من قبيلة السهول. ولد مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين؛ وتحديدا في أكتوبر ١٩١م. وكأهل بلده، ولد مجبولا على سلك ضروب العمل الخيري، متغييا التقرب إلى الوهاب، ومتنافسا مع أهلها في بذل المعروف لمن في الديرة ومن خارجها، حتى ازدحمت بالإحسان سيرته العطرة.

■ نشأ نشأة دينية وأدبية في بيت كريم يرعى حدود الله.. وفي المدرسة الأحمدية، التي تعلم فيها، اشتهر بذكائه الحاد وفطنته، وقد تخرج فيها وعمره أحد عشر عاما، وكان ترتيبه الأول عليها، وهو ما جعله محط إعجاب أساتذته في ذلك الوقت.. إنه الشيخ عبدالعزيز علي المطوع.

سماته الشخصية

■ على الرغم من أنه خفيف الروح بشوش الوجه، فإنه حين يتحدث عن أحوال المسلمين ومآسيهم والمصائب التي حلت بهم.. تسبق دموعه كلامه؛ إذ كان، رحمه الله، رقيق الحاشية، طيب المعشر، مرهف الشعور، شديد التأثر بالمواقف الإنسانية.

■ كثرة تأمله في آيات الله عزوجل، وتدبره في القرآن الكريم، وشغفه بالقراءة.. جعلته صاحب نظرات عميقة، وتأملات فاحصة، وتوجيهات صائبة، وآراء سديدة.

■ لم يزده المال والثراء إلا تواضعا، فكان نموذجا واقعيا صادقا لترجمة الإسلام؛ قولا وعملا، لم يغتر بزخارف الدنيا التي أتته راغمة.. كان سباقا في فعل الخير؛ سرا وعلنا، ولا يتردد في دعم أي مشروع خيري إذا اطمأن لأحقيته، ووثق بالقائمين عليه، واقتنع بأهميته وضرورته.

ثراؤه مطيته

■ اتخذ من مهنته (التجارة) سبيلا لخدمة الدعوة الإسلامية، فتوسل الإنفاق على الفقراء والمساكين، وبناء المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام، وحفر الآبار.. ليتاجر مع الله.

■ لم يغفل، رحمه الله، عن المسلمين الفقراء في أقاصي الأرض، فترك آثارا طيبة في كل من مصر، والعراق، وبـ د الشام، والجزيرة، والخليج، وكثير من البلاد التي بها أقليات مسلمة، فكانت له صولات وجولات تكشف عن نفاسة معدنه، وعمق تجربته، وقوة إيمانه، وسماحة نفسه، وجزالة عطائه؛ فقد كان سخيا في وجوه الخير لا يتردد أبدا، ولا تعلم شماله ما تنفقه يمينه؛ فأنشأ الدور والجمعيات الخيرية والمكتبات والمعاهد.

نشاطه في الدعوة

■ أول من أرسى أسس العمل الإسلامي المنظم في الكويت، فبالتعاون مع عبدالعزيز يوسف المزيني وبعض المحسنين، أنشأ جمعية الإرشاد الإسلامية، التي افتتحت في عهد المرحوم الشيخ عبدالله السالم، والتي خرج من رحمها مجلة «الإرشاد»، ومدرسة «الإرشاد»، ومكتبة «الإرشاد»، وكلها شواهد ناطقة وآثار واضحة على جهده الدؤوب، وعطائه السخي.

■ تشارك مع رجالات الكويت الأول في بناء نهضتها بمختلف أشكالها، خصوصا الجانب التعليمي منها؛ فكان عضوا في مجلس المعارف في عهد الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وعضوا في المجلس البلدي سنة ١٩٥١-١٩٥٤م.

■ نشط في التواصل مع العلماء والدعاة في كل مكان، وحرص على تكريمهم والاحتفاء بهم؛ قاصدا التعاون معهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان عضوا في مجلس الأمناء بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، وأنشأ لجنة تتولى الإنفاق على الطلبة الأفارقة الراغبين في التعليم وابتعاثهم إلى مدارس وجامعات مصر وذلك على نفقته الخاصة.

■ كان، رحمه الله، واسع الاطلاع، عميق الفهم، ألف عددا من الكتب العلمية منها: «الرأس والبنكرياس»، و«خواطر باحث».

إحسان يتجاوز الحدود

■ امتدت يده بعد حرب ١٩٦٧م، لتداوي أسر الشهداء والأسرى الفلسطينيين، فأسس «اللجنة الإسلامية لمساعدة الفلسطينيين وأسر الشهداء» التي تكفلت بإعالتهم على نفقته الخاصة كما تكفلت بتعليم أبنائهم.

■ وفي مصر أنشأ «جمعية مصطفى محمود الخيرية» ولها عدة فروع في الأماكن التي تكثر فيها الكثافة السكانية لتقديم العلاج المجاني للمرضى الفقراء ومساعدة المساكين، كما ساهم في إعادة بناء مستشفى قصر العيني. كما لم يحرم نفسه ثواب إعانة المسنين والتخفيف عنهم، فأنشأ دارا لرعايتهم بالتعاون مع وزارة الشؤون المصرية... مما دعا الرئيس المصري، آنذاك، السادات، إلى توجيه الشكر له على مساهماته الخيرية. كما أهداه الرئيس الأسبق مبارك وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في ٤ أكتوبر عام ١٩٨٢م.

■ ولما كان، رحمه الله، حبه للبذل والعطاء جارفا لا ينقطع، وسعيا منه لتوفير سبل الحياة الكريمة وتهيئة فرص عمل للشباب المصري، اشترى أرضا وأنشأ عليها مركزا للتدريب المهني جهزه بالمعدات الفنية والتقنية، ثم أعاد تجديده مرة أخرى عام ١٩٨٧م ملحقا به دارا لتحفيظ القرآن الكريم ومركزا طبيا لعلاج الفقراء بالمجان، مما دعا مبارك إلى تكريمه مرة ثانية وتقليده وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في ١ مارس ١٩٨٨م.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، جاءت تحت العناوين الآتية: «الإيمان» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ/يونيو ١٩٦٥م)، «بين الفقه والولاية» (العدد ٣، ربيع الأول ١٣٨٥هـ/يوليو ١٩٦٥م)، «أعمال تذكر فتشكر» (العدد ٤، ربيع الآخر ١٣٨٥هـ/أغسطس ١٩٦٥م)، «لا تحتقر الطين» (العدد ٥، جمادى الأولى ١٣٨٥هـ/سبتمبر ١٩٦٥م)، «في رحاب القرآن(١)» (العدد ٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ/يناير ١٩م)، «في رحاب القرآن(٢)» (العدد ٨٥، محرم ١٣٩٢هـ/فبراير ١٩٧٢م)، «في رحاب القرآن(٣)» (العدد ٨٦، صفر ١٣٩٢هـ/مارس ١٩٧٢م)، «نظرات في سورة الإخلاص» (العدد ٩٨، صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م).

وفاته

■ بعد تلك الرحلة المباركة من البذل والعطاء والإحسان، توفي الشيخ عبدالعزيز المطوع، رحمه الله، في السابع عشر من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق للسابع من أبريل ١٩٩٦م.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢-٥، ٨٤-٨٦، ٩٨.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣- الموسوعة الكويتية المختصرة، حمد السعيدان، ج٣، ط٣.

٥- محسنون من بلدي، إصدار بيت الزكاة، ج١، ص: ٩٧-١٠٢.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

القارئ والمربي والمعلم الشيخ عبدالله خياط

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ وهب صوتا عذبا وذاع صيته حتى ملأ الآفاق.. تلا القرآن فأبكى، إذ لا تكلف في قراءته ولا تقليد.. كان نسيج وحده في التلاوة.. وأوتي علما واسعا؛ فخطب فأسمع، وكتب فأمتع.

■ بجمال صوته وبلاغة خطبه وسعة علمه أمتع المصلين.. شرّفه الله بإمامة المصلين في بيته العتيق، فقضى بين أروقته جل عمره؛ تلميذا وإماما ومعلما، ولطالما أصغت وخشعت المسامع والمدامع، وربما الطيور، لسماع صوته وهو يتلو كتاب الله العزيز في الحرم أو عبر أثير إذاعة صوت الإسلام من مكة المكرمة.. إنه الشيخ عبدالله بن عبدالغني بن محمد خياط.

■ عاش مجاورا لبيت الله الحرام، إذ ولد في أم القرى في التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٦هـ، لبيت متوسط الحال (ينتهي نسبه إلى قبيلة قضاعة) محب للعلوم الدينية والأدبية؛ فوالده كان ملما ومطلعا على الفقه الحنفي والتفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف.

■ في مدرسة الخياط بمكة المكرمة، تلقى تعليمه الابتدائي.. وفي المدرسة الراقية (على عهد الحكومة الهاشمية) درس المنهج الثانوي.. وفي المدرسة الفخرية حفظ القرآن الكريم كاملا.. وتخرج في المعهد العلمي بمكة المكرمة عام ١٣٥٠هـ.. كما درس العلوم الشرعية على يد علماء المسجد الحرام.

عن الشيخ

■كان إمام المقرئين في زمانه؛ حافظا وقارئا مجيدا للقرآن، وكان عالما بارزا شديد التمسك بمنهج السلف، ورائدا تربويا ربى أجيالا كثيرة؛ منها الحاكم والمحكوم والطالب والأستاذ الجامعي، متواضعا زاهدا.. أخلاق الإسلام وآدابه تراها واقعا في أفعاله وأعماله، وأديبا فهو من أنشط كتاب المقالة الدينية.

أشياخه وتلامذته

■ هيأت له نشأته في أم القرى، ومجاورته للبيت الحرام، فرص الالتقاء بأكبر عدد من علماء الدين

الذين يفدون إلى الحرم المكي، سواء للزيارة أو للمكوث فيه طلبا للعلم الشرعي أو لتدريسه، فرُزق الشيخ، رحمه الله، فرص الجلوس تحت أقدام كوكبة من العلماء يتلقى العلم منهم مباشرة.. وممن تتلمذ الشيخ على يديهم: الشيخ عبدالله ابن حسن آل الشيخ (رئيس القضاة في الحجاز)، والشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح (إمام المسجد الحرام وخطيبه والمدرس فيه)، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة (إمام المسجد النبوي وخطيبه والمدرس فيه - صاهره الشيخ ولازمه)، والشيخ المحدث مظهر حسين (المدرس بالمسجد الحرام)، والشيخ إبراهيم الشورى (مدير المعهد العلمي السعودي)، والشيخ تقي الدين الهلالي (المدرس بالمسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي).... وكثير غيرهم.

■ أما تلامذته فأكثر من أن يحصروا، إذ تتلمذ على يديه -رحمه الله- العلماء والقضاة والأمراء والساسة والوزراء ورجال الدولة وصناع القرار.

تواريخ ومناصب

■ في عام ١٣٤٦هـ، عين الشيخ الخياط إماما للمسجد الحرام بموجب أمر ملكي. وفي عام ١٣٤٧هـ، وبموجب أمر ملكي ثان، عين عضوا في هيئة الأمر بالمعروف. وفي عام ١٣٥٢هـ، عين مديرا للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة. وفي عام ١٣٥٦هـ، اختاره الملك عبدالعزيز ليكون معلما لأنجاله وعينه مديرا لمدرسة الأمراء بالرياض.

■ في عام ١٣٧٣هـ، وبعد وفاة الملك عبدالعزيز، عين الشيخ مستشارا للتعليم في مكة المكرمة. وفي عام ١٣٧٥هـ، أسندت إليه، بالإضافة إلى عمله مستشارا، إدارة كلية الشريعة بمكة. وفي عام ١٣٧٦هـ، عين إماما وخطيبا للمسجد الحرام. بعدها وفي عام ١٣٨٠هـ، صدر أمر ملكي بتعيينه رئيسا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بيد أن الشيخ اعتذر وطلب إعفاءه لظروف خاصة، فاختير بعدها في عام ١٣٨٢هـ ليكون عضوا في مجلس إدارة كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة.

■ في ١٣٨٤هـ، اختير عضوا في لجنة من مجلس التعليم الأعلى لوضع سياسة عليا للتعليم في المملكة. وفي عام ١٣٩١هـ، ومع بداية تأسيس هيئة كبار العلماء، صدر أمر ملكي باختياره عضوا فيها واستثنائه من النظام وعدم إحالته إلى التقاعد مدى الحياة.

وفي عام ١٣٩٣هـ، رشح عضوا في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته

■ خلف الشيخ بعد وفاته إرثا علميا متعدد المشارب، حيث كتب في: العقيدة والفقه والحديث والسيرة، كما كتب في: الأدب والسير والمذكرات والتراجم. ومن أهم كتبه: «التفسير الميسر» في ثلاثة أجزاء، و«الخطب في المسجد الحرام» في ستة أجزاء، و«دليل المسلم في الاعتقاد»، و«اعتقاد السلف»، و«ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه»، و«المصدر الثاني للتشريع الإسلامي»، و«حكم وأحكام من السيرة النبوية»، و«الربا في ضوء الكتاب والسنة»، و«الحدود في الإسلام»، و«شخصيات إسلامية» و«قال لي محدثي»، فضلا عن مشاركات علمية ودعوية متعددة في مختلف وسائل الإعلام، كما كان للشيخ محاضرات وندوات ودروس وقراءات مسجلة من المصحف الشريف في الإذاعة.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة في المجلة، جاءت تحت عنوان «الحلال والحرام» (العدد: ٧، رجب ١٣٨٥هـ/ نوفمبر ١٩٦٥م).

وفاته

أمد الله في عمر الشيخ حتى شاهد كتبه تملأ المكتبات العربية والإسلامية، ويتسابق إليها العلماء، ويحتفى بها طلاب العلم في بقاع العالم الإسلامي، ورأى تلامذته يملأون فضاء الجامعات والكليات والمعاهد العلمية والأدبية. وفي صباح يوم الأحد السابع من شهر شعبان عام ١٤١٥هـ، توفي الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد: ٧.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٤ - جريدة الرياض.

٥ - المكتبة الشاملة.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الداعية المجاهد

الشيخ عبدالفتاح أبوغدة

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● له ولع شديد بكتب العلم، يتتبعها في مظانها، ويصرف وقته وجهده وماله في سبيل اقتنائها وخدمتها.. لدرجة إن علم أن كتابا يرغبه في مكان ما، سافر إليه آلاف الأميال وضرب في أصقاع الأرض، ليحصّله، بل ربما نذر النذور أو باع أغلى ما عنده ليشتري مرجعا يطلبه؛ حتى غدا أحد أهم المراجع الحية في العالم الإسلامي في معرفة الكتب؛ مخطوطها ومطبوعها، وتجمعت لديه مكتبة بها أمهات الكتب والنسخ النادرة.

● نشاطه في طلب العلم كان عجيبا، وتميز بخدمته ونشره؛ فكثرت أسفاره إلى مختلف أرجاء العالم، فلا تكاد تراه مستقرا في مكان حتى يشد الرحال إلى غيره بمجرد علمه أن هناك من يمكن أن يأخذ عنه علما، أو بيئة صالحة يستطيع أن يدعو إلى الله فيها، ففضلا عن معظم الدول العربية، زار الهند وباكستان وتركيا وأميركا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا وماليزيا وهولندا.. وغيرها كثير.. إنه العلامة، الفقيه، الأصولي، المحدث المجاز، الإمام المحقق في علم الحديث ومصطلحه، الرحّالة في طلب العلم ونشره، الداعية المجاهد الشيخ عبدالفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبو غدة.

النشأة والتكوين العلمي

● ولد في مدينة حلب الشهباء، في ١٧ رجب ١٣٣٥هـ الموافق ٩ مايو ١٩١٧م، في حي الجبيلة لأسرة عرفت بالفضل والصلاح وحب العلم والعلماء.. ينتهي نسبها (من جهة والده) إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

● في أحد كتاتيب حيه تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى إحدى المدارس الابتدائية، وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره التحق بمدرسة الخسروية (نسبة إلى خسرو باشا، وتعرف الآن بالثانوية الشرعية)، وفيها درس مختلف العلوم الشرعية. أما علوم اللغة العربية فقد درسها في حلب، كما حصّل بعض العلوم الكونية كالرياضيات والفيزياء والعلوم العامة والجغرافيا.

قاهرة المعز.. ومشايخه

● بعد الخسراوية قصد مصر، والتحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتخرج فيها عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ثم درس تخصص «أصول التدريس» في كلية اللغة العربية في الأزهر أيضا وتخرج فيها عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، بعدها آب إلى حلب.

● في القاهرة التقى أكثر شيوخه تأثيرا في تكوينه العلمي أمثال: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ المفتي حسنين محمد مخلوف، والشيخ محمد أبو زهرة.. وكثر غيرهم.

● لكن شيوخه ومعلميه لم يقتصروا على سورية ومصر فقط، بل جلس تحت أقدام علماء الأمة المعاصرين له، الذين بلغوا مئة وثمانين شيخا

(بحسب كتاب «إمداد الفتاح بأسانيد عبدالفتاح» لتلميذه الشيخ محمد الرشيد النجدي)، وأكثرهم أخذ عنهم علم الحديث الشريف، وحصل على إجازاتهم: ففي الهند، أخذ من: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ المفتي عتيق الرحمن والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.. وغيرهم، وفي باكستان: الشيخ محمد شفيع والشيخ عبدالرشيد النعماني، وفي المغرب: الشيخ أحمد الغماري، والشيخ عبدالله الغماري والشيخ عبدالحفيظ الفاسي.. وغيرهم، وفي الحجاز: الشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن بن محمد المشّاط والشيخ السيد علوي بن عباس المالكي.. وغيرهم.

حياته العملية

● بعد تخرجه في الأزهر عاد إلى حلب؛ فعمل مدرس تربية دينية في عدد من ثانويات حلب، وشارك في تأليف بعض كتبها، كما كانت له دروس في الفقه الحنفي والحديث الشريف في مدرستي «الخسروية»، و«الشعبانية»، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

● في عام ١٩٦١م، انتخب نائبا في البرلمان السوري، فبذل وسعه في نصرة قضايا الإسلام والمسلمين، بعدها بأربعة أعوام حُلّ المجلس، فغادر الشيخ إلى السعودية، ليعمل مدرسا في جامعتي الرياض والإمام محمد ابن سعود (والأخيرة كان عضوا في مجلسها العلمي، وعضوا في لجنة وضع الخطط والمناهج العلمية فيها)، كما عمل أستاذا في المعهد العالي للقضاء، وأستاذا لطلاب الدراسات العليا، ومشرفا على الرسائل العلمية، وانتدب أستاذا زائرا إلى كل من: جامعة أم درمان الإسلامية، والجامعة الأردنية، وجامعة صنعاء، وجامعات: المغرب والهند وباكستان وتركيا والجزائر.. وغيرها.

عن الشيخ

● أسرته الكتب؛ اقتناء وقراءة وتأليفا وتحقيقا واعتناء، وشُغف بمختلف ألوان الثقافة؛ وكان، رحمه الله، يقول: «الكتب هي الرئة التي يتنفس العالم أو طالب العلم من خلالها».

● كان مهيب الطلعة، منير الوجه، كساه الشيب إشراقا ووقارا، ومنحه اشتغاله بذكر الله وبحديث النبي ﷺ وسيرته صفاء واستبشارا.. وكانت له عناية فائقة وخاصة بكتبه ومكتبته وطريقة تعامله مع الكتاب.

● تميز بأدب رفيع تجاه السلف الصالح، يشهد بذلك كتاباه: «قيمة الزمن عند العلماء»، و«صفحات من صبر العلماء على الشدائد»، يقول في مقدمته لهذا الكتاب: «وترحمت على صاحب الخبر المذكور في الأصل أو التعليق، لئلا أدخل تحت قول الإمام أبي محمد التميمي الحنبلي البغدادي: يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا».

مؤلفاته.. وزوجته

● للشيخ أكثر من سبعين مؤلفا، أغلبها في علم الحديث، منها: المحققة: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للإمام عبدالحي اللكنوي، «قواعد في علم الحديث» لشيخه الشيخ ظفر أحمد التهانوي الباكستاني الحنفي، «فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية» وهو في فقه الإمام أبي حنيفة.. وكثير غيرها. والمؤلفة: «قيمة الزمن عند العلماء» و«أمراء المؤمنين في الحديث» و«الإسناد من الدين».. وكثير غيرها.

● الشهرة، وإن عمت الآفاق، لم تكن هدفا له، لكن الحرص على خدمة الكتاب؛ شكلا ومضمونا، كان شغله الشاغل، ولذا كان الكتاب يبقى لديه حبيس التأليف والتحقيق سنين طويلة، حتى إذا اطمأن إلى قرب اكتماله وعلو فائدته، أرسله إلى المطبعة، وعكف شخصيا على مراجعته مرات تلو مرات، تعاونه في ذلك زوجته بجهد لا يفتر، لاسيما بعد أن ضعف بصره، فما توقف إنتاجه العلمي حتى آخر أيام حياته.. فجزاها الله أفضل الجزاء.

إسهاماته في «الوعي»

● للشيخ مساهمتان في المجلة، جاءت أولاهما تحت عنوان «قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (١)» (العدد: ٥٤، جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/أغسطس ١٩٦٩م)، والثانية بعنوان: «قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (٢)» (العدد: ٥٨، شوال ١٣٨٩هـ/ديسمبر ١٩٦٩م).

وفاته

● في أواخر حياته تسلمته الآلام؛ فتحملها بصبر واحتساب، وفي يوم الأحد ٩ شوال ١٤١٧هـ، توفي في الرياض، مخلفا حزنا وأسى في أرجاء العالم الإسلامي، وصُلي عليه، ثم نقل جثمانه في طائرة خاصة إلى المدينة، وأعيدت الصلاة عليه في حرم المصطفى ﷺ ثم ووري الثرى في «البقيع»، وأقيمت له مجالس عزاء عدة في: الرياض، المدينة، حلب (مسقط رأسه)، دمشق وبيروت.. وكثير من مدن العالم الإسلامي، ونعته وكتبت عنه صحف ومجلات، ورثاه عدد من شعراء العالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي»
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- موقع الشيخ عبدالفتاح أبوغدة على الإنترنت.
٤- رابطة العلماء السوريين.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الشيخ الأديب القانوني
العلامة مصطفى الزرقا

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ فقيه حنفي، أصولي، نحوي وشاعر.. نشأ في أحضان أب وجد كانا فقيهين ذائعي الصيت في بلاد الشام، وعائلة تمرست العلم واستهواها.

■ تميز بفكر نيّر، متفتح، ناقد، بعيد عن التقليد أو التعصب؛ ورغم كونه حنفي المذهب بحكم دراسته له على والده وجده، فإنه كثيرا ما كان يخرج عليه إذا رأى غيره أرجح من ناحية الدليل، لمراعاة النص، أو لتحقيق مقاصد الشرع.. إنه الشيخ مصطفى أحمد الزرقا.

■ ولد الشيخ بمدينة حلب السورية عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م في بيت علم وصلاح؛ فوالده هو الفقيه الشيخ أحمد الزرقا مؤلّف «شرح القواعد الفقهية»، وجدّه العلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا، وكلاهما من كبار العلماء الأحناف في الشام.

■ منذ نعومة أظفاره دفعه والده لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة والحساب وعلوم اللغة العربية؛ نحوها وصرفها، ثم تلقى تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الفرنسية، رغبة من والده في تزويده باللغات الأجنبية والثقافات الحديثة.

الخسروية

■ في شبابه أراد العمل في التجارة، لكن جده أصرّ على إلحاقه بالمدرسة «الخسروية»؛ ليأخذ عن علماء حلب وفقهائها مختلف العلوم الشرعية والعربية والكونية؛ فدرس فيها الفقه الحنفي (على يد والده)، وأخذ علم الحديث والسيرة من العلامة المؤرخ الأديب الشيخ محمد راغب الطباخ، ومن الشيخ العلامة محمد الحنيفي أخذ علم التوحيد والتفسير والبلاغة، وقرأ على العلامة الفقيه الأصولي النحوي الشيخ أحمد المكتبي شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ودرس النحو والفقه الحنفي على يد العلامة الفقيه النحوي الشيخ أحمد الكردي.. كما أخذ عن العلامة الشيخ إبراهيم السلقيني، والعلامة الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشمّاع، وعلامة عصره الشيخ محمد الناشد الملقب بـ«الزمخشري الصغير».

■ كان لأربعة من علماء «الخسروية» الكبار تأثير بالغ في شخصية الزرقا، وحياته الفكرية والاجتماعية، وتكوينه العلمي والأدبي والثقافي، هم: جده ووالده وشيخاه الطباخ والحنيفي؛ أما جده، فقد رسم له منهج حياته العلمية من خلال إلحاقه بـ«الخسروية»؛ وأما والده، فكان يمضي معه معظم الليل يدارسه كتب الفقه والأدب؛ وأما شيخاه الطباخ والحنيفي، فقد علماه حرية التفكير والبحث وربط العلم بالحياة.. يقول الزرقا عنهما: «فلهذين الأستاذين -بعد والدي- أكبر الأثر في تثبت خطاي في الطريق العلمي الصحيح».

شرعي وقانوني وأديب

■ لم ترو «الخسروية» ظمأه العلمي، فقد كان متطلعا إلى المزيد؛ فحصل

على شهادة الثانوية في شعبتيها (العلوم والآداب - الفلسفة) بتفوق منقطع النظير، والتحق بعدها بكليتي الحقوق والآداب معا في الجامعة السورية، وتخرج فيهما في عام واحد (فكان بذلك أول من جمع في سورية بين الثقافات الثلاث الشرعية والقانونية والأدبية).

■ بعدها توجه إلى القاهرة وحصل فيها على «دبلوم الشريعة الإسلامية» من كلية الحقوق بجامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة).

حياته العملية

■ بعد تخرجه من «الخسروية» عمل فيها مدرسا لمادتي الفقه الحنفي والأدب العربي، ثم تولى دروس والده في الجامع الأموي وجامع الخير وفي المدرسة «الشعبانية»، كما مارس المحاماة لعشر سنوات تقريبا.

■ عين مدرسا في كلية الحقوق في جامعة دمشق، ثم رئيسا لقسم الحقوق المدنية والشرعية، كما حاضر في كليتي الشريعة والآداب في الجامعة نفسها.

■ في عام ١٩٦٦م، دعته وزارة الأوقاف الكويتية ليكون خبيرا للموسوعة الفقهية فيها. وفي عام ١٩٧١م، دعته الجامعة الأردنية للتدريس في كلية الشريعة. وفي عام ١٩٨١م، اختارته الدائرة القانونية في الأمانة العامة بجامعة الدول العربية عضوا في لجنة الخبراء. كما شارك في عدد من المجامع الفقهية واللجان القانونية الرسمية وفي تأسيس وتطوير عدد من الجامعات العربية في دمشق والقاهرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

■ في عام ١٩٥٦م، تولى وزارة العدل السورية، ثم وزارة الأوقاف عام ١٩٦م، كما انتخب نائبا عن مدينة حلب في المجلس النيابي السوري لدورتين تشريعيتين عام: ١٩٥٤م و١٩٦١م، وظل مستقلا، ولم ينتم إلى أي جماعة أو حزب.

شيوخه وتلامذته

■ يأتي في مقدمة أساتذته وشيوخه والده وجده اللذان درس عليهما الفقه الحنفي وقواعد الأحكام العدلية، ثم العلامة الفقيه النحوي الشيخ أحمد المكتبي الشافعي، والشيخ محمد الحنيفي، والعلامة المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ إبراهيم السلقيني الجد، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد الناشد.

■ أما تلامذته فقد صرف الشيخ حياته المباركة في بذل العلم وإفادة الطلاب، ولذلك كثر طلابه والآخذون عنه، ومن أشهرهم: الشيخ المحدث عبدالفتاح أبو غدة، الفقيه الحنفي الشيخ محمد الملاح، اللغوي الأديب عبدالرحمن رأفت باشا، الفقيه الأصولي الشيخ محمد فوزي فيض الله.

منهجه العلمي

■ رسم الشيخ لنفسه منهجا علميا يقوم على أسس هي: الاستقلال في الفهم والبعد عن العصبية المذهبية، التخفيف والتيسير والبعد عن الحرج بضوابطه الفقهية، تطبيق مبدأ سد الذرائع، الأخذ بفقه الضرورة، التعليل للحكم الفقهي، ذكر الحكم الديني بجانب الحكم القضائي، الاستدلال بالقواعد الفقهية والأصولية، إحالة المستفتي إلى كتاب يستوفي الموضوع، سؤال إخوانه من أهل العلم، إيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة، تقييد الفتوى بقيود وضوابط.

إرثه العلمي

■ اهتم الشيخ الزرقا بإصدار سلسلتين علميتين: الأولى: السلسلة الفقهية، وعنوانها العام: «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد»، وقد بلغت أجزاؤها أربعة مجلدات. بينما الثانية: السلسلة القانونية، تتألف من ثلاث مجلدات في «شرح القانون المدني السوري». وقد حوت هذه السلسلة مقارنات كثيرة بالفقه، وأبرزت بوضوح ما يتميز به الفقه الإسلامي من إحاطة ودقة وشمول.

■ ومن فيض مؤلفاته نذكر: «أحكام الأوقاف»، «في الحديث النبوي»، «الفعل الضار والضمان فيه»، «نظام التأمين والرأي الشرعي فيه».. وغيرها كثير.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ للشيخ ثلاث مساهمات في المجلة، جاءت أولاها تحت عنوان «خصائص التشريع الإسلامي» (العدد: ١٤، صفر ١٣٨٦هـ/ مايو ١٩٦٦م)، والثانية بعنوان: «حجة الشريعة على العقل» (العدد: ٢٥، المحرم ١٣٨هـ/أبريل ١٩٦٧م)، والأخيرة بعنوان: «موسوعة الفقه الإسلامي» (العدد: ٢٦، صفر ١٣٨هـ/مايو ١٩٦٧م).

وفاته

■ ظل الشيخ على نشاطه وعطائه العلمي إلى أن أدركته المنية في مدينة الرياض في السعودية، يوم السبت ١ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩م، بعد أذان العصر وهو جالس ينقح الفتاوى ويبوبها.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ١٤ و٢٥ و٢٦.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع رابطة العلماء السوريين.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

بنّاء العقول

الشيخ مناع القطان

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ شخصيته جذابة سمتها الوضوح والنقاء، وروحه شفافة عنوانها التأمل والصفاء.. هدفه يخط وسيلته التي لا يحيد بها أي انحراف أو زيغ عن استقامتها.. مزيات للقرية، حيث الواقع العملي «ازرع تحصد» والطبيعة الخلابة والمجتمع الإسلامي المحافظ والبساطة والأفق الممتد، صبغت بها نشأته.

■ هو ابن الريف المصري، وتحديدا من قرية شنشور، التابعة لمركز أشمون من محافظة المنوفية، وإليها ينسب الشيخ الشنشوري (شارح الرحبية في علم الفرائض)، ولد فيها في أكتوبر من عام ١٩٢٥م/١٣٤٥هـ، لأسرة متدينة متوسطة الحال، محبة للعلم.

■ وهو أحد فرسان الدعوة الإسلامية، ومن أمهر بنائي عقول أبنائها؛ يتعهدهم براعم صغيرة ليجني المجتمع ثمرة زرعه سواعد فتية مؤمنة تعرف واجبها تجاه دينها وأمتها ووطنها.. إنه الشيخ العلامة المربي مناع خليل القطان.

نشأته العلمية.. وحياته العملية

■ كشأن أقرانه في ذاك الزمان، بدأ حياته العلمية من كتاب القرية، الذي حفظ فيه كتاب الله تعالى، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره التحق بالمعهد الديني الأزهري بمدينة شبين الكوم، ثم كلية أصول الدين في القاهرة.

■ في بواكير عمره بدأ نشاطه العملي؛ فانتخب رئيسا لطلبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكان مسؤولا عن النشاط الطلابي في الجامعة؛ يعمل على تهيئة الطلاب وإعدادهم ركائز متميزة ليصبحوا فيما بعد رجالا يحملون هم الدعوة وهم أمتهم.

■ لم يكتف الشيخ، رحمه الله، في أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، بشحذ همم الطلاب وحثهم على الجهاد وإعدادهم لحمل أعبائه، بل شارك متطوعا في قيادة شباب كتائب المتطوعين في الحرب.

إلى السعودية

■ غادر القاهرة عام ١٩٥٣م معارا إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعاهد العلمية، التي استمر فيها إلى عام ١٩٥٨م، ومن ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية.

■ مع افتتاح المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٧هـ، أصبح الشيخ عضوا في مجلسه، ثم أمينا لسر المجلس، ثم مديرا له، ثم صار عضو هيئة التدريس بدرجة أستاذ، ثم مديرا للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد ابن سعود، فضلا عن رئاسته اللجنة العلمية لكلية البنات، كما كان عضوا بلجنة السياسة التعليمية في المملكة.

■ أشرف على رسائل للماجستير والدكتوراه في جامعات محمد

ابن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بلغ عددها ١١٥ رسالة. وكان، رحمه الله، مشرفا على مواد التشريع الإسلامية بكلية قوى الأمن الداخلي، وعضوا في مجلس إدارة مدارس الرياض.

■ مع صدور أمر ملكي بتشكيل لجنة للتعليم بالمملكة بغية وضع سياسة تعليمية يكون من مهامها النظر في مناهج التعليم بمراحله المختلفة، وصياغتها صياغة جديدة تناسب منزلة المملكة في العالم الإسلامي، وتراعي أحدث النظريات والأساليب التربوية، عين فضيلته عضوا فيها، ثم اختارته اللجنة مقررا لها.

شيوخه وتلامذته

■ درس الشيخ على نخبة من علماء عصره، مثل: الشيخ عبدالمتعال سيف النصر والشيخ علي شلبي والشيخ محمد زيدان.. وكثيرين غيرهم، لكن أبرز من تأثر به في تلك الفترة وارتبط به ارتباطا قويا كان الشيخ عبدالرازق عفيفي، الذي شاء الله أن يلتقيه ويصاحبه مرة أخرى في المملكة؛ أستاذا وزميلا وصديقا.

■ كما تتلمذ على يديه علماء وقضاة كثر معاصرون له، منهم: وزير العدل السعودي السابق الدكتور عبدالله آل الشيخ (قال عنه: «درست على يديه في المعهد العلمي، وفي كلية الشريعة»)، والدكتور إبراهيم السماري (قال عنه: «درست على يديه في كلية الشريعة، وأشرف على رسالتَي للماجستير والدكتوراه»)، والمفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ (قال عنه: «درست عليه مادة التفسير عندما كنت طالبا في جامعة الإمام محمد بن سعود»).

مؤلفاته

■ كان ملهما، وقلمه مدرارا، وأفكاره تنبع من عين ثرة صافية، فبلغت مؤلفاته رقما كبيرا في موضوعات شتى، منها: تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، وتفسير آيات الأحكام، ومباحث في علوم القرآن الكريم، ونزول القرآن على سبعة أحرف، والتشريع والفقه في الإسلام: تاريخا ومنهجا.. وغيرها كثير.

علم التفسير

■ المتتبع لآثار الشيخ، كتابا أو مقالا أو حديثا أو محاضرة، لا يفوته إدراك ولعه وشغفه بعلم التفسير، ووضوح هذا الاتجاه في مؤلفاته، إذ إن الإيحاءات القرآنية أشد العناصر بروزا في هذه الآثار؛ فالشيخ يجد في القرآن (بوصفه المصدر الأول للتشريع الإسلامي) من الإعجاز التشريعي ما يكفل قيام الحضارة الفاضلة في كل عصر، وبدافع من هذا الحب تولى تدريس التفسير وعلومه منذ تخرجه.

من أقوال الشيخ

- «لكل مجتمع آلامه وآماله التي تنبعث من صميم بيئته، فهو يتطلع إلى مبضع يبرئ سقمه في لطف، ويعيد إليه عافيته، وما لم تلمس موعظة الداعية حقائق مشكلاته؛ يسبر أغوارها، ويشخص علاجها، صم آذانه عن الاستماع إليها».

- «لكل عصر مشكلاته التي تتجدد معه بتجدد الحياة وأفكارها، ونظرة العقل البشري إليها، فالذي يخاطب عصره بمشكلات عصر آبائه وأجداده، أو معضلات بيئته، كالذي يصيح في واد، أو ينفخ في رماد».

- «على كاهل العلماء يقع العبء الثقيل في مسيرة الجيل، والوقوف في وجه التيارات الغازية، واستئناف حياة إسلامية صحيحة».

- «إن الأمة قد ترزأ في اقتصادها، واحتلال أرضها، أو تخلف حياتها، ولكنها تظل أمة حية تنبض بمعاني القوة، ما دامت معتصمة بدينها، مؤمنة بعقيدتها، واثقة بنصر الله لها».

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب تحت عناوين: «رفع الحرج في الشريعة ١» (ع:٤٣، رجب ١٣٨٨هـ/سبتمبر ١٩٦٨م)، «رفع الحرج في الشريعة ٢» (ع:٤٩، المحرم ١٣٨٩هـ/مارس ١٩٦٩م)، «رفع الحرج في الشريعة ٣» (ع:٥٤، جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ/أغسطس ١٩٦٩م)، «الطريق إلى الله» (ع:٥٦، شعبان ١٣٨٩هـ/أكتوبر ١٩٦٩م)، «نشأة الفقه الإسلامي ١» (ع:٦٨، شعبان ١٣٩٠هـ/أكتوبر ١٩٧٠م)، «نشأة الفقه الإسلامي ٢» (ع:٧٠، شوال ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م)، «دروس من الهجرة النبوية» (ع:٩٨، صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م).

وفاته

■ توفي الشيخ مناع القطان، رحمة الله عليه، عن ٧٥ عاما، بعد عمر حافل بالعطاء لدينه وأمته ووطنه، في يوم الاثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠هـ/١٩ يوليو ١٩٩٩م، وصلي عليه في مسجد الراجحي، ودفن في مقابر النسيم بالرياض، بعد مرض عضال أصاب كبده.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٤٣، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٦٨، ٧٠ و٩٨.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- المكتبة الشاملة.
٥- أعلام من بلدي.



هشام الصباغ
باحث لغوي

أديب الفقهاء وفقيه الأدباء
الشيخ علي الطنطاوي

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ إن «هـم» بإبكائك.. بكيت، وإن «نوى» إضحاكك ضحكت، وإن «قصد» إدهاشك تعجبت من سلبه عقلك؛ فلهجته صادقة، وتصويره بارع، وعباراته عذبة، وفكرته عميقة.

■ إن ذكر أحدهم: «إن من البيان لسحرا».. قفز اسمه إلى خاطرك فورا؛ إذ يتوسل أسلوبا سلسا يتسلل إلى شغاف القلوب فتفهم مراده.. رائقا عذبا يتلألأ أصالة وبيانا فتطرب له وتتمايل معه.. عميقا براقا يغوص بك في آفاق المعرفة فتتفاعل معه.

■ إن تقرأ له تجد سرده بعبارات سهلة، فينتابك شعور بأن الكتابة وفق أسلوبه أمر هين، فإن شرعت في الأمر عجزت عن محاكاته وألفيت نفسك أمام بيان على «السهل الممتنع».

■ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (الإسراء:٥٣)،.. عقلها واستوعبها وهضمها فأنتجها واقعا حيا؛ فحديثه ماتع يشد ذوي الأبصار والبصائر، وما تخطه يمينه وما يخرج من فيه، يفهمه من كانت بضاعته مزجاة في العلم والأدب سواء بسواء مع ذوي الصنعة والشأن بها.. إنه الأديب الأريب، القاضي المربي، الكاتب الصحافي، المعلم المؤدب، الشيخ الفقيه المحدث علي الطنطاوي.

النشأة والتعليم

■ أسرته أصلها من مصر، وتحديدا من طنطا (عاصمة محافظة الغربية)، نزح منها جده (الأزهري العالم بالشرع والخبير بالفلك والرياضيات) وعمه عام ١٢٥٥هـ إلى الشام.. لكن الشيخ ابن لدمشق، ففيها ولد عام ١٩٠٩م، لعائلة ذائعة الصيت في العلم والفقه؛ فخاله هو الكاتب الأديب المحقق الصحافي المؤرخ محب الدين الخطيب، وأبوه كان عالما، وأمينا للفتوى في دمشق، ومديرا لإحدى المدارس، ورئيسا لديوان محكمة النقض؛ قال عنه الشيخ: «كنت منذ وعيت أجد (إذا أصبحت) مشايخ بعمائم ولحى يقرأون على أبي».

■ الشيخ ممن تشربوا العلم من منهلين: المشايخ والمدارس النظامية؛ ففي طفولته تنقل بين عدة مدارس ابتدائية، فدرس في «المدرسة التجارية»، ثم التحق بـ«المدرسة السلطانية الثانية»، فـ«المدرسة الجقمقية»، ثم نال البكالوريا من «مكتب عنبر» (الثانوية الوحيدة وقتذاك)، عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.. بعدها التحق بكلية الحقوق ونال الليسانس سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، كما قصد كلية دار العلوم بمصر، وكان الطالب الأول من الشام الذي يؤم مصر للدراسة العالية. كما تلقى العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية على يد كبار المشايخ.

حياته العملية

■ نزعته الوطنية وحماسته قادتاه في جهاده ضد الاستعمار.. وحبه للعلم ونشره دفعه للعمل مدرّسا في مدارس: دمشق وبغداد وكركوك والبصرة وبيروت.

■ في عام ١٩٦٠م كُلف بوضع مناهج الدروس، فوضعها وحده بعد سفره لمصر والتقائه بعلماء الأزهر.. واعتمدت كلها كما وضعها.

■ كما تولى القضاء وظهر نبوغه وتميزه في هذا المجال أيضا، وعمل في صياغة قوانين الأحوال الشخصية.

من أقدم إعلاميي العالم

■ في عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م بدأ يحاضر في إذاعة يافا، وفي إذاعة بغداد عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، وفي إذاعة دمشق عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.. لذا يعد الشيخ من أقدم مذيعي العالم بأسره..

■ في السعودية كان للشيخ برنامجان ظل يقدمهما لنحو ربع قرن: أحدهما إذاعي يومي (مسائل ومشكلات)، والآخر تلفزيوني أسبوعي (نور وهداية).

■ بدأ عمله بالصحافة باكرا (عام ١٩٢٦م)، حيث نشر أول مقال له في جريدة «المقتبس»، وكانت للمقال قصة طريفة مع مؤسسها وصاحبها ذكرها الشيخ بنفسه: «غدوت على إدارة المقتبس فسلمت على الأستاذ أحمد كرد علي، رحمه الله ورحم جريدته، ودفعت إليه المقال. فنظر فيه فرأى كلاما مكتهلا، ونظر في وجهي فرأى فتى فطيرا، فعجب أن يكون هذا من هذا، وكأنه لم يصدقه، فاحتال عليّ حتى امتحنني بشيء أكتبه له (....) فأنشأته له إنشاء من يسابق قلمه فكره، فازداد عجبه مني ووعدني بنشر المقال غداة الغد (....) حتى إذا انبثق الصبح وأضحى النهار أخذت الجريدة، فإذا فيها المقال وبين يديه كلمة ثناء لو قيلت للجاحظ لرآها كبيرة عليه».

■ بعده لم ينقطع عن الصحافة قط، فشارك في تحرير مجلتي خاله محب الدين الخطيب: «الفتح» و«الزهراء»، وعمل في جريدة «فتى العرب» مع الأديب الكبير معروف الأرناؤوط، ثم في «ألف باء» مع شيخ الصحافة السورية يوسف العيسى، ثم كان مديرا لتحرير جريدة «الأيام».

■ كتب مئات المقالات، نُشرت في عشرات الصحف والمجلات العربية والإسلامية، التي كان يعجز هو نفسه عن حصرها وتذكر أسمائها، مثل: «الناقد» و«الشعب»، و«مجلة المسلمون»، و«الأيام» و«النصر»، و«مجلة الحج» (في مكة) و«المدينة»، وأخيراً نشر ذكرياته في «الشرق الأوسط».. كما كان أحد كتّاب «الرسالة» لعشرين سنة، ورأس تحريرها حين مرض صاحبها أحمد حسن الزيّات.

السعودية والشيخ

■ احتضنت المملكة الشيخ، واستقبلته الرياض عام ١٩٦٣م، مدرسا في كلياتها ومعاهدها (حاليا تعرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، وظل يتردد بين مكة وجدة إلى أن توفاه الله «خمسة وثلاثين عاما».

■ لعبقرية الشيخ وألمعيته كلفته المملكة بتنفيذ برنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكلية وجاب مدارس السعودية وجامعاتها لإلقاء المحاضرات والندوات، ثم تفرغ للإجابة عن الفتاوى في مجلس خصّص له في الحرم وفي بيته.

إرثه العلمي

■ مؤلفاته وكتبه في ميادين الإصلاح المختلفة كثيرة متعددة الاتجاهات تشهد له بعمق الفكرة وطول الباع وسلامة المنهج، منها: ذكريات علي الطنطاوي (٨ أجزاء)، فِكَر ومباحث، صور وخواطر، مع الناس، هتاف المجد، مقالات في كلمات، صيد الخاطر (تحقيق وتعليق)، من حديث النفس، من نفحات الحرم، بغداد: مشاهد وذكريات، في إندونيسيا، أبو بكر الصديق، أخبار عمر، رجال من التاريخ، أعلام من التاريخ (٧ أجزاء)، قصص من التاريخ، حكايات من التاريخ، دمشق، الجامع الأموي، فصول إسلامية، في سبيل الإصلاح، تعريف عام بدين الإسلام (مترجم للكثير من اللغات)، فتاوى علي الطنطاوي.

إسهاماته في «الوعي»

■ للشيخ مساهمات عدة في المجلة، منها: «نحن والحضارة الغربية» (ع:٦، جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ/أكتوبر ١٩٦٥م)، و«سبحان مقسم الأرزاق» (ع:٩، رمضان ١٣٨٥هـ/يناير ١٩٦٦م)، «دليل الحاج» (ع:١٢، ذو الحجة ١٣٨٥هـ/مارس ١٩٦٦م)، «عام جديد» (ع:١٣، محرم ١٣٨٦هـ/أبريل ١٩٦٦م)، «عبرة من تاريخنا» (ع:١٨، جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ/سبتمبر ١٩٦٦م)، «زورق الأحلام» (ع:٢٢، شوال ١٣٨٦هـ/يناير ١٩٦٧م)، «ما هي السماء» (ع:٢٥، محرم ١٣٨٧هـ/أبريل ١٩٦٧م)، «أربع قواعد للإيمان» (ع:٣٥، ذو القعدة ١٣٨٧هـ/يناير ١٩٦٨م).

وفاته

■ بات الشيخ يتورع من الفتوى آخر أيام حياته؛ خشية الزلل والنسيان، ودهمه المرض فصار يتنقل بين البيت والمستشفى، حتى فاضت روحه لبارئها بمستشفى الملك فهد بجدة ١٨ يونيو ١٩٩م، ودفن في مكة في اليوم التالي بعدما صُلي عليه في الحرم المكيّ الشريف.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- رابطة العلماء السوريين.
٤ – المكتبة الشاملة.



هشام الصباغ
باحث لغوي

شيخ العلماء المحققين
العلامة محمد محيي الدين عبدالحميد

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ سيرته ناصعة تشرق بأنوار المعرفة، وتتدفق ينابيعها بأنفس ما في تراث أمتنا؛ فقد انقطع إلى العلم؛ صابرا ومرابطا ومجاهدا، وتبتل في محرابه؛ مؤلفا ومحققا ومفسرا، وشغف بإحياء التراث، عربيا كان أو إسلاميا؛ شارحا ومنقحا ومخرّجا.

■ إن نظرت إلى كتبه المتنوعة في التخصص وكثرتها، وجدت نفسك أمام عالم موسوعي، أو جامعة تسعى على قدمين، وتملكك العجب: من أين أتى بوقت لإخراج هذا الإنتاج الغزير؛ تأليفا وتحقيقا، رغم كثرة مناصبه ومسؤولياتها، وانشغاله بالمجامع وعضوياتها؟!

■ من أشهر شارحي كتب القدماء وأحد رواد مدرسة التحقيق العلمي ونشر نصوص التراث، أخرج عشرات المصنفات الذائعة في شتى العلوم، قدمها بشروح ضافية، وهوامش دقيقة سامية، ارتوت منها العقلية الإسلامية والعربية، ونهل من معينها الذي لا ينضب القاصي والداني.. حتى أصبح كوكبا دريا في التحقيق والتأليف، ما استدعى تلقيبه بشيخ العلماء المحققين.

■ ولأن مؤلفاته وتحقيقاته وشروحاته ملأى بالعلم والفوائد، فقد سارت في الدنيا مسير الضوء في الآفاق، فأخذتها جامعات ومعاهد ومدارس ودور علم نبراسا وهادية لها وقررتها على طلابها.. ولقد أتى على «الأزهر» حين من الدهر وجل ما يدرس في معاهده من تأليف الشيخ أو إخراجه وتحقيقه.. لذا يندر أن تجد أحدا من دارسي العربية في العالم لم يتتلمذ على كتبه أو لم يستفد منها.. فقد كان أحد المجددين في اللغة، معالجا لمعظم كتب النحو وميسرا لدراستها، وتذليل قراءتها، بدءا من الآجرومية وانتهاء بشرح الأشموني للألفية.

■ على كل عزيز وغال آثر خدمة العلم، منكبا عليه لا يعوقه مرض أو مسؤوليات منصب.. ولا طالب علم في اللغة على وجه البسيطة إلا ويعرف قدره، لأنه إن فاته أن يتتلمذ على يديه، فقد تتلمذ على كتبه، وتحقيقاته، وشروحه.. إنه الشيخ العلامة الإمام محمد محيي الدين عبدالحميد.

النشأة والتعليم

■ من مواليد محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية، وتحديدا قرية «كفر الحمام» عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، لأب عالم أزهري من رجال القضاء والفتيا دفع به إلى من يحفظه القرآن ويعلمه مبادئ القراءة والكتابة، حتى إذا انتهى من ذلك ألحقه بمعهد دمياط الديني حين كان يعمل قاضيا بفارسكور ودمياط، ثم نقله إلى معهد القاهرة عندما أصبح مفتي وزارة الأوقاف،

ثم ألحقه بالأزهر حتى نال في عام ١٩٢٥م، شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة دراسية تنال هذه الدرجة وفق طريقة دراسية منتظمة.

■ كان لترعرعه في بيت علم الأثر الكبير في نشأته محبا للعلم والتعلم، فقد شب وهو يرى كبار رجال العلم والقضاء يجتمعون مع أبيه في البيت ويتطارحون مسائل الفقه والحديث واللغة، فتاقت نفس الصغير إلى أن يكون مثل هؤلاء؛ فانكب على القراءة والمطالعة؛ تسعفه نفس دؤوبة، وذاكرة واعية، وهمة عالية، وطموح وثاب. وكان من ثمرة ذلك قيامه بشرح مقامات بديع الزمان الهمذاني شرحا مسهبا مستفيضا مشحونا بدرر الفوائد العلمية وتفسير الإشارات الأدبية والتاريخية التي تمتلئ بها مقامات الحريري، ونشر ذلك العمل وهو لا يزال طالبا قبل أن يظفر بدرجة العالمية، وصدّر هذا الشرح بإهداء إلى والده عرفانا بفضله عليه.

حياته العملية

■ تتلمذ على جيل الرواد من العلماء الكبار، وكان أول دفعته، فاختير مدرسا بالجامع الأزهر. ولإشراق دلائل علمه ونبوغه اختير بعدها بخمس سنوات مدرسا بكلية اللغة العربية، وكان أصغر أعضاء هيئة التدريس سنا، ثم مدرسا لتخصص المادة لطلبة الدراسات العليا، فمفتشا بالمعاهد الدينية، ثم وكيلا بكلية اللغة العربية، فأستاذا بكلية أصول الدين، ثم صار عميدا لكلية اللغة العربية، وعضوا بمجمع اللغة العربية، وشغل أيضا منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، كما كان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، وتولى رئاسة لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

■ سمعه الشيخ محمد مصطفى المراغي (شيخ الأزهر) فعهد إليه بإلقاء محاضرات عامة بالجامع الأزهر في المناسبات الدينية، كما مثل الأزهر في كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والأدبية، ورشحته جامعة الأزهر لنيل جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

■ في عام ١٩٤٠م، استعانت به حكومة السودان ليشترك في وضع مناهج العلوم الشرعية لدراسة الحقوق بكلية جوردون، كما عمل هناك أستاذا للشريعة الإسلامية، وانتقل من تدريس النحو والصرف إلى تدريس المواريث وأحكام الأسرة، ولم يكتف ذلك، بل وضع كتابين في الأحوال الشخصية وأحكام المواريث، ولا يزالان يعدان من المراجع الوافية في بابهما.

إرثه العلمي

■ لم يكن الشيخ نحويا فحسب، بل كتب وحقق في معظم الفنون، وكانت لديه خصوبة في إخراج كتب التراث (تجاوزت ثمانين كتابا) نذكر بعضها على سبيل المثال فقط:

ففي النحو: حقق وشرح «الآجرومية»، و«قطر الندى».. وغيرهما. وفي الفقه: «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»، وألف «الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية»، وحقق «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع».. وغيرها. وفي أصول الفقه: حقق «الموافقات للشاطبي».. وغيره. وفي الحديث: حقق «سنن أبي داود»، و«الترغيب والترهيب للمنذري».. وغيرهما، وفي التوحيد: «شرح الجوهرة».. وغيره. وفي علم الكلام: حقق «مقالات الإسلاميين للأشعري».. وغيره. أما كتبه في اللغة والأدب التي حققها فكثيرة، منها: «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و«المثل السائر» لابن الأثير، و«يتيمة الدهر» للثعالبي، و«معاهد التنصيص»، و«العمدة» لابن رشيق، و«زهر الآداب» للحصري، و«الموازنة بين الطائيين». وفي الشعر: شرح «ديوان عمر بن أبي ربيعة»، و«ديوان نهج البلاغة» للشريف الرضي، ديوان «الحماسة لأبي تمام».. وغيره. وفي التاريخ الإسلامي: حقق «سيرة ابن هشام»، و«مروج الذهب للمسعودي».. وغيرهما. وفي التفسير: «التفسير الكبير لفخرالدين الرازي» (المشهور باسم مفاتيح الغيب).

إسهاماته في «الوعي»

■ للشيخ مساهمتان في المجلة، جاءت الأولى تحت عنوان: «الإسلام والمجتمع المثالي ١» (ع:١، محرم ١٣٨٥هـ/مايو ١٩٦٥م)، و«الإسلام والمجتمع المثالي ٢» (ع:٦، جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ/أكتوبر ١٩٦٦م).

وفاته

■ ظل الشيخ محمد محيي الدين منكبا على عمله لا يعوقه مرض أو مسؤوليات، عن مواصلة طريقه حتى لقي الله في ٢٥ من ذي القعدة ١٣٩٢هـ، الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢م، تاركا إنتاجا خصبا ما زالت تنتفع بما فيه الأجيال.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- ملتقى أهل الحديث.
٤- موقع قصة الإسلام.
٥- موقع إسلام ويب.



هشام الصباغ
باحث لغوي

محدِّث عصره

العلامة الألباني

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ سيرته أرض خصبة لمن أراد أن يترجم لأحد أعلام الأمة، المجتهدين، المصلحين، الصالحين، الزاهدين، المجاهدين، المصنفين، العصاميين، الفقهاء.. لكن مثله يتعسر عليك أن تكتب عنه؛ وتعاني الأمرين في اختيار ولو جزء من حياته تستطيع أن تغطيه، فضلا عن أن تفيه ما بذله في حياته في مقال.

■ كان يتكسب رزقه من إصلاح الساعات، تلك المهنة التي ورثها عن أبيه، فكانت إليه مثل «الجليس الصالح»، وأكسبته صفاتها من قوة الملاحظة وسرعة التفكير والدقة المطلقة، مما انعكس على حياته العملية وشخصيته وإنتاجه الفكري.

■ عندما يذكر اسمه، يقفز إلى ذهنك سؤالان عجيبان: كيف لأعجمي الأصل أن يصبح محدث عصره ومرجع وقته في معرفة صحيح الحديث من ضعيفه؟! وكيف سلم له العاربة والمستعربة بالتصحيح والتضعيف؟!

■ حجة في مصطلح الحديث، ومتفرد في علم الجرح والتعديل، ومن أبرز علماء العصر الحديث بسنة النبي ﷺ، حتى قيل عنه: «أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير وغيرهما من علماء الجرح والتعديل».

■ نشأ في زمن كثرت فيه البدع والفرق الباطنية والتعصب للمذهب، ما حال بين الناس وأنوار السنة؛ فحارب البدعة، وحمل لواء السنة وأخذ يدعو ويناظر ويجادل من أجلها؛ حتى اتهموه بـ«الجامد»، وأخرج من بلاد إلى بلاد، لكن ذلك لم يفت في عضده؛ بل بقي قوالا بالحق غير هياب حتى وفاته.

■ حياته تشبه حياة الإمام البخاري من جهتين: الأولى الاهتمام بالحديث.. والثانية من جهة الأصل، فكلاهما من منشأين غير عربيين.. الأول من بخارى، أما عالمنا فمن ألبانيا.. إنه الإمام العلامة محمد بن نوح نجاتي، الشهير بمحمد ناصر الدين الألباني، المكنى بأبي عبدالرحمن.

المولد.. والنشأة.. والتعليم

■ الألباني ولد في مدينة أشقودرة عاصمة ألبانيا (يومئذ)، عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، لأسرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فوالده تخرج في المعاهد الشرعية في العاصمة العثمانية «أستانة» قديما (إسطنبول اليوم)، وكان أحد علماء المذهب الحنفي في ألبانيا، ولما رأى بلاده تسير في طريق التحول إلى تقليد الغرب، وألزمت المرأة الألبانية المسلمة بنزع الحجاب قهرا، والرجل بلبس اللباس الأوروبي؛ خاف من سوء العاقبة وهاجر بأهله قاصدا الشام وتحديدا دمشق؛ فارا بدينه، خائفا على أولاده من الفتن.

■ لم يفت الشيخ أمر هجرة أبيه، فشكر إلى الله فعله قائلا: «(...) فجنيت، بفضل الله ورحمته، بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره ولو عشت عمر نوح عليه الصلاة والسلام (....) ثم وفقني الله بفضله وكرمه (....) إلى دراسة الحديث والسنة أصولا وفقها، بعد أن

درست على والدي وغيره من المشايخ شيئا من الفقه الحنفي وما يعرف بعلوم الآلة؛ كالنحو والصرف والبلاغة».

■ أتم دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق، لكن والده كان له رأي في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقرر عدم إكماله الدراسة النظامية ووضع له منهجا علميا مركزا قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي. وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة.

«المنار».. وعلم الحديث

■ جذبه علم الحديث جذبا، رغم تحذير أبيه له من الانشغال به ورغبته في تقليده المذهب الحنفي، لكن أبحاث مجلة «المنار»، التي كان يصدرها محمد رشيد رضا، أثرت فيه وتأثر بها، فأصبح وهو في سن العشرين شديد الاهتمام بالحديث وعلومه فصار شغله الشاغل، وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي مع التعليق عليه، وأصبح معروفا في أوساط دمشق العلمية لدرجة أن المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت له غرفة ليقوم فيها بأبحاثه، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة يدخلها وقتما شاء.

التآليف والدعوة

■ في العقد الثاني من عمره، بدأ الألباني التأليف والتصنيف، وكان من أول مؤلفاته «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير».

■ وباكرا بدأ في إعطاء درسين أسبوعيا في العقيدة والفقه والأصول وعلم الحديث، وفي تنظم رحلات شهرية للدعوة في مختلف مدن سوريا والأردن، وجاب دولا عدة (منها قطر والكويت ومصر والإمارات وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا) داعيا ومحاضرا ومدرسا (درس علوم الحديث لثلاث سنوات في الجامعة الإسلامية في المدينة).

■ ترك الألباني مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة وتعليقات ماتعة، ربت على المئة، وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة من أبرزها: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» و«إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».. وغيرها كثير.

مشايخه.. وأقوال أهل العلم فيه

■ حفظ الألباني القرآن على يد والده حتى ختمه عليه برواية حفص عن عاصم، كما درسه والده بعض كتب الصرف العربية، وكتاب «مختصر القدوري» في فقه الأحناف. وعلى يد محمد سعيد البرهاني (صديق والده) درس كتابي «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي و«شذور الذهب» في النحو وبعض كتب البلاغة، وكان يحضر دروس محمد بهجة البيطار (عالم الشام وقتذاك).

■ قال فيه الشيخ ابن باز: «ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني». كما وصفه ابن العثيمين قائلا: «ذو علم جم في الحديث؛ رواية ودراية، وإن الله تعالى قد نفع بما كتبه كثيرا من الناس؛ من حيث العلم، ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كثيرة للمسلمين، ولله الحمد».

إسهاماته في «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة فقط في المجلة، جاءت تحت عنوان: «الأحاديث الضعيفة والقوية» (ع:٧١، ذو القعدة ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م).

وفاته ووصيته

■ توفي العلامة الألباني ٢٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٩م، ودفن بعد صلاة العشاء. وكان أوصى قبل وفاته بمكتبته كلها «سواء ما كان منها مطبوعا، أو تصويرا، أو مخطوطا -بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة (....) راجيا من الله تعالى أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها -يومئذ- طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم».

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- رابطة العلماء السوريين.
٤- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني.



هشام الصباغ
باحث لغوي

الشاعر المفتي

الشيخ نديم الجسر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ عالم عامل، ومصلح صادق، وداعية مجاهد، ومفت حاذق.. حمل هم أمته؛ فدأب على لفت أنظارها إلى الأخطار المحدقة بها وتحاول أن تهدم أركانها وتمحوها من سفر الحياة.. فعمل على إصلاح حالها وإيقاظها من سباتها برفع صوته مدويا بإصلاح المؤسسات الدينية والفكر الديني معا في آن، وهو ما ميزه عن غيره من رجال الدين والمفتين المسلمين.

■ أحد كبار المصلحين الاجتماعيين، ولا غرو، فقد تحدث مطولا عن الاقتصاد والملكية، منطلقا من قاعدة أن الإسلام هو الشريعة الوحيدة التي فرضت للفقراء حقوقا في أموال الأغنياء، وجعلت ذلك ركنا من أركانها.. رأى مشكلات وآفات تهدد كيان أمته فقرر التصدي لها وحدد طرق علاجها المستمدة من تعاليم الاسلام، وكان على رأس هذه المشكلات: الاقتصاد والأخلاق والأسرة والمرأة وكفالة الأبناء والحرية.

■ الجزء الأكبر من حياته قضاه في مقاومة الاستعمار الذي سيطر على الوطن العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، آخذا في مقاومة أساليبه وكشف أهدافه الساعية إلى إشاعة الفتنة بين العرب والعجم وبين السنة والشيعة!

■ عاش في زمن تنازعت فيه الأمة العربية والإسلامية جميع أنواع الثقافات والاضطرابات والقلاقل والفتن، التي شملت مختلف الميادين؛ سياسية واجتماعية ودينية، كما شملت كل الأنشطة؛ ثقافية وعلمية وتربوية، وهو ما انعكس في مؤلفاته المتنوعة الرابية على العشرين.

■ شهد فترة الهجمات العنيفة التي كان يشنها المستعمرون والملحدون والمتآمرون على الأمة العربية، وعايشها، فكان صوتا مدويا في ضمير الأمة يدعو إلى ائتلافها وتوحدها واجتماعها لمواجهة الأعداء ومحاربة الفساد ومجابهة الإلحاد.. إنه الشيخ العلامة المفتي الشاعر نديم الجسر.

النشأة والتعليم

■ هو نديم بن حسين بن محمد بن مصطفى الجسر، عائلته من أصول مصرية؛ فنسبه (من جهة والده) ينتهي إلى أسرة المائي بمحافظة دمياط في مصر.. جده (الشيخ محمد بن الحاج مصطفى الجسر) هاجر إلى دمشق أولا، لكنه استقر في طرابلس (في لبنان) التي ولد فيها الشيخ نديم عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

■ عاش في لبنان وسورية، وكانت له زيارات دورية إلى مصر (يقضي فيها شهرا من كل عام).. كان

لمحيطه العائلي أثر في تكوينه العلمي والثقافي، إذ تلقى تعليمه المبكر على يد والده (الشيخ حسين) الذي كان عالما ومؤسسا للمدرسة الوطنية، وبعد وفاته تكفله أخوه (الشيخ محمد الجسر، كان من أبرز رجال السياسة في طرابلس) الذي أرسله إلى مدينة حمص للدراسة، التي استكملها في بيروت.. فنال حظا وافرا من علوم الفقه والقانون والمعارف العلمية والفلسفية والتاريخية والأدبية.

■ استدعي إلى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني عام ١٩١٦م، وخدم في الحجاز والسويس، ووقع أسيرا في أيدي الإنجليز، الذين سجنوه في القاهرة، ثم أخرجوه بعد وساطة من الشريف حسين.

حياته العملية

■ بعد أن أتم دراسته التحق بالعمل في سلك القضاء، وتولى مناصب عدة؛ منها: مستشار بمحكمة الاستئناف، وعضو المجلس العدلي (حيث قام بتنظيم دائرة الأوقاف الإسلامية)، ثم انتخب عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م نائبا عن مدينة طرابلس بمجلس النواب، ثم مفتيا لشمال لبنان، وعضوا في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، كما اختير عضوا في مؤتمر الأدباء العرب.. أعاد إصدار جريدة طرابلس، وظل يديرها حتى نهاية ١٩٣٧م.

إرثه العلمي

■ حبا الله الشيخ بفهم كبير، وعقل واع مستنير، وامتلك موهبة لغوية لكاتب نحرير، فانعكس ذلك إنتاجا دينيا وأدبيا وقانونيا وفلسفيا، فأخرج لنا عددا من المؤلفات المتنوعة، منها: «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن» (لأهميته ونفاسته ترجم إلى عدة لغات)، و«القرآن والسنة في التربية الإسلامية»، و«غريب القرآن ومتشابهاته»، و«ديوان الشعر الشمالي».. وفي الشعر له قصائد عدة، منها: «موكب الثورة»، و«رائية مطولة».. æفي القانون له مؤلفات عدة؛ منها: «قانون الجزاء اللبناني»، و«شرح قانون الجزاء».. æفي الفلسفة: «قانون السببية عند الغزالي»، و«موجز الفلسفة العربية».. وغيرها كثير.

آراء إصلاحية مستنيرة

■ الدين الإسلامي عنده أعطى الفرد (ذكرا كان أم أنثى) والمجتمع ما يستحقان من عناية ورعاية، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

■ يرى أن الإسلام سبق كل الشرائع في تقرير مساواة المرأة بالرجل، وأعلن حريتها، واعتبر لها كفالة شرعية، يوم كانت في حضيض الانحطاط عند كل الأمم.

■ نادى بحرية المرأة في اختيار الزوج، وفي التصرف في أموالها، وبحقها في العمل في الوظائف العامة، بل رأى أن الإسلام قد أجاز لها تولي القضاء.

■ الحرية عنده أمر بدهي، نص الإسلام عليها صراحة؛ في التفكير والعبادة.. ويراها من أهم الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المسلم، فهي سر التقدم والرقي، وطريق إنشاء الحضارة، ووسيلة العقل لتحقيق كرامته.

■ يرى أن نهضة المجتمع تبدأ من قاعدتين أساسيتين: إصلاح المؤسسات الدينية، وإصلاح المجال الفكري.

■ يشجع على طلب الفلسفة والتعمق في دراستها «فهي لا تتعارض مع الإيمان»، والفيلسوف عنده «يتلاقى مع النبي في شيء واحد: الايمان بوجود الله».

إسهاماته في «الوعي»

■ للشيخ مساهمتان في المجلة، جاءتا تحت عنوان: «بشائر عن معركة المصير» (ع:٥٠، صفر ١٣٨٩هـ- أبريل ١٩٦٩م)، و«ما وجدت لتبقى» (ع:٨٩، جمادى الأولى ١٣٩٢هـ/يونيو ١٩٧٢م).

وفاته

■ بعد حياة حافلة بالعطاء لأمته ودينه ووطنه، توفي الشيخ نديم الجسر عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وصلي عليه في طرابلس، التي دفن فيها، وبعد وفاته أطلقت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية في طرابلس اسمه على قاعة مكتبتها اعترافا بفضله وعلمه.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- «الشيخ نديم الجسر: العلامة المجاهد»، محمد درنيقة، دار المعارف العمومية، طرابلس، ١٩٩٢م.
٤-: «تراجم علماء طرابلس وأدبائها»، عبدالله نوفل، مطبعة الحضارة، طرابلس، ١٩٢٩م.



هشام الصباغ
باحث لغوي

«أبو السادات»

الشيخ العلامة محمد أبو شهبة

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ في خدمة كتاب الله عاش حياته؛ شرحا وتفسيرا، وسنة رسوله؛ تدقيقا وتأليفا.. هو مفسر جليل، وعالم موسوعي، وعلم من أعلام علم الحديث في العصر الحديث، لذا لا يعي قدره ولا يقيم لعلمه وزنا إلا العلماء العاملون وطلاب العلم المخلصون.

■ رغم مؤلفاته القيمة العظيمة، فإن المكانة المرموقة لم يأخذ حقه منها، والشهرة الواسعة لم ينل حظه فيها؛ إذ كان لا يتغياهما؛ فالعمل في صمت وبعيدا عن الأضواء كان ديدنه؛ لكن حكمة الله أبت إلا أن يفوح شذى علمه وينتشر عبير فقهه ويستنشق الناس روح نسيمه مع ما نشر من علمه وما قدمه لدينه.

■ صاحب مدرسة علمية اهتمت بالتأليف في القرآن والسنة وعلومهما، والفقه والتشريع والسيرة النبوية، كوّنها من طلابه ومريديه في قُطره وخارجه، وأخذت على عاتقها الذب عن حياض الإسلام، وكف أذى المستشرقين والمبشرين والملحدين بالرد على افتراءاتهم وتلبيساتهم وشبهاتهم.. إنه الشيخ الفاضل والعلامة العامل أستاذ السنة وناشرها الأستاذ محمد محمد أبو شهبة المكنى بـ«أبي السادات».

النشأة والتعليم

■ بجوار نهر النيل، وتحديدا في قرية «منية جناج» الواقعة على ضفاف فرع رشيد (أحد فرعي النيل) والتابعة لمركز ومدينة دسوق في محافظة كفر الشيخ، ولد الشيخ محمد أبو شهبة في ٢٥ شوال ١٣٣٢هـ، الموافق ١٥ سبتمبر ١٩١٤م.

■ والده، ومذ لحظة ولادة ابنه محمد وخروجه إلى الدنيا، نذره للقرآن الكريم، وحضور مجالس العلم في الأزهر الشريف. وما إن بلغ ابنه الرابعة من عمره حتى سارع إلى إلحاقه بكُتّاب القرية؛ لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

■ ما إن أتم التاسعة من عمره في كُتّاب قريته، حتى كان حفظ نصف القرآن الكريم، فضلا عن تعلمه القراءة والكتابة وشيئا من أصول الدين والسيرة.. في ذاك الوقت فتحت المدارس الأولية، فترك الكُتّاب والتحق بمدرسة قريته، وفيها أتم حفظ القرآن، ومنها أخذ الشهادة الأولية وهو في سن الثانية عشرة تقريبا.

■ بعدها، وفي عام ١٩٢٥م تحديدا، دخل معهد دسوق العلمي الديني (تابع للأزهر الشريف)، فأخذ الشهادة الابتدائية منه. وفي عام ١٩٣٠م،

دخل معهد طنطا الثانوي الأزهري وأخذ منه الشهادة الثانوية، ثم التحق في عام ١٩٣٥م، بكلية أصول الدين (إحدى كليات الأزهر الشريف)، وبعد أربع سنوات (١٩٣٩م) نال «الشهادة العالية».

■ أهّله كونه من أوائل دفعته دخول قسم الدراسات العليا شعبة «التفسير والحديث»، وبعد خمس سنوات من دراسة لا تعرف الكلل ولا الملل نجح عام ١٩٤٤م في الامتحان التمهيدي لشهادة العالمية من درجة أستاذ أمام لجنة من كبار العلماء، بعدها بدأ خطوة جديدة في مرحلة تحصيل العلم وذلك بالاشتغال بالتحضير لرسالة الدكتوراه، التي ناقشها في ذي الحجة ١٣٦٥هـ/نوفمبر ١٩٤٦م أمام لجنة خماسية من كبار العلماء.. ونالها بدرجة الامتياز.

حياته العملية وعطاؤه

■ باكرا من شبابه أعير الشيخ إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في معهدها العالي (صار فيما بعد كلية للشريعة)، وشارك، رحمه الله، في وضع المناهج الدينية والعلمية في السعودية، وقضى أربع سنوات مجاورا لبيت الله الحرام. كما أعير إلى كلية الشريعة في جامعة بغداد وأقام بها عاما، وكان له درس في جامع الإمام أبي حنيفة النعمان في بغداد، بعدها عاد إلى مصر وعين مدرسا في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ثم رقي إلى أستاذ مساعد، ثم أستاذ إلى أن وصل إلى رتبة العمادة.

■ وفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٦٦م أعير مرة ثالثة إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان في السودان، فمكث فيها ثلاث سنوات، وكانت الجامعة توفده في كل رمضان إلى غرب السودان للدعوة هناك، وفي أخريات حياته أعير الشيخ إلى جامعة أم القرى ودرّس فيها التفسير والحديث.

تأسيسه لـ«أصول الدين»

■ في أكتوبر ١٩٦٩م، عهد إلى الشيخ تأسيس كلية لأصول الدين لأول فرع أنشئ لجامعة الأزهر في أسيوط، فمسك عمادتها وسار بها حتى اكتملت سنواتها الأربع وتخرجت أول دفعة فيها، كما بذل وسعه في النهوض بهذا الفرع حتى ساهم في إنشاء كليتي الشريعة والقانون، واللغة العربية.

نشاطه عبر الإعلام

■ توسل الإعلام، مقروءا ومسموعا ومرئيا، في طريق دعوته إلى الله، وكانت له دروس إذاعية ومرئية، مثل «قراءات من صحيح البخاري» في إذاعة القرآن الكريم في مصر، وفي بعض الإذاعات المرئية والمسموعة في بعض الدول العربية (السعودية والعراق والسودان)، كما كتب لكبرى المجلات الدينية والعلمية والأدبية في مصر وغيرها من بلاد الإسلام، فضلا عن إلقائه الكثير من المحاضرات وتحدثه في كثير من الندوات.

مؤلفاته

■ ترك الشيخ آثارا نافعة ومؤلفات قيمة في القرآن وعلومه والحديث وعلومه ورجاله، نافح فيها عن الإسلام، ورد فيها على شبه الأباطيل، ولا يزال طلاب العلم ينتفعون بكتبه ومؤلفاته إلى هذا اليوم، نذكر منها على سبيل المثال: «توفيق الباري في شرح صحيح البخاري» (يقع في نحو ١٥ مجلدا ولم ير النور حتى الآن)، «السيرة النبوة في ضوء القرآن والسنة» (مجلدان)، «علوم الحديث» (ثلاثة أجزاء)، «شرح المختار من صحيح مسلم» (ثلاثة أجزاء).. وغيرها كثير.

إسهاماته في «الوعي»

■ للشيخ مساهمات عدة في المجلة، جاءت تحت عناوين: «اعرف عدوك: أعداء الإنسانية» (ع:٤)، و«نحو ثقافة إسلامية» (ع:١٦)، «تحويل القبلة إلى الكعبة» (ع:٢٠)، «الجهاد في الإسلام١» (ع:٢٨)، «الجهاد في الإسلام ٢» (ع:١)، «أبو حنيفة النعمان١» (ع:٧٠)، «أبو حنيفة النعمان ٢» (ع:٨٣)، «اللغة العربية في القرآن» (ع: ١٧).

وفاته

■ أقام الدكتور أبو شهبة حق العلم قولا وعملا طيلة حياته ولم يترك ساحة الدعوة حتى انتقل إلى جوار ربه صباح الجمعة ٥ شوال ١٤٠٣هـ الموافق ١٥ يوليو ١٩٨٣م، وشُيعت جنازته من الجامع الأزهر، وصلى عليه جمع غفير من علمائه وطلابه، يؤمهم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق ودفن بمدافن الأسرة بالقاهرة.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣ - موقع إسلام ويب.
٤ - المكتبة الشاملة.



هشام الصباغ
باحث لغوي

بنت الشاطئ
امرأة كألف رجل

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ تفتحت مداركها على جلسات الفقه والأدب، وتعلمت في المنزل وفق تقاليد صارمة لتعليم النساء وقتئذ.. وفي طلبها للعلم توسلت «الحيلة» واتخذتها سبيلا لتحقيق بغيتها؛ فالمشقة التي واجهتها باكرا لتحصيله، كمنت في وضعها كفتاة بنت شيخ في جيل يكره لبنات العلماء الظهور في الحياة العامة.

■ من أعلام أمة الإسلام، وكانت تعد نفسها من المرابطين على ثغر من ثغوره، وأدت رسالتها تجاه دينها أحسن ما يكون الأداء لأكثر من نصف قرن، حملت خلاله لواء الدفاع عن الدين وعلومه، حتى أصبح لا يستغني عن علمها أحد من أقرانها، فضلا عمن دونها.

■ لا ترى نفسها من جيل الرائدات؛ جيل الأمهات اللواتي سهرن على إرضاء طموحهن ورعايتهن؛ جيل نبوية موسى، مي زيادة، عائشة التيمورية، باحثة البادية، فهن قد فتحن لها ولجيلها الأبواب.. وتصنف نفسها من جيل الطليعة.

■ نموذج مشرق للمرأة العربية المسلمة؛ فهي كاتبة أديبة، وأستاذة جامعية وباحثة، وأول امرأة تحاضر في الأزهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر، وثاني امرأة تكتب في «الأهرام»، وأول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية، قادت حركة التنوير في مصر، حتى وصفت بأنها امرأة كألف رجل.. إنها الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ).

النشأة والتعليم

■ ولدت في دمياط الواقعة شمال مصر في أوائل شهر نوفمبر ١٩١٣م، وهي ابنة لعالم أزهري كان مدرسا بالمعهد الديني بدمياط، وحفيدة لأجداد من علماء الأزهر.

■ حفظت القرآن في كُتّاب القرية، ثم أرادت الالتحاق بالمدرسة، لكن والدها كان يرفض، وفق تقاليد يومئذ تأبى خروج البنات من المنزل للتعلم في المدارس، لكن هذا الرفض كان يقابله تشجيع من والدتها وجدها لأمها.

■ ومن المنزل حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام ١٩٢٩م وكانت الأولى على القطر المصري كله، ثم الشهادة الثانوية عام ١٩٣١م، والتحقت بجامعة القاهرة لتتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٣٩م، ثم نالت درجة الماجستير عام ١٩٤١م، وتزوجت أستاذها بالجامعة الأستاذ أمين الخولي (أحد قمم الفكر والثقافة في مصر حينئذ)، وناقش رسالتها إلى الدكتوراه عام ١٩٥٠م، عميد الأدب العربي د. طه حسين.

حكمٌ بـ«أشق العذاب»

■ وعن مشقة تحصيل العلم تقول: «بدأت وأنا طفلة في السادسة من عمري، لم تنتزع مني بعد تمائم الطفولة، إذ شاقني ذات يوم من عامي السادس

أن أذهب إلى مدرسة دمياط كما تفعل لداتي وأترابي (...) أديت امتحان القبول (...) ولم أدر يومئذ أني وضعت قدمي الصغيرتين في أول الطريق الشاق المرهوب المحفوف بالمكاره. لقد عدت يومها إلى البيت أتشدق بالذي لقيت من إعجاب المدرسة الأميرية، وترحيبها، فكان رد والدي أن قال في لهجة صارمة، حاسمة: ليس عندي بنات يتعلمن في المدارس (...) وسجل بكلمته هذه حكما علي بأشق العذاب، سنين عددا».

■ «كنت أتعلم خلسة، وأذاكر دروسي خفية واستتارا، واستعد للامتحان بين كل مرحلة ومرحلة، في جو مشحون بالفزع والذعر. وحين كنت أخرج إلى المدرسة (...) كنت أمشي في الطريق فزعة اتلفت ورائي بين كل خطوة وأخرى، متوجسة خيفة أن يلمحني أبي! وإذا لم يخرج من البيت بقيت حبيسة لا أجرؤ على الخروج.. وفي مرة من هذه المرات، ذهبت لأؤدي امتحان شهادة الكفاءة للمعلمات، ولما ظهرت النتيجة تحدثت الزميلات عن الحظ الذي أتاح لواحدة مثلي -من منازلهن- أن تكون أولى الناجحات في القطر كله. ولم يشهدن بيتنا يومئذ وهو يترنح ويوشك على الانهيار، وقد خرجت منه أمي مرتين طالقة، لأنها أصرت على تعليمي، وتعرض صغارها الأبرياء للتشرد والضياع!».

أمين الخولي

■ عن زوجها تقول: «آمنت من اللحظة الأولى للقائنا أنه اللقاء الذي تقرر في ضمير الغيب منذ خلقنا الله من نفس واحدة، وخلق منها زوجها.. وإن عدتنا الدنيا اثنين في الحساب الرقمي والواقع العددي.. اثنين، لكل منهما اسمه ونسبه ولقبه وصفته وصورته وعمله وشخصيته.. وبهذه الثنائية العددية يتعاملان مع الدنيا والناس، ولكنهما في جوهر حقيقتهما واحد لا يتعدد، ولا كما تغنى الشعراء بالروح الواحدة في جسدين، ولا كما تأمل الفلاسفة في وحدة الوجود، ولا كما تحدث العلماء عن الخلية الواحدة قبل أن تنقسم، وإنما هو سر وراء ذلك كله تجلت فيه آية الله الذي خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها».

حياتها العملية ومؤلفاتها

■ خرجت مبكرا بفكرها وقلمها إلى المجال العام؛ وبدأت النشر عندما بلغت ١٨ عاما في مجلة النهضة النسائية، وبعدها في جريدة «الأهرام» فكانت ثاني امرأة تكتب فيها بعد الأديبة مي زيادة.. ونظرا لخوفها من إثارة حفيظة والدها كانت توقع أعمالها باسم مستعار (بنت الشاطئ) اختارته من فترة صباها وحياتها الأولى على شواطئ دمياط التي كانت تعشقها.

■ عملت أستاذة للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب (درّست هناك ما يقارب العشرين عاما)، وأستاذة كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذة زائرة لجامعات: أم درمان ١٩٦٧م والخرطوم، والجزائر ١٩٦٨م، وبيروت ١٩٧٢م، وجامعة الإمارات ١٩٨١م وكلية التربية للبنات في الرياض ١٩٧-١٩٨٣م.

■ حازت جائزة الدولة التقديرية في الآداب في مصر عام ١٩٧٨م، وجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الدكتورة وداد القاضي عام ١٩٩٤م، كما منحتها العديد من المؤسسات الإسلامية عضوية لم تمنحها لغيرها من النساء مثل «مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة»، و«المجالس القومية المتخصصة».

■ تركت بنت الشاطئ وراءها ما يربو على أربعين كتابا في الدراسات الفقهية والإسلامية والأدبية والتاريخية؛ من أبرزها: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة. كما حققت الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها: نص رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى. ولها أعمال أدبية وروائية أشهرها: على الجسر، وسيرة ذاتية.

إسهاماتها في «الوعي»

■ للدكتورة عائشة مساهمتان بشأن المجلة، جاءتا تحت عناوني: «رد وتعقيب» (عما كتبه الدكتور مصطفى الزرقا تعليقا على محاضرتها في جمعية الإصلاح الاجتماعي)، و«عيدنا وعيدهم».

وفاتها

■ الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٩٨م، كان شاهدا على رحيل سفينة حياة بنت الشاطئ عن عالمنا، بعد إصابتها بأزمة قلبية، ونعاها شيخ الأزهر وأمّ صلاة جنازتها. وفي لفتة نادرة تعكس العرفان بفضلها من الخليج إلى المحيط، أقامت وزارة الأوقاف المغربية سرادقا تتلقى فيه عزاءها.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- قصة الإسلام.
٤- المكتبة الشاملة.
٥- إسلام أون لاين.

هشام الصباغ
باحث لغوي

القاضي المعلم

الشيخ أحمد الخميس

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● وُلد مجبولا على حب العلم والتعلم والسعي لعمل الخير.. وفي بذل المعروف والدعوة إلى الله ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف كان في تنافس دائم مع ذويه.. حتى ازدحمت سيرته الطيبة بالإحسان.

● ابن لعائلة كريمة متدينة تحب العلم وأهله، وترعى حدود الله، وتبذل وسعها في نشر العلم الشرعي والذب عن حياض الإسلام، تعهدته بالرعاية فنشأ نشأة دينية علمية جعلت منه خطيبا مفوها وداعية مرشدا.

● كان، رحمة الله عليه، سبّاقا في فعل الخيرات، معشره طيبا، وذا شعور مرهف، وصاحب حاشية رقيقة، واسع الاطلاع، عميق الفهم.. رُزق بذكاء حاد وفطنة شديدة، أكسباه نظرة عميقة، وتأملا فاحصا، وتوجيها مصيبا، ورأيا سديدا.. فكان نموذجا واقعيا صادقا لترجمة تعاليم الإسلام؛ قولا وعملا.

● من علماء الكويت ورجالاتها الأول، الذين تشاركوا في بناء نهضتها بمختلف أشكالها، خصوصا الجانب التعليمي والدعوي والعدلي منها.. إنه مشعل العلم والدعوة وميزان العدل والحكمة القاضي الثامن عشر للكويت الشيخ أحمد الخميس الجبران الخلف.

مولده وتعليمه

● ولد الشيخ أحمد الخميس الجبران الخلف في مدينة الكويت سنة ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣م.. و«الخلف» ليس من اسمه، بل ألحق به تيمنا بولي أمره خاله الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، الذي كانت رسائله تتوالى عليه بالنصح والتوجيه والإرشاد، ولازمه هو والشيخ عبدالله النوري، ودرسا على يديه الفقه الحنبلي.

● تلقى الشيخ الخميس تعليمه الأولي من قراءة وكتابة وقراءة لكتاب الله، في كتاتيب الكويت، لكن ذلك لم يكن ليروي ظمأ الشيخ العلمي، فيمم وجهه شطر الزبير في العراق، حاضرة العلم وقتذاك لما فيها من علماء أعلام ومدارس شرعية.

● في الزبير تتلمذ الشيخ على أيدي نخبة من علمائها، مثل الشيخ العلامة عبدالمحسن البابطين، الذي كان مدرسا في مدرسة دويحس الشرعية، كما درس العلوم العربية والشرعية على يد الشيخ محمد العوجان، وتلقى الفقه الحنبلي والحديث على يد الشيخ عبدالله الحمود، ثم عاد الشيخ إلى الكويت ولازم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان (خاله والمربي الأول له) طالبا المزيد من العلم الشرعي.

الزبير.. تاريخ عريق

● الزبير هي مدينة تقع بين مدينتي «البصرة القديمة» و«المربد الأثرية»، تمتلك مكانة تاريخية عظيمة، إذ كانت محط رحال القادمين والقاصدين حج بيت الله الحرام، سواء من القوافل العراقية أو ممن هم خارج العراق والقادمين من الشمال والشرق، وهي ثغر البصرة التاريخي، وهمزة الوصل بين البصرة وما تمثله كميناء بحري

من جهة والمحيط الصحراوي المحاذي لها غربا وجنوبا باتجاه صحراء جزيرة العرب من جهة أخرى.

● عرفت باسم «الزبير» نسبة إلى الصحابي الجليل الزبير بن العوام، المدفون في أرضها، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وهي تبعد ٢٥ كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة البصرة.. وفي الزبير سوق «المربد»، وهو من أشهر أسواق العرب بعد الإسلام (والمربد في اللغة هو: محبس الإبل ومربطها، والمربد أيضا بيدر التّمر لأنه يُرَبَّدُ فيه فيشمَّس، والرُّبدة لون إلى الغبرة). وتذكر المصادر التاريخية ان مربد البصرة هذا هو متسع للإبل تَرْبُدُ فيه للبيع، وكان في الأصل سوقا للإبل منذ أيام الخلفاء الراشدين حتى إذا كان عهد الأمويين اتسع وصار سوقا عاما تتخذ فيه المجالس ويخرج إليه الناس كل يوم وتتعدد فيه الحلقات التي يتوسطها الشعراء والرجّاز ويؤمّه الأشراف وسائر الناس، يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون.

● ومن جهة أخرى، كان أهل الزبير شغوفين جدا بالعلم والتعلم، فرغم فقر الحال يومئذ لم يكن مستغربا أن تجد من خصص فناء بيته لتعليم القرآن. وهم أول من تجاوز نظام التعليم المعروف بـ «الكتاتيب» باكرا بافتتاح مدارس على النظام التعليمي الحديث لتعليم العلوم الطبيعية والشرعية، كمدرسة الدويحس الدينية، التي أسسها دويحس بن شماس عام ١٧٦٦م (درس فيها الشيخ الخميس، رحمة الله عليه)، وجعل لها مصدر دخل ثابت وإقامة داخلية للطلاب القادمين للدراسة فيها من خارج الزبير؛ مثل نجد والكويت والأحساء، وقد كان منهجها الدراسي هو الأصول الشرعية والدينية واللغة العربية.

حياته العملية

● بعد انتهاء الشيخ، رحمه الله، من دراسته، عمل مدرسا في مدرسة النجاة الأهلية في الزبير، ثم عاد إلى الكويت ليدرس فيها في المدرسة المباركية، ثم استأجر ديوانا وفتحه مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

● عندما افتتح شملان بن علي مدرسة السعادة سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م تم تعيين الشيخ أحمد الخميس مدرسا ومديرا لها وظل فيها ما يقارب ٥ سنوات حتى أغلقت أبوابها.

● كما قام الشيخ أحمد الخميس، رحمه الله بالتدريس في كشك الصقر، وشاركه في التدريس الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله الفارس، ثم تولى الشيخ إمامة مسجد البدر خلفا للشيخ عبدالله الخلف، واشتهر الشيخ بأسلوبه الأدبي.

● في عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م تم تعيين الشيخ قاضيا في المحكمة الشرعية، ثم وكيلا في المحكمة الكلية، ثم مستشارا في محكمة الاستئناف العليا في ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م بموجب مرسوم أميري.

● صار إماما خلفا لخاله لمدة ٣٠ عاما وكان خطيبا مفوها تولى القضاء عقب الشيخ عبدالعزيز حمادة والشيخ أحمد الأثري.

«كشك الصقر»

● «كشك الصقر»، الذي درّس فيه الشيخ الخميس، رحمة الله عليه، كان يقع في فريج البدر في الحي القبلي بمدينة الكويت القديمة (موقع متحف الكويت الوطني وما جاوره)، يحده من الشمال ساحل البحر ونقعة المانع ونقعة الصقر ونقعة فلاح الخرافي، ومن الجنوب فريج مسجد الساير الشرقي وشارع علي السالم، أما من الشرق فيحده فريج الخالد ومسجد الشرهان، ومن الغرب شارع سيف الدولة وفريج العثمان، ويوجد في محله اليوم متحف الكويت الوطني، وهو مبنى من دورين يطل على البحر، استخدم الدور الأرضي مدرسة أهلية يديرها الشيخ أحمد الخميس الجبران، والدور العلوي كان مقرا لاجتماعات المجلس التشريعي عامي ١٩٣٨ و١٩٣٩.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

● كانت للشيخ ثلاث مساهمات في المجلة، جاءت تحت العناوين الآتية: «الكويت تمنع الخمر» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ/يونيو ١٩٦٥م)، «العلاقة بين الزوجين» (العدد ٥، جمادى الأولى ١٣٨هـ/سبتمبر ١٩٦٥م)، «الزواج وآثاره» (العدد ٣٦، ذو الحجة ١٣٨٧هـ/فبراير ١٩٦٨م).

وفاته

● توفي الشيخ أحمد الخميس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ، الموافق ١٤ يوليو ١٩٧٤م، رحمه الله رحمة واسعة.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢ و٥ و٣٦.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- جريدة: القدس، القبس، الجريدة.

هشام الصباغ
باحث لغوي

عمارة.. الجالس على الحصيرة

اصطفى الله من عباده أناسا جعلهم ورثة للأنبياء وقدوة لطلاب العلم النجباء؛ بالحق والصدق تنطق أفواههم، وبالقسط والعدل تعمل موازينهم.. أظهرهم الله لخلقه وأوقع لهم المحبة والتكريم، وجعلهم مصابيح دجى في ظلمة العواتيم.. سيرتهم وعلمهم وفكرهم وما خلفوه يصعب حدها بمساحة، أو تأطيرها بصفحات، أو حصرها بمداد يقطر ألما فوق أسطر أحزان فقدهم.. لكن عزاءنا قد يعبر عنه قول القائل:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

■ بدأ حياته «نذرا» و«هبة».. وعاشها إيفاء.. وختمها مسكا؛ فوالده، ذلك الفلاح الأمي البسيط المتدين، نذر إن رزقه الله من حمل زوجته بولد أن يسميه محمدا وأن «يهبه» للعلم الشرعي.. وصدق الله في نذره، فصدقه الله في هبته: رزقه الله ولدا وسماه محمدا، الذي قضى حياته يفي بنذر والده؛ فـ«وهب» نفسه للذود عن حياض الإسلام والذب عن حماه وحفظ حوزة الدين وبيضته عن التدنيس.. ثم رحل إلى بارئه وعبق مسك ما خلف من علم يملأ الآفاق.

■ رأى أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى مشروع استقلال حضاري، يخلع من عنقها ربقة السير في سبل الحضارة الغربية المادية، فحسم موقفه واتخذ أهم قرارات حياته: أن يكون «مستقلا»، أو كـ«الجالس على الحصيرة» (كما قال عن نفسه)؛ حتى إذا وقع من عليها لم يصبه شيء؛ ففر من الوظيفة الحكومية، ولم ينتم إلى أي حزب أو حركة أو جماعة أو تيار.

■ ركب بحر العلم، وولج فيه، وغاص في أعماقه يفتش عن أصدافه ويبحث عن لآلئه.. عالمٌ ذو نهج وطريقة مميزين، تستطيع القول إن مدرسته متفردة؛ تشخص أمراض المجتمع، وتضع «وصفة» للتربية والتعليم، وتتغيا وضع الناس على بصيرة من أمرهم وواقعهم؛ متيقظين أمام دعايات الغاوين، وحيل المضلين.

■ من أعلام مدرسة التجديد والإحياء الإسلامي الحديث، لا بل هو في القلب منها.. في عمقها؛ أعاد قراءة مشروعات النهضة في العالم الإسلامي، وتجشم عناء التنقيب عن محفوظاتها في المكتبات؛ العامة منها والخاصة.. فبلغ شأوا عظيما فاق معه أهل زمانه وتميز به بين أقرانه.. إنه العالم النحرير، الذي قل أن يجود الزمان له بمثيل، الدكتور العلامة المفكر محمد عمارة.

النشأة والتعليم

■ في ٨ ديسمبر ١٩٣١م، وفي ريف مصر، وتحديدا في قرية صراوة بمحافظة كفر الشيخ، ولد د. محمد عمارة مصطفى عمارة، لأسرة زراعية ميسورة الحال.. ومع بلوغه السادسة من عمره أحضر له والده فقيها لتعليمه القراءة والكتابة وتحفيظه القرآن، الذي أتم حفظه قبل أن يبلغ الحلم.

■ في مستهل عمره، وبعد أن انتقل للالتحاق بالتعليم الابتدائي الأزهري في مدينة دسوق سنة ١٩٤٥م، ثم المعهد الأحمدي الثانوي بطنطا، خرج على أهل بلدته بلسان الوعظ، فكان يلقي خطب الجمعة في مسجد قريته الصغيرة.

■ بعد حصوله على الثانوية التحق بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وحصل على الليسانس منها وعمره ٣٤، إذ كانت له في الكلية نشاطات في العمل الوطني والفكري مما عرضه للفصل لسنة، كما اعتقل لخمس أخرى وهو في السنة الرابعة (اعتقالات اليسار وقتذاك).. بعدها التحق بالدراسات العليا وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه.

نشاط مبكر

■ أثناء دراسته الثانوية انضم إلى حزب «مصر الفتاة»، وكتب في صحيفته؛ شعرا ونثرا، وكان أول مقال له بعنوان: «جهاد عن فلسطين».. وخلال دراسته الجامعية أعجب بالفكر الاشتراكي، فامتزجت لديه نزعة وطنية تحررية اجتماعية مع نزعة الانتماء الإسلامي.

■ بعد الدكتوراه، وجد الوظيفة الحكومية قيدا مكبلا لطاقته وأفكاره، فقرر التفرغ للعمل الفكري ومشروعه الحضاري الذي قض مضجعه، بعدما لمس حاجة الأمة الماسة إليه؛ وهو المشروع الذي عبر عنه من خلال مقالاته، ومؤلفاته وتحقيقاته، ومشاركاته في شتى وسائل الإعلام ومنابر الدعوة، وفي هذا كله، كان متبنيا لقضايا الحرية والعدل الاجتماعي، سائرا على نهج التجديد والنهضة والإحياء، واعيا وملما بشكل مباشر بالقضايا الوطنية والتحديات العالمية،

ومترصدا للشبهات العلمانية والدعوات التصيرية واللادينية.

«صراوة» وشجرة الجميز والـ٤٠ جنيها

■ في مشوار حياته اتخذ القراءة زادا وراحلة، فكان دائم الاطلاع، شغوفا بالبحث، يقرأ كل ما تقع عليه عيناه أو تطوله يداه تحت شجرة جميز في قريته أو في حقل والده الزراعي، ولا يستثني.. فكانت صراوة، هي التربة التي نبتت فيها دوحة العلم الوارفة محمد عمارة، ومحطته الرئيسية التي شكلت تكوينه الفكري والتعليمي والثقافي والروحي، بدءا من نذر والده أن يهبه للعلم، مرورا بتوجيه شيخه في المرحلة الابتدائية ببذل الوسع في القراءة الحرة، عطفا على حب الشاب اليافع وشغفه بالعلم، وانتهاء بغنيمة باردة جادت بها السماء: ٤ آلاف كتاب من أمهات كتب التراث وذخائر الأدب العربي.. وغيرها، اشتراها بالتقسيط من ورثة شيخ في قريته بأربعين جنيها.

ماذا حدث في المعتقل؟

■ عشقُ الحرية والتقدم وحبُ العدل والمساواة وكرهُ الاستبداد والظلم الاجتماعي والتمرد عليه.. جميعها أفكار كانت تنازع نفسه، وهي أيضا شعارات تبنتها الماركسية، التي كانت فكرا بكرا ذا بريق لم يبد سوءاته ساعتئذ أو يُظهر إلى العلن تفسيره المادي للخليقة.. فانجذب له وانضم إليه.

■ أثناء دراسته الجامعية، اعتقل د. عمارة، ودخل السجن ماركسيا.. وفي فترة سجنه، التي قاربت ٦ سنوات، انصهرت أفكاره فذهب خبثها جفاء ومكث ما ينفع الناس؛ إذ وجد أن ما حسبه ماء لدى اليسار سراب بقيعة، لكنه حقيقة وواقعا موجود في الإسلام.. وكانت انعطافته نحو اليسار تشبه «بعثة إلهية مقصود بها معرفة الآخر، لكسر شوكته فيما بعد لأننا دفنينوا سوا» (وفق وصف عمارة نفسه).

عمارة .. و«سلسلة التنوير»

■ في سبعينيات القرن الماضي، ظهرت كتابات أهالت الشبهات على بعض الأعلام؛ مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي والطهطاوي وسعد زغلول وطه حسين وعلي عبدالرازق، وتبنت رؤية القدح في موقفهم الديني، وأخرجتهم من زمرة المفكرين الإسلاميين.. لكن عمارة، ومن خلال سلسلة من الكتابات الإسلامية المهمة تحت عنوان: «سلسلة التنوير الإسلامي»، جمع الأعمال الكاملة لبعضهم واستخرج منها ما يؤكد خطأ تلك النظرة، ومن خلال دراسات وبحوث أجراها حولهم، بين أنهم لم يعادوا الإسلام يوما، بل كان الإسلام مرجعهم ومنطلقهم، وأن من شذ منهم في موقف أو في مرحلة من حياته، سرعان ما عاد عنها.. واستطاع عمارة أن يسترد تلك الرموز التنويرية من التيارات الأخرى غير الإسلامية التي تلقفت ما كتب عنهم واحتفت بهم وجعلتهم رموزا لها.

مؤلفاته وعضوياته

■ نال الدكتور عمارة عضوية عدد من المؤسسات الفكرية والبحثية منها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وهيئة كبار علماء الأزهر، ومركز الدراسات الحضارية، واللجنة التأسيسية لدستور ٢٠١٢ (مصر)، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة «آل البيت» (الأردن)، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن).. كما رأس تحرير مجلة الأزهر.

■ أثمر تفرغه وعزلته اللذان اختارهما لنفسه، مئات المقالات التي يصعب حصرها، وعددا من المؤلفات ناهز الـ ٢٤٠، كانت مرآة لمشروعه الحضاري الوسطي الجامع، رد بها على مشاريع التغريب التي علا صوتها وكثر دعاتها؛ منها: «الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري» و«الإسلام وحقوق الإنسان» و«المعتزلة وأصول الحكم» و«تيارات الفكر الإسلامي» و«الإسلام والمستقبل» و«الغرب والإسلام» و«الإسلام بين التنوير والتزوير» و«المشروع الحضاري الإسلامي».

إسهاماته في «الوعي»

■ للدكتور محمد عمارة مساهمات عدة في المجلة، منها: «الفكر الإسلامي بين الواحدية والتعددية» (ع:٣٨٤، شعبان ١٤١٨هـ/ديسمبر ١٩٩٧م)، و«التوحيد الديني وثقافة التعددية» (ع:٣٨٥، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م)، و«وحدة الحقيقة وتعددية مراتب التصديق والخطاب» (ع:٣٨٦، شوال ١٤١٨هـ/فبراير ١٩٩٨م)، و«إنسانية واحدة وتعددية في الأمم والشعوب والقبائل والأجناس» (ع:٣٨٨، ذو الحجة ١٤١٨هـ/أبريل ١٩٩٨م)، و«لابد من وضع السنن الإلهية في الممارسة والتطبيق» (ع:٤٧٧ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ/يوليو ٢٠٠٥م).

وفاته

■ انتقلت روح عمارة إلى بارئها مساء الجمعة ٢٨ فبراير المنصرم، وصُلي عليه بعد ظهر السبت بمسجد الحمد بالقاهرة (التجمع الخامس)، ثم ووري جثمانه الثرى في بلدته صراوة، ونعته مشيخة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وجامعة الأزهر.

المصادر والمراجع

١- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٢- موقع الجزيرة.
٣- موقع الاثنينية.
٤- موقع الدكتور محمد عمارة.

هشام الصباغ
باحث لغوي

صاحب «فتاوى وأحكام»

الشيخ عطية صقر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● له نظرة وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط.. بهدوء وحزم استطاع أن يشيعها بين طلابه ومستمعيه.. حباه الله بفراسة متفردة؛ يدرك متى يشدد، ومتى يرخص.. عالم بمقاصد الشريعة، واقف على حدود الله عزوجل، جامع غير مفرق.. لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يسمح بأي انحراف عن شريعة الله، ولا تجاوز لحدوده، مهما كلفه الأمر.

● صاحب فهم قبل أن يكون صاحب علم، وصاحب فقه قبل أن يكون حافظا.. من الله عليه بفقه واسع، وذكاء وقاد؛ فعاش واقع عصره ومحدثاته ومستجداته ونوازله، وأدرك أهمية الفتوى الصحيحة بين المسلمين، فلم يُقصر ردوده وفتاواه على رأي واحد، بل كان يعرض كل الآراء المختلفة بين المذاهب الأربعة، ليختار المسلمون أنسبها إليهم.. مع الإشارة إلى ما يميل إليه من الآراء التي عرضها لييسر على بعض العامة والبسطاء الذين لا يستطيعون التفضيل بين أي من هذه الآراء.

● عندما تسمع صوته وهو يتحدث حول مسألة دينية أو يدلي برأي في أمر ما، يخطر في بالك بادئ الأمر أنه ينقله عن عالم من كتاب أمامه، فقد كان، رحمه الله، يحفظ ما يقوله عن ظهر قلب، وصاحب ذاكرة حادة تنشط مع كل مسألة فقهية ترد إليه، وكأنها تحضر بين يديه وأمام عينيه بإجماع الفقهاء واختلاف آرائهم، فيتلوها على مسامع سائليه، وكأنه يقرأها لهم.. إنه الشيخ عطية صقر.

النشأة والتعليم

● في محافظة الشرقية، وتحديدا في قرية بهناباي التابعة لمركز الزقازيق، ولد الشيخ عطية محمد عطية صقر يوم الأحد ٤ من المحرم ١٣٣٣هـ الموافق ٢٢ من نوفمبر ١٩١٤م، لأسرة بسيطة متدينة.

● في كتّاب قريته نال تعليمه الأولي، وبعد أن أتم حفظ كتاب الله في سن مبكرة (٩ سنوات) وجوّده بالأحكام وهو في سن العاشرة، التحق بالمدرسة الأولية، والتحق بعدها بمعهد الزقازيق الديني عام ١٩٢٨م، ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٤١م.. اختار تخصص الوعظ، فحصل منه على شهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد في عام ١٩٤٣م، وكان ترتيبه الأول.

حياته العملية

● في يوم الاثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢هـ الموافق ١٦ أغسطس ١٩٤٣م، فور تخرجه، بدأ حياته العملية فعُين إماما وخطيبا ومدرسا بوزارة الأوقاف، تنقل من مسجد لآخر، ومن محافظة لأخرى، حتى رقي مفتشا للوعظ ثم مراقبا عاما حتى أحيل إلى التقاعد.

● عين سفيرا للأزهر في اللجنة

العليا للعلاقات الخارجية بوزارة الخارجية، واللجنة الوزارية للتثقيف الصحي، ومترجما بمراقبة البحوث والثقافة، ووكيلا لإدارة البعوث، ومدرسا بالقسم العالي بالأزهر.

● كما عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى بالأزهر ثم رئيسا لها، وعضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكان عضوا بمجلس الشعب عن دائرة شبرا، وذلك في سنة ١٩٨٤م.

● تعددت رحلات الشيخ -رحمه الله- لمختلف البلدان لنشر الدعوة الإسلامية، فسافر إلى إيران والكويت وإندونيسيا وليبيا والجزائر والبحرين والسنغال ونيجيريا وبنين والولايات المتحدة وباكستان وباريس ولندن.

نشاط علمي واسع

● نشط الشيخ، رحمه الله، علميا بشكل واسع النطاق، فتعددت منابره العلمية بين تأليف الكتب، وكتابة المقالات والأبحاث، والمشاركة في البرامج الدينية؛ إذاعية كانت أو تلفزيونية.

● قدم الوعظ والإرشاد والخطابة، بالإضافة إلى عقد الندوات، وكان له دور فعال في لجنة الفتوى ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالإضافة إلى قيامه بالرد على الاستفسارات الدينية.

● للشيخ عطية صقر مؤلفات علمية مكتوبة تزيد على ٣١ مؤلفا علميا، يأتي على رأسها كتاب «الدعوة الإسلامية دعوة علمية»، وهو الكتاب الفائز بجائزة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكتاب «الأسرة تحت رعاية الإسلام» ويقع في ستة مجلدات.. وغيرها كثير.

● كما أن له إنتاجا علميا مسموعا يزيد كثيرا في الكم على ذلك التراث المقروء، فلقد قدم فضيلته للأمة الإسلامية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية الكثير من الإنتاج العلمي في جميع فروع الشريعة، ولا يزال كثير من رواد الشبكة الإلكترونية يقبلون بنهم شديد على تراث الشيخ الصوتي، لاسيما سلسلة «فتاوى وأحكام» في فقه العبادات (أشهر برامجه)، وسلسلة فقه الأسرة المسلمة، وقل أن تجد موقعا يعرض فتاوى إلا وللشيخ أثر واضح فيه.

صادع بالحق

● تصدى لكل الانحرافات الفكرية التي انتشرت على لسان بعض المعادين للدعوة الإسلامية، وكان يذود عن الإسلام ويعلن براءة الإسلام -بشموليته ورحابة أفقه- من أفكارهم.

● اتُّهم بالرجعية فلم يعبأ، ووصف بالتساهل فلم يهتم، وكان يصدع بالحق لا يأبه لأي صوت سواه.. ولقي في مقابلها الكثير من المشاكل، أشهرها بسبب فتاواه وحكمه بربوية الفوائد البنكية ودفاعه عن ختان الإناث بأنه بين الوجوب والاستحباب، وفتواه الشهيرة التي أثارت ضجة كبيرة وحالة من الجدل والخلاف والخاصة بتحريم مصافحة المرأة الأجنبية أثناء برنامجه التلفزيوني «فتاوى وأحكام» مما أدى إلى إيقاف البرنامج، وتنحيه عن منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف عام ٢٠٠٢م.

زهد.. ومحن

● قليلون هم من يعرفون عن حياة هذا العالم الشخصية، إذ عاش زاهدا في الحياة بارا بأهل بلدته.. كما أنه مر بمحن عدة واختبارات كثيرة، أشدها وأبرزها وفاة ثلاثة من أبنائه، إذ توفيت ابنتان له وكانتا في سن الشباب، كما استشهد نجله وكان ضابطا بالقوات المسلحة، لكن على الرغم من هذه الاختبارات الصعبة، فإنه كان دائما صابرا وراضيا بقضاء الله.

إسهاماته في «الوعي»

● للشيخ مساهمتان مع المجلة، جاءتا تحت عنواني: «قضية الدين» (ع:٧، رجب ١٣٨٥هـ/نوفمبر ١٩٦٥م)، و«لبيك بحجة حقا.. تعبدا ورقا» (ع:٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ/يناير ١٩٧٢م).

وفاته

● بعد رحلة من العمل في سبيل التعريف بالإسلام الصحيح، وعن عمر ناهز ٩٢ عاما، وفي مركز الطب العالمي بالقاهرة، توفي الشيخ عطية صقر، رحمة الله عليه، يوم ٩ ديسمبر ٢٠٠٦م، ودفن في قريته بهناباي.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣ – طريق الإسلام.
٤ – المكتبة الشاملة.



هشام الصباغ
باحث لغوي

مؤسس «الجماعة الإسلامية» وصاحب «ترجمان القرآن»

أبو الأعلى المودودي

■ على الدعوة إلى الله أوقف حياته، وأخلص فيها، واجتهد في جعل هدفه ورسالته إعلاء «لا إله إلا الله»، وتمكين الإسلام في قلوب أتباعه؛ فالتف كثيرون حوله، وانضووا تحت لواء فكره، الذي تجاوز مرحلة الدعوة بالخطاب والتنظير الفكري إلى التطبيق العملي للتشريع الإسلامي؛ حكما وقيادة ومعاملات.. فكان نموذجا عالميا فريدا للداعي إلى الله.

■لسمو غايته ورفعتها، تجاوزت أعماله ومؤلفاته حدود قوميته وجغرافيته، ونزعت إسار لغته، فراحت تغدو في سماء المعمورة تتلقفها معظم لغات العالم بالترجمة؛ لتروح ينبوعا متجددا لعطائه الفكري.

■ مفكر مجدد، ذو نظر عميق، وتحليل دقيق؛ تأمل في واقعه المعاصر، وأشبع أفكاره الرائجة وأوضاعه السائدة دراسة وبحثا، وتتبع مصادر معرفة الحضارة الغربية: تمييزا وتوثيقا ونقدا، بل غربلة، فلم يغره بهرجها الكاذب، أو يخدعه بريقها الجاذب؛ وقدم الإسلام حلا لمختلف مشكلات الحياة.

■كان لدعاة «التغريب»، وأعداء «السنة»، و«المرتزقة» من الخرافيين والقبوريين، و«مشوشي الفكر» من المقلدين الجامدين بالمرصاد.. وعرض الإسلام ونظم حياته وسياسته وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية، بأسلوب علمي رصين، وبلغة عصرية تملأ فراغا وجد في الأدب الإسلامي منذ زمن طويل قبله.

■ إلى شبه جزيرة العرب تمتد جذور أسرته، التي هاجرت إلى مدينة «هراة» في أفغانستان قبل ألف عام، ثم رحل جده الأكبر (ضواجه) إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري.. هو صاحب فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو مجلسها، كما أنه عضو مؤسس في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.. إنه مؤسس كبرى الجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية العلم العلامة أبو الأعلى المودودي.

الأسر والنشأة والتعليم

■ لأسرة علم وفضل مسلمة محافظة، ولد أبو الأعلى (أو أبو العلاء) المودودي في ١٢ رجب ١٣٢١هـ/ ٣١ ذي القعدة ١٣٩٩هـ، بمدينة جيلي بورة (ولاية حيدر آباد) في الهند.

■ بعد عام من مولده، اعتزل أبوه (سيد أحمد حسن مودود)، الذي عمل مدرسا، ثم محاميا، الناس ومال إلى حياة الزهد والتقشف، فنشأ أبو الأعلى في جو صوفي، وتفتحت عيناه على حياة تفيض زهدا وورعا وتقوى.

■ منذ حداثة سنه شغف المودودي بالمسائل الدينية، وحرص على أداء الصلوات الخمس في المسجد، كما حفظ كثيرا من القرآن الكريم وهو في الخامسة، وصام قبل سن التكليف، وقد وهبه الله عزوجل ملكة الكتابة التي كانت سلاحه في الدعوة إلى الله.

حياة عملية مثيرة

■ والمودودي في سن صغيرة توفي أبوه، فاعتمد على نفسه في بناء ذاته، وكانت الصحافة وجهته، فأخذ يتنقل فيها من صحيفة لأخرى.. في ذاك الوقت سيشغل ذهن الشاب اليافع الخلافة الإسلامية الآيلة للسقوط، وستبدأ أفكاره تتحول نحو الاهتمام بأحوال مسلمي الهند والعالم، وسبل النهوض بأوضاعهم، وسيغزل قلمه نسيجا من السياسة والإعلام وقضايا الإسلام والمسلمين.

■ بعد هذه البداية الساخنة، سينتقل إلى دلهي (عاصمة الهند) وسيقابل الشيخين كفاية الله وأحمد سعيد (من كبار علماء «جمعية العلماء»، الرابطة الأم للعلماء المسلمين في الهند)، وسيكلفانه رئاسة تحرير صحيفتين ستصدرهما الجمعية: «المسلم» بين عامي ١٩٢١م و١٩٢٣م (سيرأس تحريرها وهو ابن سبعة عشر عاما)، و«الجمعية» من ١٩٢٤م إلى ١٩٤٨م.

■ خلال فترة إقامته في دلهي سيتعمق

في العلوم الإسلامية والآداب العربية، وسيتقن الإنجليزية في أربعة أشهر، وسيقرأ كثيرا في العلوم الغربية، ما سيمكنه من تمييز ما تحويه الثقافة الإسلامية من «درر» وما تتضمنه الثقافة الغربية من مظاهر جذابة.

«ترجمان القرآن».. ودعوة إقبال

■ من حيدر آباد سيشهد عام ١٩٣٢م، إصدار المودودي مجلته «ترجمان القرآن» مع شعارها: «احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم»، وسيروي تأثيره عبرها «فسيلة» تيار إسلامي؛ ستنمو شجرته، وستتفرع أغصانها، وسيمتد وارف ظلها على شبه القارة الهندية، ما سيتبلور لاحقا في حزب «الرابطة الإسلامية»، الذي سيدعو إلى استقلال الولايات ذات الأغلبية الإسلامية.

■ لذيوع شهرته وفرادة رؤاه وألمعية أفكاره واتساع دائرة تأثيره الفكري في العالم الإسلامي؛ سيدعوه المفكر والفيلسوف الهندي الكبير محمد إقبال عام ١٩٣٧م، إلى لاهور، للعمل للإسلام معا، وسيلبي المودودي دعواه، وسيكون ثمرة تعاونهما استقلالا لمسلمي الهند (دولة باكستان).

«الجماعة الإسلامية»

■ في عام ١٩٢٦م، ستقع اضطرابات في الهند يواجه فيها المسلمون هجوما دمويا عنيفا، وسيبادر المودودي إلى التصدي له عمليا؛ من طريقين: تأليفه لكتابه «الجهاد في الإسلام» (الذي جاء ردا على فرية غاندي بأن الإسلام دين دموي انتشر بالسيف)، وتأسيسه لـ«الجماعة الإسلامية» (لاهور ١٩٤١م) بهدف الدعوة إلى الله وإقامة المجتمع الإسلامي.

■ ستنشط «الجماعة» على عدة جبهات؛ فستتبنى نصرة قضية فلسطين، وتحت ظلها سيؤسس المودودي مدرسة اقتصاد إسلامية للتخلص من التبعية البريطانية. وفي الحرب بين باكستان والهند عام ١٩٦٥م، ستسارع إلى مسؤوليتها الاجتماعية، من رفع للمعنويات ومساعدة المهجرين، وستتحمل عبء الخدمات الطبية (أقامت نحو عشرين مركزا للإمداد الطبي في كشمير).

٣ اعتقالات وحكم بالإعدام ومحاولات اغتيال

■ من خلال «الجماعة» سيشارك المودودي في رسم المشهد السياسي في الهند وباكستان. وبعيد استقلال الأخيرة بخمسة أشهر، ستطالب «الجماعة» الحكومة بدستور إسلامي وبتطبيق الشريعة، وسيُرفض الطلب، وسيُعتقل المودودي (٣ مرات) وعدد من أعضائها.

■ بعد أربعة أيام فقط من اعتقاله «الأول» سيحكم على المودودي بالإعدام، لكن ثورة من الغضب العارم ستشتعل في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وسيؤدي ضغط الشارع وتوالي الإدانات واستمرار ردود الفعل الرافضة لهذا الحكم إلى إصدار حكم بالعفو، وخلال هذه الفترة سيتعرض المودودي لأكثر من محاولة اغتيال.

«الملك فيصل»

■ في عام ١٩٧٩م، سيفوز المودودي بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام؛ وسيكون أول من يحصل عليها؛ تقديرا لجهوده المخلصة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين.

ثروة المودودي الباقية

■ استغل المودودي ما وهبه الله من حُسن عرض آرائه وأفكاره على أحسن ما يكون، ولقيت مؤلفاته (نحو ١٢٠) قبولا واسعا لدى المسلمين على مختلف مستوياتهم واتجاهاتهم، وغيرت كثيرا من أفكارهم. كما حظيت تصنيفاته بشهرة عريضة في جميع أنحاء العالم؛ فتناولها كثير من لغاته (١٦ لغة) بالترجمة؛ منها: الإنجليزية، العربية، الألمانية، الفرنسية والتركية.

■ من أبرز كتبه التي تربى عليها –وما زال– أجيال من المسلمين؛ عربهم قبل عجمهم: «الجهاد في الإسلام»، «تجديد وإحياء الدين»، «سيرة النبي ﷺ» (شرع في تأليفه سنة ١٩٧٢م، وأتمه قبيل وفاته، وهو آخر مؤلفاته)، «تفهيم القرآن» (٣٠ جزءا، وهو تفسير للقرآن استغرق ٣٠ عاما).. وغيرها كثير.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للعلامة أبي الأعلى المودودي مشاركة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان: «نكاح نساء أهل الكتاب» (ع:٨٦، صفر ١٣٩٢هـ، مارس ١٩٧٢م).

غروب شمس المودودي

■ مع أبريل ١٩٧٩م، ستسوء حالته، رحمه الله، الصحية؛ لعلتي الكلى «المزمنة» والقلب. وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩م، ستغرب شمس المودودي، التي أضاءت طريق الهداية لمسلمي شبه الجزيرة الهندية، إلى رحاب بارئها، لكن أشعتها ستظل تمد عالمنا بحرارة علمه الصافي وعقيدته الخالصة على مر العصور.

المصادر والمراجع

١ – كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ – طريق الإسلام.
٣ – بوابة الحركات الإسلامية.
٤ – مركز المسبار للدراسات والبحوث.
٥ – إسلام أون لاين.
٦ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

صبحي الصالح.. الشهيد المغدور

● عندما «يخطب» يسحر الألباب بفصاحته، وإذا «كتب» يشهد أرباب اللغة ببراعته؛ محب للغة العربية، مدافع عنها؛ فهي أداة فهم القرآن، وشعيرة من شعائر الإسلام.. وهو عالم مجدد، وفقيه مجتهد، ومفكر إبداعي، وأديب لوذعي، ومجاهد شهيد.

● علم أن الله كرم بني آدم، فعمل على تحقيق كرامة الله فيه؛ فكان العالم الذي يجمع الناس إذا افترقوا، ويحيي فيهم الإنسانية إذا أطلت فيهم غرائز الوحوش.

● تضلّع من مناهج الحضارة الغربية وركائزها، ودارس مفكريها ومستشرقيها، واغترف من مذاهبها الفلسفية والأدبية والاجتماعية، وراقب مسيرة حداثتها، لكنه لم يضع في متاهات تياراتها الثقافية، ولم ينجذب إليها أو يذب فيها، وحافظ على ذاتيته الإسلامية، ولم يتخل عن أصالته الحضارية العربية، وبلور نهجه الفكري على ثوابت وركائز إسلامية.

● استوعب واقعه المعيش، وتميز بالأفق الواسع، وبعد النظر، ودعا إلى العيش المشترك، ورفض تقسيم وطنه وتهويده، ونادى بوحدته وتوحد أبنائه وبسط العدل بين طوائفه ومذاهبه ومناطقه.

● كان حجر عثرة أمام كل مشروع مآله الفرقة والتشرذم، وتقدم الصفوف لإطفاء نيران حروب أذكتها فتن طائفية ومذهبية ومناطقية.

● رأى أن حضارة العصر تدور في فراغ وتتهيأ للرحيل؛ إذ إنها: «فرطت في قيمة الإنسان، ونصرت الغريزة، وهزمت العاطفة، وعزلت الدين، واستحلت نفاق السياسة؛ فأضاعت مبررات بقائها»، وتوقع إقبال أخرى مكانها، ونورا يسطع في أعقاب نجم يأفل، وإيناع أشجار تثمر وسط أخرى تذبل.

● اعتبر التحزب والتعصب الطائفي والمذهبي طاعونا يفتك بوحدة الأمة والوطن والمجتمع، وكان يؤمن بالتكامل المطلق بين الإسلام والعروبة، بكل ما يعنيه ذلك من إحياء للقيم الروحية والإيمانية في النفوس، والسعي الدؤوب لتحقيق الوحدة والتضامن العربي.

● من رموز الصحوة الإسلامية في لبنان وبلاد الشام، وأحد أهم علماء أهل السنة اللبنانيين البارزين والمحدثين، خاطب شباب عصره بلغة يفهمونها، وعاش هموم أمته، وضحى لأجلها، ولقي الله شهيدا.. إنه العالم العلامة الشيخ الدكتور صبحي الصالح.

مولده ونشأته

● في مدينة الميناء «الساحلية»، التي تشكل امتدادا طبيعيا وجغرافيا لمدينة طرابلس، وتحديدا في عام ١٩٢٦م، ولد الشهيد أبو أسامة صبحي بن إبراهيم الصالح لعائلة من أصول تركية لها نزعة دينية علمية.

● في إحدى مدارس «الميناء» الابتدائية تلقى تعليمه الأولي، ثم التحق بإحدى أهم المدارس الثانوية التي تخرج فيها معظم قادة الرأي والفكر في ذاك الزمن؛ وهي كلية التربية والتعليم الإسلامية بطرابلس.

● وفي تلك الفترة، وكان عمره اثني عشر عاما، ولكثرة قراءته ومطالعته ومجالسته للعلماء، رغب في ارتداء الزي الديني، واعتلى المنابر خطيبا مفوها.

● نبوغه وتفوقه لفتا إليه أنظار شيخه عبدالكريم عويضة، فنصحه، بعد أن نال الإجازة في العلوم العربية والشرعية، بأن يقصد مصر لإتمام دراسته في الأزهر الشريف.

«عالمية» الأزهر.. و«دكتوراه» السوربون

● في عام ١٩٣٤م، توجه الصالح إلى القاهرة، وانتسب إلى كلية أصول الدين في الأزهر.. وفي عام ١٩٤٧م، حصل على الإجازة منها، وبعدها بعامين (١٩٤٩م) نال «عالمية» الأزهر.. وخلال فترة دراسته في الأزهر، انتسب إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل منها عام ١٩٥٠م على «ليسانس» الأدب العربي بدرجة امتياز.

● وفي العام نفسه، وبعد أن تشبع بالثقافة الإسلامية؛ فكرا ومنهجا، واستوفى الأدب العربي؛ دراسة وحبا، ولى وجهه شطر أوروبا، وتحديدا فرنسا، قاصدا السوربون، جامعتها العريقة؛ اقتحمها دارسا وباحثا، ومراقبا ومتأملا، ومنها نال «الدكتوراه» عام ١٩٥٤م، إثر أطروحتين باللغة الفرنسية: الأولى بعنوان «الدار الآخرة في القرآن الكريم»، والثانية «الإسلام وتحديات العصر».

● فترة دراسته الباريسية لم تنسه الدعوة إلى الله أو تشغله عنها، فكان يخطب الجمعة في جامع باريس، واشترك مع صديقه محمد حميد الله الحيدر أبادي، في إنشاء أول مركز ثقافي إسلامي في باريس، كما شارك في تعليم اللغة العربية للأفارقة المسلمين، وحاضر في أندية باريس الثقافية، ليفاجأ الفرنسيون والأوروبيون بأسلوب جديد في عرض الإسلام ما عهدوه من قبل.

حياة عملية حافلة

● ٣٢ عاما أمضاها في التدريس الجامعي بين جامعات: لبنان وسورية والعراق والأردن والسعودية وتونس.. كما سمي مشرفا على رسائل الدكتوراه في الدراسات الحضارية واللغوية والإسلامية في جامعتي «ليون الثالثة» و«باريس الثانية» في فرنسا.

● ترأس المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان، وكان الأمين العام لرابطة علماء لبنان، والأمين العام للجبهة الإسلامية الوطنية في لبنان.. كما كان عضو المجامع العلمية في: القاهرة ودمشق وبغداد وأكاديمية المملكة المغربية.. كما كان عضو لجنة الإشراف العليا على الموسوعة العربية الكبرى.

أفكار نهضوية

● كانت للصالح دعوات لا يذكر اسمه إلا مقترنا بها، من ذلك دعوته إلى إطلاق الاجتهاد من جديد، وأن يكون القرن الـ١٥ الهجري قرن الاجتهاد حتى يصبح الاجتهاد ظاهرة غالبة.

.. وفي الاقتصاد

● تبنى الرأي المبيح لصناديق التوفير، وشهادات الاستثمار -على تفاوت- في بابي المضاربة والقرض الإسلاميين، لكن «بعد إجراء تعديل جزئي على صياغة بعض القواعد الفكرية والشروط الاحترازية الاجتهادية»، شارحا: «لا يجوز أن نسوي بين المعاملات النافعة لآخذ المال وصاحب المال معا، وبين الربا الجلي المركب المخرب للبيوت».

رؤى خاصة

● كانت للصالح رؤاه الخاصة ومواقفه الواضحة؛ فـ«السياسة» بالنسبة إليه ليست سوى أفضل وسيلة لتنظيم الدولة، وأن «الخلافة» ليست هي الشكل الأوحد للحكم في ظل الإسلام، ودعا إلى «الحرية» التي تقوم على مبدأ القبول بالآخر وبالرأي الآخر، ورفض «الماركسية» لإهمالها ومعاداتها الحرية الفردية والسياسية، كما رفض «الليبرالية الرأسمالية» لإهمالها ومجانبتها الحرية الاجتماعية والعدالة بين طبقات المجتمع وفئاته.

إرثه العلمي

● ترك الشيخ الدكتور صبحي الصالح أكثر من عشرين كتابا في قضايا الفكر واللغة والأنظمة السياسية والاجتماعية في الإسلام، وفي الدراسات الحضارية المعاصرة، وعشرات البحوث العلمية والأدبية والإسلامية باللغتين العربية والفرنسية، نشرت في عدد من المجلات والموسوعات العربية والعالمية، منها: «ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية» (بالاشتراك مع دانيس ماسون)، و«دراسات في فقه اللغة» و«نهج البلاغة»، و«أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية» (تحقيق وتعليق).. وغيرها كثير.

مساهمته مع «الوعي»

● كانت للشيخ مساهمتان مع المجلة جاءتا تحت عنواني: «ملحمة الهجرة: خطة وتصميم» (ع:٣٧، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/مايو ١٩٦٨م)، و«البلاغة النبوية» (ع:٧٦، ربيع الآخر ١٣٩٠هـ/ مايو ١٩٧١م).

قصة اغتياله

● مع صبيحة ٧ أكتوبر ١٩٨٦م، وكعادته اليومية، استقل سيارة أجرة للتوجه إلى جمعية خيرية لرعاية الأطفال المسلمين الأيتام، كان يشرف على مدرستها، ويتابع أخرى لتعليم العلماء المسلمين اللغات الأجنبية، لكن لم يتح له أن يدخلها؛ إذ عندما تهيأ للنزول منها، اندفع باتجاهه مجرمان ملثمان يركبان دراجة نارية وأطلقا عليه رصاص الغدر.

● ومن بيروت، مضت جنازة الصالح إلى طرابلس الشام (بلد العلماء).. وفي الطريق وقفت كل مناطق لبنان وطوائفه ومذاهبه، وأحنى الجميع رؤوسهم إجلالا لموكب العالم المهيب، والدموع تتسابق إلى توديعه.

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣ - رابطة العلماء السوريين.
٤ - رابطة أدباء الشام.



هشام الصباغ
باحث لغوي

سيوطي العصر

محمد عبدالمنعم خفاجي

■ بحر من العلم لا شطآن له، ونموذج متفرد تفخر به كل العصور، ندر في عصرنا الراهن من جاراه أو يجاريه في عدد مؤلفاته التي تناولت شتى ضروب المعرفة وفنونها وألوانها، حتى إنه لو أنشئت لغزارة المنتوجات الأدبية جائزة، لفاز بها بلا شك؛ فنشاطه تنوع بين الإبداع الأدبي والتحقيق والتأليف وقرض الشعر.

■ لم نحد عن جادة الصواب إن وصفناه بالأديب الموسوعي؛ فكتاباته ومؤلفاته لم تقتصر على الأدب فقط، إذ كانت له إطلالات على الفنون الأخرى، حتى إنه كان يتناول العلوم التطبيقية بأسلوب «متأدب» لا يخل بحقائقها العلمية.

■ على ماضي الأدب العربي وقف وقوف فهم ودراسة، وبالتراث والأصالة احتفى وتعمق، ومع حركات التجديد سايرها ورافقها في كل خطواتها المستوثبة، وكان من خير مجدديها.

■ إن لم يكن غالبية أعلام الأمة العربية في شتى مجالات الفكر والثقافة والأدب في العصر الحديث أصدقاء له، فقد عاصرهم، أو رمى مع كثير منهم بأسهم في خدمة العربية وتراثها وأدبها وعلومها.. حتى إنه رأس «رابطة الأدب الحديث»، وهي أقدم جمعية ثقافية وأدبية في مصر، ترأسها قبله أمير الشعراء أحمد شوقي، والدكتور أحمد زكي أبوشادي، والدكتور إبراهيم ناجي.

■ عاش في عصر النهضة الفكرية؛ عصر المدارس والمذاهب الأدبية، عصر الصراع بين مدرستي المجددين والمقلدين.. وعاش مع معارك ذاك العصر الفكرية، سواء بين العقاد وشوقي، أو بين الفكر الرومانسي والوجداني، أو بين من ينتمون إلى الشعر الفصيح ومن يدعون إلى العامية أمثال سلامة موسى ولويس عوض، أو بين دعاة الواقعية ودعاة الشعر العربي الأصيل، أو بين الانتماء الإسلامي والانتماء العلماني.

■ امتلك أسلوبا أدبيا رفيعا من أصفى أساليب العربية بيانا وبلاغة، وجمع بين دقة العلم وصفاء الذهن وقدرة الكاتب المجيد وروح الشاعر المرهفة.. وهو مدرسة أدبية متكاملة تغوص في الذات والوجدان، كما أنه في شعره العمودي ذي الموسيقى الشعرية والأسلوب الرومانسي المطواع يملك ناصية البلاغة والشاعرية.

■ ضيف مدعو دائما إلى كل المحافل والمؤتمرات والمنتديات الثقافية؛ يثريها بمشاركاته، ويملأها أدبا وفضلا، ثم لا يلبث أن يكتب عنها ويؤرخ لها؛ مشيدا بإيجابياتها ومنبها إلى سلبياتها.

■ على يديه تخرجت أجيال من الأساتذة والدكاترة، ومختلف الجامعات العربية اختارته عضوا مناقشا في رسائل الماجستير والدكتوراه، كما حكمته في فحص النتاج العلمي للمرشحين لوظائف الأستاذية في أقسام الأدب لديها.. وهو أول من دعا إلى إنشاء مجمع فقهي قبل قيامه في مكة بعشرين عاما.

■ من أسلافه ابن سنان الخفاجي (الأمير صاحب الفصاحة)، وابن خفاجة الأندلسي (الشاعر وقاضي القضاة في العهد العثماني)، فأصوله عريقة وجذوره عربية خالصة، وقبيلته (بنو خفاجة) تضرب بأطنابها في أرض الحجاز منذ العصر الجاهلي، قبل أن تهاجر إلى سورية والعراق ومصر والمغرب والأندلس.. إنه الدكتور الأديب الشاعر محمد عبدالمنعم خفاجي.

نشأته وتعليمه ورغبة أمه

■ من أبناء الريف المصري، إذ ولد بين أحضان الطبيعة في قرية من أعمال المنصورة تدعى «تلبانة»، في ٢٢ يوليو ١٩١٥م، لعائلة عريقة محبة للعلم والدين.. وعندما أتم من عمره خمس سنوات التحق بكتاب القرية (المدرسة الأولى للتعليم في الريف وقتذاك)؛ فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن العاشرة.

■ أصرت والدته على إلحاقه بالأزهر (على خلاف رأي أبيه)، فقد رغبت في أن يصبح شيخ عمود في الأزهر الشريف وأن يصبح مجلسه العلمي مشهودا، فرضخ الجميع لرغبتها، وفي عام ١٩٢٧م رحل إلى مدينة الزقازيق ليلتحق بمعهدها الديني العريق، ويزامل فيه كوكبة من علماء مصر والعلم الإسلامي، منهم: الإمام محمد متولي الشعراوي، وطاهر أبو فاشا، ومحمد خاطر، وعبدالحليم محمود، وحسن جاد حسن.. وغيرهم، ثم يتخرج فيه في عام ١٩٣٦م.

■ في تلك الفترة شحن وجدانه بالاتجاه الوطني، ما دفعه إلى الكفاح في سبيل مصر في الأزمات السياسية التي مرت بها، وكان رئيسا لاتحاد طلبة أبناء الشرقية في مدينة الزقازيق،

وكان هذا الاتحاد قوة سياسية كبيرة وأخبار مؤتمراته تنشر في الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» المصرية والصحف الأخرى.

■ بعدها بتسعة أعوام، وتحديدا في ١٩٣٦م، التحق بكلية اللغة العربية في الأزهر (إحدى كليات القمة يومئذ التي لا يلتحق بها إلا المتفوقون والنوابغ).. درس له فيها أعلام شوامخ، وقد تأثر باثنين منهم في الفكر والثقافة والإصلاح هما: الأستاذ الأكبر إبراهيم حمروش (شيخ كلية اللغة العربية)، وثانيهما الأستاذ الكبير محمد عرفه (عضو جماعة كبار العلماء)، الذي كان يدرسه الفلسفة والبلاغة، وتأثر بآرائه التجديدية العلمية تأثرا خاصا.

■ وفي عام ١٩٤٠م، التحق الخفاجي بأقسام الدراسات العليا في الكلية (قسم البلاغة والأدب)، وتخرج عام ١٩٤٤م يحمل شهادة النجاح في الامتحان التمهيدي لشهادة العالمية من درجة أستاذ، ثم قدم رسالته الجامعية «ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان»، وناقشها في أكتوبر ١٩٤٦م ونال بها بتفوق شهادة العالمية من درجة أستاذ في الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية.

حياته العملية

■ بعد أن نال الشهادة «العالية» من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٠م، عمل الخفاجي مدرسا في مدرسة «الليسيه فرانسيه» لأربع سنوات، أكسبته احتكاكا جيدا بعقول ذات ثقافة ولغة مغايرة.. ثم تركها بعد حصوله على «عالمية» الأزهر ليتولى أستاذية البلاغة لعام في معهد أسيوط، ومثله في معهد الزقازيق، لينتقل بعدها لتدريس الأدب والنقد والبلاغة في كلية اللغة العربية، وليتدرج في العمل الجامعي حتى تولى رئاسة قسم الأدب والنقد في الكلية، ثم عميدا للكلية في فرع أسيوط.

■ عين خفاجي أستاذا متفرغا بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٨٠م، وأستاذا في معهد الدراسات الإسلامية (القاهرة)، كما ندب للعمل في الجامعة الإسلامية في ليبيا، وكلية اللغة العربية في الرياض، وكلية الآداب في الخرطوم.

■ وعين الدكتور خفاجي عضوا في: المجلس الأعلى للأزهر، ومجلس جامعة الأزهر، ولجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب، ولجنة الشعر ثم في شعبة الآداب في المجالس القومية المتخصصة، وفي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة)، وفي جماعة أبوللو منذ قيامها، وفي مجلس إدارة اتحاد الكتاب.. كما انتخب نائبا لرئيس رابطة الأدب الحديث ثم رئيسا لها، وخبيرا في مجمع اللغة العربية.

مشروعات ثقافية

■ شارك وساهم في عدة مشروعات ثقافية، منها: إعداد تفسير القرآن الكريم (نشرته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، إعداد تفسير القرآن الكريم (نشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر)، وشارك في تأسيس «سوق الفسطاط للشعر والنقد» على نمط «سوق المربد»، وفي إصدار مجلة «الحضارة» الشهرية، كما شارك في تأسيس «رابطة الأدب الحديث» و«جماعة أبوللو».

إرثه العلمي

■ ترك د. خفاجي عددا ضخما من المؤلفات للمكتبة العربية (له نحو خمسمئة كتاب مطبوع)، وهو ما جعل معاصريه يطلقون عليه «سيوطي العصر»، ولا عجب في ذلك، فمحبرته عين ثرة متدفقة.. كما ترك خمسة عشر ديوانا مطبوعا.

■ شملت مؤلفاته عدة أبواب، منها: الأدب، والنقد، والبلاغة، واللغة، والبحوث الأدبية، والتصوف، والإسلاميات، والتاريخ، ومناهج البحث.. ولعل من المشهور في مؤلفاته ما يشبه السلسلة من قصص الأدب، فقد أتحفنا بقصة الأدب المهجري، وقصة الأدب في الأندلس، وقصة الأدب في مصر، وقصة الأدب في ليبيا، وقصة الأدب في الحجاز، وقصة الأدب المعاصر.. وعشرات من الكتب الأخرى بما فيها موسوعة ألفاظ القرآن الكريم، وما حققه من أمهات الكتب، وعيون التراث.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب «الإسلام أولا» (ع٧٢، ذو الحجة ١٣٩٠هـ، يناير ١٩٧١م)، و«ما أحلى الغدا» (ع٧٥، ربيع الأول ١٣٩١هـ، أبريل ١٩٧١م)، و«الإسلام في العصر الحديث» (ع٧٨، جمادى الآخرة ١٣٩١هـ، يوليو ١٩٧١م)، و«ابن عمك عزه عزك» (ع٨٠، شعبان ١٣٩١هـ، سبتمبر ١٩٧١م)، و«اليمينيون واليساريون في القرآن» (ع٨٣، ذو القعدة ١٣٩١هـ، ديسمبر ١٩٧١م)، و«انتقال الحضارات» (ع ٣٥، شوال ١٤١٥هـ، مارس ١٩٩٥م)، و«أيها التاريخ» (ع٤٠١، محرم ١٤٢٠هـ، أبريل ١٩٩٩م).

وفاته

■ ترك د. خفاجي عالمنا صباح الأربعاء ٨ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٠٦م، بعد حياة حافلة بالعطاء لدينه وعلمه ووطنه.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- الاثنينية.
٤- السيرة الذاتية للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي.



هشام الصباغ
باحث لغوي

مفكر المغرب وفيلسوفه عبدالله كنون

● عالم ومفكر مغربي، وذاكرة مغربية حقيقية، عمل على إعادة بناء الأدب المغربي، وتجاوز مظاهر التقليد، وهو أحد المؤسسين لذاكرة الثقافة المغربية في أبعادها الإسلامية واللغوية والوطنية.. ساهم في إرساء قواعد النهضة العلمية والأدبية في الوطن العربي، كما أنه أحد أعمدة اللغة العربية فيه.

● عايش ذروة هجوم الفكر الغربي، الذي يعتمد «العقل» ويطلق «الأخلاق»، على العالم الإسلامي، ورأى أن الاندماج في الحضارة الغربية من دون ضوابط سيؤدي، لا محالة، إلى أن نفقد هويتنا؛ فعمل على إيجاد إطار فكري لذلك الصراع، يتشكل من خلاله وعي نخبوي بضرورة الإصلاح المجتمعي الشامل، معتمدا في ذلك الموروث الإسلامي يتخلله تجديد وانفتاح على مستجدات العصر.

● من قادة الفكر والعلم والعمل الوطني، لم يكتف بمسايرة الركب الحضاري والثقافي، الذي قدر أن تبدأ انطلاقته من المشرق العربي، لكن قادته مواهبه ومؤهلاته وشخصيته إلى السبق، والتفرد، والتميز عن أقرانه وخلانه، فكان مثالا نادرا للعصامية، وكان نسيج وحده حقا وصدقا.

● خلف أثرا واضحا في الدراسات الأدبية، وفي كتابة التراجم، وفي تحقيق المخطوطات، وفي إصدار الصحف والمجلات وإدارتها والإشراف عليها وتزويدها بالمادة المتنوعة الغنية، وفي العمل الأكاديمي والمجمعي، وفي الدعوة الإسلامية بالحكمة وبالعقل السديد وبالأناة والحلم وسعة الصدر واستنارة البصيرة.

● «جمع بين خلال الشيوخ؛ من سعة العلم والأدب وكمال العقل والمروءة وبعد النظر وسداد الرأي والرزانة والحلم والوقار، إلى خلال الشباب؛ من النشاط والحزم وفكاهة الحديث وحسن المحاضرة وطرافة النكتة مع صحة العقيدة والكرم والشهادة والوطنية الموزونة بميزان الشرع المحمدي المكتسبة من القرآن وسيرة الرسول ﷺ» (كما وصفه الدكتور تقي الدين الهلالي).

● جمع بين الأصالة والمعاصرة، والتوفيق بين العلم والدين، وكذا النقد والشعر، والدراسة مع التحقيق، وذلك راجع لرؤيته الإصلاحية التي اتسمت بالشمولية والعلمية والموضوعية والموازنة، واعتمدت الاستفادة من الأصول والأخذ بإيجابيات الحاضر، مع الاستئناس بالتراث، بعيدا عن الاستئصال والماضوية.

● مؤسس النهضة التعليمية في طنجة، وباعث الروح العربية والإسلامية في أبنائها، ومنشئ أول مدرسة حرة بها وهو الأمين العام لرابطة علماء المغرب.. وهو الكاتب، والمؤرخ، والصحافي، والشاعر.. وهو عضو العديد من المجامع العلمية واللغوية والإسلامية.. إنه عبدالله ابن الشيخ عبدالصمد ابن التهامي كنون.

مولده ونشأته وتعليمه

● في مدينة فاس يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٣٢٦هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٠٨م، ولد كنون لأسرة سنية محافظة.

● في مرحلة صباه المبكر، تلقى تعليمه من أربعة مناهل: الأول: على يد والده العلامة الفقيه، وفي بيت الأسرة في طنجة، التي استقرت بها بعد تعذر هجرتها إلى الشام من فاس إثر قيام الحرب العالمية الأولى، إذ كان والده عالما ضليعا، متبحرا، مشاركا، له قدم راسخة في العلوم والمعارف المتنوعة؛ والثاني: علماء طنجة في مساجدها التي كانت بمنزلة جامعات مفتوحة تعج بالعلم والعلماء وشداة المعرفة من كل الأعمار والفئات وقتئذ؛ والثالث: في بيوت بعض العلماء في علوم معينة. والرابع: من خلال إغراق نفسه في قراءات حرة لكل ما يصل إلى طنجة من كتب ومجلات وصحف.

● حفظ القرآن صغيرا، وأتقن حفظ المتون، وأجاد رواية الحديث والشعر، وتبحر في علوم الشريعة واللغة العربية والتفسير والتاريخ، واهتم بالأدب والشعر والصحافة، ثم لحق بـ «القرويين» ليتلقى علوم عصره على كبار المشايخ يومئذ، فغدا في فترة وجيزة، عالما بالشريعة وأركانها، وباللغة وأسرارها، ولم يبلغ عقده الثاني بعد.

● فـي سـن مـبـكـرة احـتـك كـنـون بالثقافة الأوروبية عبر دراسته للغتين الفرنسية والإسبانية، كما بدأ الكتابة فـي المجـلات والـصـحـف المـغـربـيـة، فكتب في «الرسالة» و«الميثاق» (لسان جماعة العلماء بالقرويين التي كان عضوا في مجلس إدارتها)؛ ما أكسبه شهرة واسعة في المغرب والمشرق.

.. عن فكر كنون الإصلاحي

● يـؤمـن بـأن التجديد سنة كونية واجتماعية وتاريخية، ولذلك اعتمد مـنـهـجـا مـعـاصـرا لا يـتـعـارض مع الأصـــول.. اتـسـم فـكـره الإصـلاحي باعتماد أسلوب التدرج في ترتيب الأولويات ومراعاة الزمان واستحضار الجانب السيكولوجي أثناء الخطاب، وبمحاربة الثقافة غير المنسجمة مع منظومة الإسـلام، والدعوة للتوفيق بين معطيات الدين وامتيازات الواقع؛ أي الربط بين الدين والعلم والفلسفة.

● المنهج الإسلامي عنده هو الضامن للعلم والعمل والإخلاص والصبر، كون الإسلام هو الإطار الضروري لتدبير قضايا المجتمع، والمحـدد الأساسي للمشروع الإصلاحي.

● حصر أهداف العملية الإصلاحية فـي عـزة الإسـلام وشـرف العروبة، وكـرامـة الإنـسـان، وحـريـة الـوطـن. ورأى أن الإصـلاح الـذي لا يتوخى معنى الأصالة، يجب الحذر منه؛ لأنه يهدف إلـى إضعاف مقومات الأمة ومحو شخصيتها وبالتالي استتباعها، «وهـو مـا يفرض علينا، الـربـط بين فكرة الإصلاح والمسوغ الديني، إذ إن الإصلاح منهج تغيير حضاري مؤصل بالكتاب والسنة، ولا يعارض الحداثة، كونـهـا جــزءا مـن مـشـروعـه مـا لم تصطدم بقطعيات النص وتتحرر من الخلفيات الإيديولوجية التغريبية».

● نـــادى بـإسـلامـيـة المـعـرفـة؛ أي إخضاعها لقراءتي العقل والوحي، وركز على ضرورة إحداث تعليم يساهم في نهضة الأمة الإسلامية، ويقضي على برامج التعليم الاستعمارية التي تعتمد على تغييب الدين الإسلامي في المناهج الدراسية، وتغريب التعليم والمـسـاهـمـة فـي انـحـطـاطـه، وذلـك لإيمانه بأن «إصلاح المجتمع مرتبط بإصلاح التعليم»؛ فعمل على إنشاء مدارس حرة، بمبادرات فردية، وانكب على تطوير التعليم الإسلامي ودمجه في المدارس الحكومية، وطعمه بالمواد الحديثة دون المساس بجوهره، وأعاد الاعتبار لجامعة القرويين.

المسار العملي

● اشتغل ابـتـداء مـن سنة ١٩٣٦م بـالـتـدريـس، حـيـث أسـس مـدرسـة «عبدالله كنون» الحرة والمعهد الديني بطنجة، كما عمل سنة ١٩٣٧م مديرا للمعهد الخليفي، ثم أستاذا بالمعهد العالي، وبكلية أصول الدين بتطوان.. تقلد منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بين سنتي ١٩٥٤ و ١٩٥٠م، ثم عين عاملا بطنجة سنة ١٩٥٧م وقدم استقالته عام ١٩٥٨م.

● تـرأس كنون تحرير مجلة «لسان الـديـن» كـمـا عـمـل مـديـرا لجريدة «الميـثـاق» وسـاهـم فـي تحرير مجلة «الإحياء».. وحظي بعضوية مجموعة مـن الهيئات منها: المجمع العلمي بـدمـشـق، مـجـمـع الـلـغـة الـعـربـيـة بالقاهرة، رابطة علماء المغرب، هيئة القدس العلمية، مجمع اللغة الأردني، المجمع العلمي الـعـراقـي، أكاديمية المملكة المغربية.

إرث كنون.. و«النبوغ المغربي»

● مؤلفات كنون متعددة، في الأدب والشعر، وفي الفكر والإصلاح، وفي الشريعة والـواقـع، منها: «ذكـريـات ومشـاهـيـر رجـال المـغـرب»، و«أدب الفقهاء»، و«مدخل إلى تاريخ المغرب»، و«جــولات فـي الـفـكـر الإسـلامـي» و«النبوغ المغربي في الأدب العربي».. والأخـيـر حجة في بـابـه، وقـد أثنى عليه الدكتور طه حسين ثناء جميلا، وهو المعروف بأنه قلما يرضيه شيء.

● وجد كنون الأدب المغربي متجاهلا لـدى معظم المهتمين بتأريخ الأدب العربي، سواء من المشارقة أو غيرهم، فكانت الحاجة لإخـراج ذلك النبوغ للعلن وإلقاء الضوء عليه، فكان مؤلفه «النبوغ المغربي في الأدب العربي»، بقصد بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي، وبرع كنون في تأريخ الأدب المغربي من جوانبه الفكرية والسياسية.

إسهاماته مع «الوعي»

● لـلـعـلامـة عـبـدالله كـنـون ثـلاث مشـاركـات مـع المجـلـة، جـاءت تحت عـنـاويـن: «آيـة الإسـراء والمـعـراج» (ع:٧٩، رجـب ١٣٩١هـ/أغـسـطـس ١٩٧١م)، «مدرسة الإحسان» (ع:٨١، رمضان ١٣٩١هـ/ أكتوبر ١٩٧١م)، «المعراج رحلة إلى السماء» (ع:٩١، رجب ١٣٩٢هـ/ أغسطس١٩٧٢م).

وفاته

● بعد ٨١ عاما قضاها في خدمة الإسـلام والمسلمين، توفي عبدالله كنون في ٩ يوليو ١٩٨م في مدينة طنجة بـالمـغـرب، بـعـد حـيـاة حافلة بالعطاء.

المصادر والمراجع

١ – كتاب «علماء وأعـلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ – موقع الجزيرة.
٣ – المكتبة الشاملة.
٤ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

صوت وحدة لبنان الشيخ حسن خالد

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ.. وأذ لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

ساع إلى جمع الكلمة ووحدة الصف، وحام للوحدة والاعتدال، وبان لجسور التحاور والتلاقي والتصالح بين جميع اللبنانيين في ظلمة الحرب الأهلية؛ فكان صوت وحدة لبنان؛ شعبا وأرضا، الذي أراده سيدا حرا عربيا مستقلا لا مكان فيه لأي نفوذ إقليمي أو دولي.. جعل موقع دار الفتوى مرجعا وطنيا للبنانيين بمختلف طوائفهم وانتماءاتهم، وحافظ على مسافة واحدة من الجميع.

- مدفوعا بوازعه الديني ومنطلقا من قاعدة علمية (إذ كان دارسا لعلمي المنطق والتوحيد، اللذين تركا أثرا على مناحي تفكيره وطريقة عمله وأسلوبه بالاستماع وقدرته على الحوار)، بذل وسعه؛ وطنيا وسياسيا، في الظروف الاستثنائية الصعبة التي عاشها لبنان خلال مدة حروب الفتن الطائفية بين عامي ١٩٧ م و١٩٨٩م، ما جعل له أعداء لا يرضون عن دوره الديني والوطني في الحفاظ على وحدة لبنان وشعبه.

- قامة وطنية وروحية رفضت الخضوع للضغوط الخارجية، وواجه الظلم والهيمنة وأدوات القمع في أصعب مراحل وطنه.. رجل لا يستطيع أن يضبط عروبته وإسلامه في مساحة ضيقة، مؤمن بأن ما فرقه الاستعمار يستطيع أي يجمعه بالتواصل والتعايش والمشاركة والحوار.. انتصر للبنان وعروبته وللعيش المشترك بين أبنائه.. هو أحد «الكبار الذين لا يرحلون بل يخلّدون في ذاكرة الوطن».. إنه الشيخ المفتي حسن خالد.

نشأته وحياته العلمية والعملية

- من مواليد بيروت عام ١٩٢١م، وفيها استهل تعليمه الأولي في مدرسة عمر الفاروق، التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.. بعد حصوله على شهادة الابتدائية تابع دراسته المتوسطة والثانوية في الكليّة الشرعية في بيروت (أزهر لبنان حاليا)، وتخرّج فيها سنة ١٩٤٠م.

- فور تخرجه كلفته المديرية العامة للأوقاف الإسلامية بوظيفة خطيب في بعض مساجد بيروت، ثم ارتأى مفتي الجمهورية اللبنانية إرساله، رفقة بعض زملائه، إلى مصر لمتابعة تخصصه العالي في العلوم الدينية؛ فقصد القاهرة والتحق بكلية أصول الدين (التابعة للأزهر الشريف)، وتخرج فيها حاملا الشهادة «العالية» (الليسانس) عام ١٩٤٦م.

- بعد حصوله على «عالية» الأزهر، عاد إلى بيروت وعُيّن كاتبا في محكمة بيروت الشرعية، ثم ترقى إلى درجة رئيس قلم، ثم عينته الحكومة قاضيا في محكمة عكار الشرعية، بعد نجاحه في اختبارات اختيار قضاة المحاكم الشرعية، ثم نقل عام ١٩٦٠م إلى محكمة محافظة جبل لبنان.. وخلال فترة عمله قاضيا، كان يدرّس مادتي المنطق والتوجيه في الكلية الشرعية في بيروت (أزهر لبنان) ويلقي خطب الجمعة في بعض مساجد بيروت.

- تولى أيضا رئاسة: مجلس القضاء

الشرعي الأعلى في لبنان، واللقاء الإسلامي (وهو لقاء أسبوعي يجتمع فيه رؤساء الحكومات والوزراء والنواب المسلمون)، والمجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في لبنان. كما كان نائبا لرئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ونائبا لرئيس الهيئة الإسلامية الخيرية العالمية في الكويت، وعضو المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو المجمع الفقهي في منظمة الدول الإسلامية في جدة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر.

اختياره للفتوى

● تميز بنشأة دينية أثرت في مناحي تفكيره وحررته من الارتباط بأي اتجاه حزبي أو مصالح شخصية، وبشدة محافظته على العادات والتقاليد والأخلاق، وبتورعه في عمله وتصرفاته إلى أدق الأمور، وبالتفكير المنفتح المتحرر؛ إذ تركت دراسته للفلسفة الإسلامية ولعلوم الكلام والمنطق أثرها في سعة مناهج التفكير لديه وسماحة البحث الحر والابتعاد عن التعصب، ولكنه ينتهي دوما إلى التمسك بأخلاق الدين والتقيد بمناهجه. كما كان جريئا في الحق؛ يعلن رأيه دون مهاودة أو مساومة.

مؤلفاته

● كان الشيخ، رحمه الله، يتمتع بثقافة دينية أهلته لها دراساته الأزهرية، ومن خلال هذه الأهلية قام بتأليف مجموعة من المؤلفات الإسلامية القيمة يربو عددها على ثلاثة عشر كتابا تعالج الكثير من القضايا الشرعية الإسلامية المهمة، منها: «الإسلام والتكامل المادي في المجتمع» و«أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية» و«أحاديث رمضان» و«الزواج بغير المسلمين» و«موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية».

من أقواله يرحمه الله

● «إن ما ينبغي على اللبنانيين فعله هو وقف موجة الاقتتال الدائرة بينهم، وتسليم كل ما لديهم من أسلحة إلى الدولة.. وإن لم يلتق المسيحيون والمسلمون كشعب في ظل دولة واحدة وإرادة واحدة ورؤية مستقبلية واحدة، فسيبقى لبنان ملكا للأعداء، ومسرحا لنشاط شياطين الإنس والجن».

● إن التباغض والتنازع والتقاتل شرعة الغاب وشرعة الشعوب المتخلفة (...) أما الشعوب التي تعتز بأنها تنتمي إلى شرعة السماء وهديها (...) فقد اختارت لها هذه الشرعة المنهج الذي ينبغي أن تبني عليه سلوكها؛ فقالت بصوت أزلي جليل وخيم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة:٣٢).

التقديرات والأوسمة

● نال الشيخ، رحمه الله، العديد من الأوسمة من لبنان والأردن وتشاد والاتحاد السوفيتي وأميركا، كما نال الدكتوراه الفخرية في القاهرة بعد محاضرة ألقاها في الأزهر الشريف في قاعة الإمام محمد عبده، وأقام الرئيس جمال عبدالناصر على شرفه مأدبة عشاء تكريما له عام ١٩٦٧م، وأيضا نال شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة جن جي بالصين عام ١٩٧٦م.

إسهاماته في «الوعي»

● كان للشيخ خمس مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «الحج» (ع٣٦، ذو الحجة ١٣٨٧هـ، فبراير ١٩٦٨م)، و«حكم الإسلام في كتاب: نقد الفكر الديني» (ع٦٢، صفر ١٣٩٠هـ، أبريل ١٩٧٠م)، و«الشخصية المسلمة ضمان للسلام» (ع٧٣، محرم ١٣٩١هـ، فبراير ١٩٧١م)، و«الإسراء والمعراج» (ع٧٩، رجب ١٣٩١هـ، أغسطس ١٩٧١م)، و«حديث عن لبنان» (ع١٦٢، جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ، مايو ١٩٧٨م).

وفاته

● مسيرة مديدة من العطاء في العديد من المجالات الدينية والوطنية والعربية والإسلامية، توقفت يوم الثلاثاء ١٦ مايو ١٩٨٩م، حين اختطفته يد الغدر، إثر عملية تفجير غادرة ومروعة طالت موكبه خلال مغادرته دار الفتوى راح ضحيتها ١٦ شخصا، فكان استشهاده دفاعا عن وحدة لبنان أرضا وشعبا، وتمّ دفنه بمقبرة الأوزاعي في اليوم التالي لوفاته، وبعد وفاته بأربعة أعوام افتتحت مؤسسة تحمل اسمه هي «مؤسسة الشهيد حسن خالد للتربية والتعليم».

المصادر والمراجع

١ – كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ – طريق الإسلام.
٣ – بوابة الحركات الإسلامية.
٤ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الإمام الرباني
أبو الحسن الندوي

■ عربي الأرومة، حسني النسب، هندي الجنسية، عالمي العطاء.. عاش للإسلام، وعمل له، وبه اعتصم، ومن أجله كتب وصنف وتعلم وعلم، وسافر وأقام؛ فهو شغله في نهاره، وحلمه في ليله، وزاده في سفره، وأنيسه في إقامته فاستحق أن يكون شيخا للأمة ولسانا لها ناطقا بالحق وداعيا إلى الخير.

■ عقله وقلبه منشغلان باستمرار بقضايا الأمة ومحاولة إحياء رسالة الإسلام الحضارية، وتصفيته مما شابه من أهل البدع والانحراف.

■ أهمه وشغل باله تقوية الجبهة الداخلية للمسلمين في مواجهة الغزو الخارجي، فكان تكوين الفرد المسلم وتصحيح مفاهيمه وتقويم سلوكه.. هي اللبنة الأساسية في منهجه في تغيير واقع الأمة.

■ وُهب فراسة المؤمن، وحكمة الشيخ المجرب، وتوقد القلب الحي النابض، وتقوى العابد الزاهد؛ فهو فقيه متمكن، وداعية متفرد، ومرب جليل، ومفكر أمين، وخطيب مفوه، وأديب ذواقة.

■ جمع بين محبة الناس وتقدير الحكام، وألقى الله محبته في سويداء القلوب، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أمة في رجل، وأن يكون حقا بركة عصره وفريد دهره.

■ عالم رباني يدلك على الله منطقه، ويذكرك بالآخرة سلوكه، ويزهدك في الدنيا حاله.. الاعتدال سمة تفكيره وسلوكه وحياته؛ فهو قديم جديد، وتراثي عصري، وسلفي صوفي.. في لين الحرير وصلابة الحديد.. إنه الشيخ أبو الحسن الندوي.

مولده ونشأته وتعليمه

■ ولد بقرية «تكية» بمديرية «رأي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم سنة ١٣٣٣هـ، لأسرة ذات أصل عربي نفيس ولها باع عريق في العلم؛ فهو علي أبو الحسن بن عبدالحي بن فخر الدين الحسني (ينتهي نسبه إلى عبدالله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب)، هاجر جده الأمير قطب الدين محمد المدني إلى الهند في أوائل القرن السابع الهجري.

■ لُقِّب أبوه بـ«ابن خلكان الهند» وذلك لأنه من أصحاب المصنفات المشهورة («نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها» في ثمانية مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند، وطبع أخيرا باسم «الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام»).. وأمه من المؤلفات، الحافظات للقرآن الكريم، المقرضات للشعر.

■ على يد أمه بدأ تعليمه من البيت، فحفظ بمعاونتها القرآن الكريم، ثم بدأ في تعلم اللغتين الأردية والفارسية.. وهو لم يزل دون العاشرة، توفي أبوه عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م فتولت أمه تربيته، وساعدها أخوه الأكبر عبدالعلي الحسني، الذي كان طالبا في كلية الطب بعدما تخرج من دار العلوم ندوة العلماء ومن دار العلوم ديوبند.

■ بدأ تعلم اللغة العربية على يد خليل بن محمد الأنصاري اليماني عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، كما استفاد من عميه عزيز الرحمن ومحمد طلحة في دراسة اللغة العربية وآدابها، وتوسع في دراستها وتخصص فيها على يد الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي..

■ التحق بجامعة «لكهنؤ» في القسم العربي عام ١٩٢٧م، وكان أصغر طُلاب الجامعة سنا، وحصل على شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها.. كما عكف على دراسة اللغة الإنجليزية في الفترة ما بين ١٩٢٨-١٩٣٠م مما مكنه من قراءة الكتب الإنجليزية في المواضيع الإسلامية والحضارة الغربية وتاريخها وتطورها، والاستفادة منها مباشرة.

■ التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م، وحضر دروس الحديث الشريف للمحدث حيدر حسن خان، كما درس كتاب الجهاد من صحيح مسلم على شيخه خليل الأنصاري، ولازمه سنتين كاملتين فقرأ عليه الصحيحين، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وقرأ عليه دروسا في تفسير البيضاوي، كما قرأ على شبلي الجيراجبوري الأعظمي بعض

كتب الفقه.. ودرس تفسير القرآن، وعلومه، والفقه، والتجويد على رواية حفص.

حياته العملية

■ في سنة ١٩٣٤م، عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء، حيث درّس التفسير والحديث والأدب العربي وتاريخه.. وفي سنة ١٩٦١م، اختير أمينا عاما لندوة العلماء، وشارك في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند سنة ١٩٦٤م، وتأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند سنة ١٩٧٢م، كما كان عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوا في المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المجمع الإسلامي في لكنهؤ (الهند)، ورئيس مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ببريطانيا، وعضوا في مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة والأردن، ورابطة الجامعات الإسلامية بباكستان.

■ حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ، كما حاز جائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام ١٤١٩هـ في دبي.

منهجه الفكري

■ وهب الله الندوي همة عالية، وجلدا على تحمل التبعات ونفسا صادقة، وقلبا حيا بالإيمان، ولسانا نظيفا، وعقلا كبيرا، وحرصا شديدا على تربية النشء وإعداد العلماء والدعاة. وكان

■ فقهه الدعوي يرتكز على تعميق الإيمان في مواجهة المادية، وإعلاء الوحي على العقل، وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم والسنَّة والسيرة النبوية، وإشعال الجذوة الروحية، والانصراف إلى البناء لا الهدم، وجمع كلمة الأمة لا تفريق صفوفها، واستحياء التاريخ الإسلامي وبطولاته، ونقد الفكرة الغربية والحضارة المادية، ونبذ القوميات والعصبيات الجاهلية، وتأكيد عقيدة ختم النبوة، ومقاومة الفتنة القاديانية، والتصدي للردة الفكرية، وتأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشرية، والشهادة على الأمم الأخرى، وبيان فضل الصحابة ومنزلتهم؛ لأنهم الجيل المثالي في هذه الأمة، والاهتمام بقضية فلسطين؛ لأنها قضية المسلمين جميعا، والعناية بالتربية الإسلامية الحرة التي تستمد فلسفتها من الإسلام، وترشيد الصحوة الإسلامية، والاهتمام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

مؤلفاته

■ مؤلفاته كثيرة جدا باللغات: العربية والإنجليزية والأوردية، تجاوزت المئة والخمسين كتابا ورسالة، نذكر أهمها بالعربية هي: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» - «مذكرات سائح في الشرق العربي» - «الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنَّة» - «إذا هبت رياح الإيمان» - «الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية» - «أسبوعان في المغرب الأقصى» - «إلى الإسلام من جديد» - «بين الدين والمدنيّة» - «تأملات في القرآن الكريم» - «التربية الإسلامية الحرة» - «حديث مع الغرب» - «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» - «رسائل الإعلام» - «رسالة التوحيد» - «روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» - «سيرة خاتم النبيين».

إسهاماته مع «الوعي»

■ للعلامة أبي الحسن الندوي مشاركات عدة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «القرآن بين الإيمان والتطبيق» (ع:٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ، يناير ١٩٧٢م)، «محطم الأقفال» (ع:٨٧، ربيع الأول ١٣٩٢هـ، أبريل ١٩٧٢م)، «كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم» (ع:٩٣، رمضان ١٣٩٢هـ، أكتوبر ١٩٧٢م)، «دور الإسلام في العصر الحديث» (ع:١٠٥، رمضان ١٣٩هـ، سبتمبر ١٩٧٨م)، «الدعوة إلى الله وبعض سماتها» (ع:١٦٩، محرم ١٣٩٦هـ، ديسمبر ١٩٧٨م).

غروب شمس الند ي

■ في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك (٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ)، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وفي آخر يوم من السنة الميلادية (٣١ ديسمبر ١٩٩٩م) التي يعتبرها الكثيرون نهاية القرن العشرين، وقبل صلاة الجمعة، توضأ الشيخ واستعد للصلاة، وشرع يقرأ سورة الكهف كما تعوّد كل جمعة، وافى الأجل المحتوم العلم المفرد، وغادر دنيانا إلى الدار الآخرة في قريته القريبة من مدينة لكنهؤ بالهند.. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٢ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٣ - إسلام ويب.

٤ - إسلام أون لاين.

هشام الصباغ
باحث لغوي

الشيخ الموسوعي
محمد بن سليمان الأشقر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ مرب للأجيال، ومثال يحتذى في الصبر والصدق والعمل المتواصل.. اشتهر بالدقة، والهدوء، وطيب الأخلاق.. حياته حافلة بالعمل والعطاء والانجازات التي تتضاءل أمامها أعمال بعض كبار حملة الإجازات العلمية العليا.

■ امتطى صهوة جواد العلم، وركض في مضمار كبار الكتاب، وأضاف إلى نتاج من سبقه من المباحث الدينية واللغوية ما أثرى المكتبة الإسلامية في قضايا الفكر واللغة والاقتصاد والأنظمة الاجتماعية.

■ لا تزال كتبه مراجع مهمة تطلب وتدرس، وتدور حولها الرسائل والنقاشات، ولا تزال جوانب عديدة من حياته في حاجة إلى البحث والدراسة وتسليط الأضواء.. فهو شخصية متعددة العطاءات، غزيرة الإنتاج، وجديرة بكل عناية واهتمام.

■ من أكناف بيت المقدس، من الأرض المباركة، من فلسطين.. إنه العالم الإسلامي الكبير الحنبلي المذهب، والفقيه الأصولي المتمكن الشيخ محمد بن سليمان الأشقر.

برقة.. المولد والنشأة

■ في يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠م ولد الشيخ محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد (وهو الأشقر) بن سليمان دغلس، في قرية من قرى نابلس بفلسطين تسمى «برقة»، لأب من بيت بسيط لـ «آل دغلس» الذين هم من «الحفاة» الذين هم فرع من «الروقة» من قبيلة «عتيبة».

■ أسبغت برقة -الواقعة في منطقة جبلية على سفح جبلين أحدهما شرقيها والآخر شماليها، والتي تحيط بها بساتين الزيتون والتين وسائر الأشجار المثمرة، والتي تمتاز ببرودة الهواء وطيبه، وبها عيون كثيرة طيبة عذبة الماء- ثراء بيئتها على تكوين الشيخ الأشقر؛ فأخذ من طبيعتها الشموخ والتنوع واللين والشدة والعذوبة واللطف والطيب.. كل في موضعه.

■ وفي برقة «نشأت في كنف والدي. وكان والدي، رحمه الله، أميا، إلا أنه كان يحب أهل العلم والإيمان ويبرهم، وحرص على تعليم أولاده وحملهم على مكارم الأخلاق، وكان أكثر عمله في الزراعة. ووالدتي، حفظها الله، كذلك في حرصها على تربية بنيها على حب العلم والدين. وقد قرأت القرآن من دون معلم» (كما جاء على لسانه، رحمه الله).

■ وفي مدرسة قريته الابتدائية تلقى تعليمه الأولي، وتخرج فيها عام ١٩٤٤م، ليلتحق مباشرة بالدراسة الثانوية (يكمل الشيخ): «ثم التحقت بالدراسة الثانوية في المدرسة الصلاحية بنابلس، حيث مكثت بها أربع سنين».

إلى السعودية

■ بعدما أتم دراسته الثانوية في فلسطين، سافر إلى السعودية، وهناك (وعلى لسانه أيضا):

«عملت في التدريس الابتدائي سنة في المدرسة الفيصلية في مدينة بريدة (١٣٦٩هـ)، وعملت في التجارة بالرياض (١٣٧٠هـ)، وعندما افتتح معهد الرياض الديني الثانوي (١٣٧١هـ) بادرت إلى الالتحاق به إلى أن تخرجت في كلية الشريعة بالرياض (١٣٧٦هـ) في الفوج الأول».

أشياخه

■ وفي كلية الشريعة بالرياض تتلمذ الأشقر على يدي كوكبة من العلماء، وعن تلك المرحلة في الكلية يقول الأشقر: «أخذت فيها العلم عن مشايخ أجلاء، فأخذت التفسير وأصوله وأصول الفقه على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والفرائض على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبداللطيف سرحان والشيخ إبراهيم الضبع.. وغيرهم، رحم الله الموتى منهم وحفظ الأحياء وجزاهم عنا أحسن الجزاء».

مشعل علم

■ كلية الشريعة أعدته وهيأته لحياة عملية تشع علما وحكمة، فيقول الشيخ: بعد تخرجه فيها: «ثم عملت في التدريس بمعهد شقراء العلمي. وأسندت إلي إدارته عام ١٣٧٧هـ. نقلت بعدها للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، وكنت أول من درس بها من خريجيها، فبقيت كذلك من ١٣٧٨هـ إلى ١٣٨٣هـ، ثم التحقت بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبقيت فيها سنتين».

إلى الكويت

■ لم يكن لمشكاة علم كالشيخ الأشقر؛ أن تغيب عن سماء الكويت، التي سعت إلى استقطابه واجتذابه، ليضيف نور مشكاته إلى أنوار نظرائه من العلماء الذين تضعهم الكويت دائما نصب أعينها منه.

■ يقول الشيخ عن قصده الكويت: «أراد الله تعالى لي النقلة إلى أرض الكويت، حيث أسندت إلي أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثني عشر عاما (١٣٨٥-١٣٩٧هـ).

■ وخلال عمله في أمانة وزارة الأوقاف حصل الشيخ على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان: «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية».

الموسوعة والفتوى

■ بعدما استأنفت وزارة الأوقاف الكويتية العمل في مشروع الموسوعة الفقهية، تحول الشيخ للعمل مع العاملين فيه، كما اختير عضوا في لجنة الفتوى الشرعية بالكويت منذ سنة ١٩٦٩م ثم نائبا لرئيس لجنة الأمور العامة فيها.

مؤلفاته

■ وهب الشيخ الأشقر، رحمه الله، قلما مداده بحر محيط، أثرى من خلاله المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات المتميزة في شتى العلوم وفروعها، نذكر منها على سبيل المثال: في التفسير: «زبدة التفسير من فتح القدير» (وهو مختصر تفسير الشوكاني)، وفي اللغة: «معجم علوم اللغة العربية»، وفي الفقه وأصوله: «الفتيا ومناهج الإفتاء»، وفي تحقيق التراث: «صحيح مسند الإمام أحمد على شرط البخاري»، وفي الدعوة والتزكية: «كيف تدخل في الإسلام؟» (مختصر للدعاة)، وفي الاقتصاد: «الاستصناع»، وله أبحاث في الفقه الطبي وفي قضايا الزكاة المعاصرة.

مساهمته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمتان مع المجلة جاءتا تحت عنواني: «منزلة العبادة» (ع:٧١، ذو القعدة ١٣٩٠هـ، ديسمبر ١٩٧٠م)، و«رحلة الفهرسة عبر تاريخنا» (ع:٧٥، ربيع الأول ١٣٩١هـ، أبريل ١٩٧١م).

وفاته

■ وافته المنية يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة لعام ١٤٣٠هـ الموافق ١٥ نوفمبر ٢٠٠٩م. ودفن يوم الإثنين بعد صلاة الظهر بمسجد مقبرة سحاب في ضواحي مدينة عمان بالأردن.. رحمة الله على الشيخ محمد الأشقر، وجزاه الله على ما قدم للأمة خير الجزاء وأوفاه، وبارك له في مؤلفاته.

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ - إدارة الإفتاء الكويتية.
٣ - ملتقى أهل الحديث.
٤ - الألوكة.
٥ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الفقيه الموسوعي
أحمد الحجي الكردي

■ في الصبر والصدق والدأب والعمل المتواصل مثالٌ للباحثين والطلاب.. ولإسلام يتفاعل مع الزمان والمكان رائدٌ لأهل الفتوى والعلم؛ ولا غرو فهو أحد كبار الفقهاء المجتهدين المعاصرين.

■ اقتفى، متعه الله بالصحة والعافية، في حياته أثر كبار أهل العلم؛ علما وعملا، وحذا، وما زال، حذوهم في طلبه أنى وجد، واختط لحياته نهجا قل نظيره، وما زال قبسا يضيء للناس طريقهم بحكمة ورؤية حضارية واسعة وآفاق إيمانية مؤثرة.

■ لا يفضل على العلم والتعلم أي عمل آخر، ولم ينقطع أو يتوقف عن الدراسة والبحث طوال حياته، ولم يقصر علمه على اختصاصه الأصلي بل كان يتحرى مختلف العلوم والفنون ويتعمق فيها، ويؤثر عنه قوله: «أود ألا أتهم بالجهل في فن من الفنون الشائعة في عصري»، إذ كان منهجه «خذ الحكمة أنى وجدتها، والمعرفة أنى عثرت عليها، ولو عند أقل الناس علما ومعرفة».

■ الثناء عليه يقصر عن إيفائه حقه؛ فهو صريحٌ في قول ما يعتقد أنه الصواب والحق، كارهٌ للكذب، باغضٌ للكذابين، طويل الأناة، حسن الخلق ما لم تنتهك حرمة أو ينتقص من قدر حكم شرعي، سمحٌ في معاملته للناس بعامة، والمستفتين بخاصة، حانٍ على الفقراء من طلاب العلم، ساعٍ إلى خدمتهم وتوفير حاجاتهم ليتفرغوا للعلم.. إنه الشيخ أحمد الحجي الكردي.

النشأة والتعليم

■ لن نستطيع وصف نشأة الشيخ ومولده مثلما يتحدث هو، وعنها يقول الشيخ: «ولدت في دار والدي وجدي الشيخ أحمد الكردي، في حي البياضة في مدينة حلب، في ١٦ رمضان ١٣٥٧هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٣٨م».. إذن فالكردي نشأ بحلب الشهباء، وفيها ترعرع غصنا من دوحة علمية وارفة الظلال؛ فجده لأبيه هو العلامة الشيخ أحمد الكردي مفتي مدينة حلب وأمين فتواها، أما والده فهو الشيخ الفقيه محمد مهدي، كاتب الفتوى ومنشؤها لدى والده (المفتي).

■ ويكمل الكردي: «قرأت القرآن الكريم، وحفظت كثيرا من سوره وأجزائه لدى إحدى مقرئات حينا (البياضة)، واسمها الخوجة الجغمية، وفي عام ١٩٤٥م أدخلني والدي، رحمه الله، في مدرسة سيف الدولة الابتدائية، في حي المستدمية في حلب، التي تحول اسمها بعد ذلك إلى مدرسة أبي عبيدة بن الجراح، وهي ما زالت في مكانها واسمها إلى اليوم، وبعد تخرجي فيها وحصولي على الشهادة الابتدائية في عام ١٩٥٠م، أدخلني والدي في الكلية الشرعية (المدرسة الخسروية) بجانب قلعة حلب، وقد أصبح اسمها بعد سنتين من دخولي إليها الثانوية الشرعية، وهي أيضا ما زالت على اسمها وموضعها إلى اليوم، وفي عام ١٩٥٦م حصلت على شهادة الكفاءة الشرعية، وفي عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة الثانوية الشرعية».

■ لكن ما نهله الكردي من معين «الخسروية» لم يكن ليروي ظمأه العلمي، فانتسب إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق، وراح يغرف من صحاف أساتذتها وكبار علمائها (أمثال: الشيخ الدكتور مصطفى الزرقا، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور معروف الدواليبي)، علوم القرآن الكريم وتفسيره، والحديث الشريف ومصطلحه، والفقه وأصوله، والسيرة والتاريخ الإسلامي، والقانون والأحوال الشخصية.. وغيرها، إلى أن حصل منها على ليسانس الشريعة عام ١٩٦٣م.

الكردي و«الأزهر»

■ لتفوقه في دراسته الجامعية، سارعت جامعة دمشق إلى إيفاده إلى الأزهر ليتابع تحصيله العلمي ودراسته العليا، وفيه تتلمذ على يد كوكبة من العلماء، أمثال: الشيخ الدكتور أبو النور زهير، والشيخ الدكتور عثمان مريزق، والدكتور صوفي حسن أبو طالب والشيخ الدكتور الحسيني شحاتة.. وغيرهم.

■ وفي القاهرة انكب الكردي على مختلف العلوم، ينهلها من معين أربابها، حتى حصل الشهادات التالية: «الثانوية الأزهرية المعادلة» من معهد القاهرة - «الشهادة العليا في التربية وأصول التدريس» من كلية التربية بجامعة القاهرة - «الماجستير في الفقه المقارن» من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر - «الماجستير في التفسير وعلوم القرآن» من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر - «الدكتوراه في الفقه المقارن بدرجة الشرف الأولى» من كلية الشريعة والقانون بجامعة القاهرة عن رسالته: «فسخ الزواج: بحث مقارن بين الإسلام واليهودية والنصرانية».

معلموه وأساتذته وشيوخه

■ العرفان والبر والوفاء صفات تلمسها سريعا عند لقائك بالشيخ أو استماعك لحديثه، يتجلى ذلك عندما يتكلم الشيخ عن مربيه وشيوخه وأصدقائه.. يقول الكردي: «أخذت العلم في مراحل دراستي المختلفة عن عدد من الشيوخ والأساتذة، وكان أكثرهم تأثيرا في نفسي وإفادة لي: في المرحلة الابتدائية: الأستاذ عبدالكريم صديق، والأستاذ يونس حقي، والأستاذ عبدالحميد المقيد، والأستاذ غالب خياطة».

■ وفي المرحلتين الإعدادية والثانوية: «في الفقه الحنفي: الشيخ بكري رجب، والشيخ عبدالوهاب سكر، والشيخ محمد الملاح. وفي أصول الفقه الشيخ محمد السلقيني. وفي النحو والصرف والبلاغة الشيخ المحامي عبدالقادر الكرمان، والشيخ حسن مكتبي. وفي القرآن والفرائض الشيخ نجيب خياطة الشهير بـ«آلا»، والشيخ مراد حيلاني. وفي التفسير الشيخ أبوالخير زين العابدين. وفي الإملاء الشيخ عبدالله حماد. وفي الخط العربي الشيخ عبدالجواد العطار. وفي التاريخ الإسلامي الشيخ عبدالفتاح حميدة.. وغيرهم».

■ وفي المرحلة الجامعية: «الأستاذ مصطفى الزرقا، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور محمد فوزي فيض الله، والدكتور يوسف العش، والدكتور أحمد فهمي أبو سنة، والدكتور مصطفى زيد، والأستاذ محمد الشماع، والأستاذ محمد المبارك.. وغيرهم».

■ وفي مرحلة الدراسات العليا: «الشيخ الدكتور أبو النور زهير، والشيخ الدكتور عثمان مريزق، والشيخ الدكتور الحسيني شحاتة (المشرف على رسالة الدكتوراه)، والدكتور عبدالعزيز عامر، والدكتور نيازي حتاتة، والدكتور صوفي حسن أبو طالب.. وغيرهم».

زملاؤه وأصدقاؤه

■ «المرؤ على دين خليله» كما قال ﷺ، ولذا فقد رافق الشيخ خلال مراحل دراسته المختلفة عددا من الزملاء والأصدقاء، أصبحوا فيما بعد، كما الشيخ، أعلام هدى للأمة، منهم: الأستاذ الدكتور مصطفى البغا، والأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، والأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، والأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والأستاذ الدكتور نور الدين العتر.. وغيرهم.

حياته العملية.. والكويت

■ تفرغ الشيخ بشكل كامل لتحصيل العلم والتحضير الدراسي، ولم يتصد لأي عمل حتى عام ١٩٦٢م، الذي عين فيه مأمورا لأوقاف منطقتي الباب وتادف، التابعتين لحلب، لعام ونيف.

■ وعقب حصوله على ليسانس الشريعة عين مدرسا للتربية الإسلامية في ثانويات مدينة حلب، لبضعة أشهر فقط، حيث عين عام ١٩٦٤م معيدا في كلية الشريعة بجامعة دمشق بعد مسابقة أجريت لذلك كان الناجح الأول فيها، فدرس فيها سنة وبضعة أشهر فقط، إذ أوفدته وزارة التعليم العالي عام ١٩٦٥م إلى جامعة الأزهر لمتابعة الدراسات العليا.

■ عقب حصوله على الدكتوراه، عين مدرسا في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم رقي عام ١٩٧٦م إلى أستاذ مساعد، ثم إلى أستاذ في ١٩٨٠م، وفي ١٩٨٣م عين رئيسا لقسم علوم القرآن والسنة في الجامعة، وفي ١٩٨٥م عين وكيلا لكلية الشريعة إلى جانب رئاسة قسم علوم القرآن والسنة حتى ١٩٨٧م.

■ عام ١٩٧٢م أعير إلى ليبيا لسنتين للتدريس بجامعة بني غازي، وفي عام ١٩٨١م انتدب جزئيا للتدريس بكلية الإمام الأوزاعي ببيروت، كما انتدب جزئيا أيضا عام ١٩٨٢م للتدريس بكلية الحقوق في جامعة حلب.

■ في ١٩٩٣م، سافر الكردي إلى الكويت للعمل خبيرا في مشروع موسوعتها الفقهية، إلى جانب التدريس في كلية الشريعة في جامعتها.. وهو عضو في هيئة الفتوى الكويتية منذ ١٩٩٣ وحتى الآن، كما أنه عضو لجنة الفتوى ببيت الزكاة الكويتي منذ ١٩٩٥م.

منتوجه العلمي

■ أشرف الكردي على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه وشارك في مناقشتها في عدد من الجامعات العربية والإسلامية.

■ وللشيخ عدد كبير من المقالات العلمية المحكمة وغير المحكمة المنشورة في كثير من المجلات العربية والإسلامية، كما له الكثير من المؤلفات العلمية المطبوعة، نذكر منها: فقه المعاوضات - الأحوال الشخصية (الأهلية والنيابة الشرعية والوصية والوقف والتركات) - أحكام الوقف في الفقه الإسلامي - الكفاية في الفرائض (تحقيق).. وغيرها.

مساهمته مع «الوعي»

■ للكردي مساهمات عدة مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «حكم التلقيح الصناعي» (ع:٧٥)، «حكم الإسلام في التلقيح الصناعي» (ع:٨٣)، «ميراث ووصية واجبة» (ع:٨٧)، «مشكلة الفردية» (ع:٩٨)، «مولد النبي ومضة من نور» (ع:٩٩)، «رمضان دورة تدريبية» (ع:١٠٥)، «الهجرة النبوية: أسبابها ونتائجها» (ع:١٠٩)، «الزي الإسلامي» (ع:١١١)، «مركز المرأة» (ع:١١٥)، «مظاهر الوحدة وضماناتها في الإسلام» (ع:١١٦)، «حكم الإسلام في الاسترقاق (رد)» (ع:١١٩).

المصادر والمراجع

١- وزارة الأوقاف الكويتية.
٢- رابطة العلماء السوريين.
٣-موقع nassan.

هشام الصباغ
باحث لغوي

الأديب المجمعي
أحمد محمد الحوفي

■ لمع اسمه، وعلا شأوه، وتميز أداؤه، وطغى حضوره، وبرز نشاطه إلى أقصى حد.. حتى ليمكننا القول إنه كان يؤدي دور البطولة بين أساتذة الأدب العربي الكبار في جيله.. غير أنه كان بينهم بمنزلة واسطة العقد.

■ واحد ممن قصُر عمرهم عن أن يحقق لأرباب الأدب أملهم فيه، فقد توفي باكرا بالنسبة لأقرانه، بيد أن اسمه احتل، منذ بواكير حياته، المكانة اللائقة به علما من أعلام الدراسات الأدبية الأفذاذ.

■ بعدما أصبحت دار العلوم كلية وضمت إلى جامعة القاهرة، ارتأت أن تدعم هيئة تدريسها بعدد من خريجيها النابهين، فاختارته عام ١٩٤٨م مدرسا مساعدا (وذلك بعد تخرجه باثني عشر عاما عمل فيهما مدرسا بالتعليمين الابتدائي والثانوي).. وعندما اختير للعمل في الجامعة لم يكن تحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه، لكنه كان مستوفيا لخصائص الأساتذة وسمتهم.

■ أحد القلائل الذين أتموا رسالتي الماجستير والدكتوراه معا (في أربع سنوات)، وقد حصل على الامتياز في كلتيهما، وقد أتمهما بعد أن بلغ النضج العلمي، ولم يكن إنجازهما معا ليمثل صعوبة له؛ فقد ألف وهو طالب كتابا عن النسيب في شعر شوقي، كتب مقدمته أستاذه الدكتور محمد مهدي علام، وبلغ من اعتزاز علام بهذه المقدمة أن أشار إليها مرتين في صفحة واحدة في كتاب «المجمعيين».

■ «يمضي في حياته في هدوء وسكون وسلام، وهو في الوقت نفسه واضح جلي، لا التواء عنده ولا مواربة، يجيد الصمت كما يجيد الكلام، فيحسن الاستماع إلى الناس، ويستمتع الناس بحلو حديثه، ثم لا يغريه ذلك أبدا بالصمت عن كلمة الحق ولا إلى أن يُبتلى بشهوة الكلام».. ذاك وصف العالم والأديب والفقيه اللغوي إبراهيم أنيس له.. إنه الكاتب والأديب المجمعي والمفكر الإسلامي وأحد جهابذة الأدب العربي وفطاحله في العصر الحديث، وأحد مؤسسي جامعة الرياض (الملك سعود حاليا).. الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفي.

التنشئة والتعليم

■ ولد الأستاذ الدكتور الحوفي عام ١٩١٠م في قرية الصفاصيف (إحدى قرى مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة).. وفي كُتّاب «الصفاصيف» تلقى تعليمه الأولي حتى حفظ القرآن الكريم كاملا.. بعدها انتقل إلى مدينة دمنهور ليلتحق بمدرستها الابتدائية، ولما انتهى من دراسته الابتدائية التحق بتجهيزية دار العلوم، ثم دخل دار العلوم العليا، وتخرج فيها عام ١٩٣٦م.

حياته العملية

■ نشاطه العلمي والعملي بدأ وهو لايزال طالبا بدار العلوم، إذ ألف كتابا عن النسيب في شعر شوقي، كان باكورة بحوثه الأدبية، وقد كتب مقدمته أستاذه الدكتور مهدي علام.

■ بعد تخرجه في دار العلوم عمل لاثني عشر عاما مدرسا بالمدارس الابتدائية والثانوية بوزارة المعارف (التربية والتعليم) إلى أن ضُمّت دار العلوم إلى جامعة القاهرة، وارتأت أن تدعم هيئة تدريسها بعدد من خريجيها النابهين، فاختارته عام ١٩٤٨م مدرسا مساعدا ولم يكن تحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه، لكنه كان مستوفيا لخصائص الأساتذة وسمتهم، ثم تحصل عليهما معا عام ١٩٥٠م (الماجستير)، وعام ١٩٥٢م (الدكتوراه)، ثم عُيّن مدرسا، فأستاذا، فرئيسا لقسم الدراسات الأدبية، وبعد بلوغه سن الستين عُيِّن أستاذا غير متفرغ.

■ تسابقت الجامعات العربية إلى الانتفاع بعلمه وخبرته فاختارته أستاذا معارا وأستاذا زائرا ومشرفا على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه.. كما أشركته كثير من الهيئات الأدبية والثقافية والإسلامية في عضويتها ولجانها ومؤتمراتها ومحافلها.

■ في عام ١٩٧٣م، انتُخب عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة.. كما كان عضوا في لجنة التعريف بالإسلام، ولجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضوا باللجنة التأسيسية لجامعة الشعوب العربية والإسلامية، وعضوا في المجلس الأعلى للثقافة والإعلام (أحد المجالس القومية المتخصصة).

إرثه الثقافي والأدبي

■ توزع نشاط الحوفي التأليفي بين خمس دوائر كبيرة: الأولى: دائرة الأدب العربي

القديم، وله فيها ثمانية مؤلفات، هي: «الحياة العربية في الشعر الجاهلي»، و«المرأة في الشعر الجاهلي»، و«الغزل في العصر الجاهلي»، و«أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي»، و«تيارات ثقافية بين العرب والفرس»، و«بلاغة الإمام علي»، و«أدب السياسة في العصر الأموي»، و«الخطابة السياسية في العصر الأموي».

■ أما الدائرة الثانية: فهي دائرة الأدب العربي الحديث، وله فيها: «النسيب في شعر شوقي»، و«القومية العربية في الشعر الحديث».. بينما الدائرة الثالثة: هي دائرة التراجم والسير وله فيها: «الجاحظ»، و«الطبري»، و«أبو حيان التوحيدي»، و«الزمخشري». والدائرة الرابعة: هي الدائرة الإسلامية، وله فيها: «من أخلاق النبي ﷺ»، و«الجهاد»، و«سماحة الإسلام»، و«تحت راية الإسلام»، و«مع القرآن الكريم» (جزآن). أما الدائرة الخامسة: وهي الكتب المتنوعة، فله فيها: «البطولة والأبطال»، و«الفكاهة في الأدب العربي»، و«مع ابن خلدون»، و«حصاد القلم»، و«ديوان شوقي» (جزآن) تحقيق وشرح.

نشاطه المجمعي

■ ظل نشاط الحوفي المجمعي متوقدا منذ انضمامه إليه، فلم يُعد المجمع مؤتمرا أو فاعلية إلا وكان للحوفي فيها بحث أو دراسة يغلب عليها طابع الدرس اللغوي، وتشهد بذلك مذكراته التي كان يقدمها إلى لجنة الألفاظ والأساليب، وكذلك بحوثه التي كان يقدمها للمؤتمر، فضلا عن رؤاه ومساهماته في نشاط لجنة المعجم الكبير، ولجنة ألفاظ الحضارة الحديثة، ولجنة الأدب. ومن بحوثه وكلماته التي ألقاها في المجمع: «من التراث اللغوي: كتاب الملاهي وأسمائها»، و«غرائس الزمخشري اللغوية»، و«دراسات قرآنية: حذف المقابل لما بعد (لا) النافية للمساواة»، و«من إيجاز الحذف في القرآن الكريم»، و«وزن (فُعالة) الدال على نُفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها».

و«كلمة: الأريسيين في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل»، و«أسلوب قرآني فريد: الاكتفاء بالتذييل عن جواب الشرط»، و«الشمال والجنوب»، و«المعاني الحقيقية للإحسان»، و«الأميُّ والأميون في القرآن الكريم»، و«لا نافية أصلية محذوف ما بعدها».

تأريخه للأدب العربي

■ عند النظر في المؤلفات التي أرخت للأدب العربي، سنجد تآليف الحوفي تتصدر واجهة المكتبات في هذا الباب، فقد وضع واحدة من أكمل المجموعات التي تناولت تاريخ الأدب العربي، وأبرزت ملامحه؛ ففي العصر الجاهلي وضع ٤ كتب (الحياة العربية من الشعر الجاهلي، المرأة في الشعر الجاهلي، الغزل في الشعر الجاهلي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي) تناولت ملامح الحياة العقلية والأدبية فيه، قدم فيها قراءة ذكية ومستوعبة لنصوص الشعر الجاهلي.

■ كما تناول عصري «صدر الإسلام» و«الأموي» بأربعة كتب أخرى (بلاغة الإمام علي، أدب السياسة في العصر الأموي، الخطابة السياسية في العصر الأموي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس).. كما نشر دراسة عن «الفكاهة في الأدب العربي» يصدق عليها الوصف القائل بأنها «متعددة العصور».

بين الحوفي وشوقي

■ أولع الحوفي بأمير الشعراء أحمد شوقي ولعا شديدا، ودرس بتعمق شعره وشاعريته، ففضلا عن تحقيقه ديوان شوقي وشرحه في جزأين، ألف له ثلاثة كتب: «وطنية شوقي»، و«الإسلام في شعر شوقي»، و«النسيب في شعر شوقي».

■ مثل كتابه «الوطنية في شعر شوقي» دراسة رائدة في عصر لم يكن يرحب بمثلها، ولكن الحوفي كان من الذكاء بحيث تمكن من صياغتها جامعا بين رضا العصر والسياسة، وتوصيل رسالته، وأبان عن جوانب من شعر شوقي كادت تطمس في ذلك العصر.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور أحمد الحوفي عشر مساهمات مع مجلة الوعي الإسلامي، جاءت تحت عناوين: (ع:٢، الإيمان بالقضاء قوة دافعة) - (ع:٨، القضاء والحرية) - (ع:١٨، باطل زاهق) - (ع:٥٦، الجهاد اليوم فريضة عين) - (ع:٦٩، نظرية الوسطية في الأخلاق) - (ع:٧١، الضمير) - (ع:٨٢، زهد المؤثر) - (ع:١١٥، الإيمان بالقدر قوة) - (ع:١١٨، وشاورهم في الأمر) - (ع:١٢٠، أحكام قرآنية).

وفاته

■ ترجل الفارس الأديب عن صهوة جواد الأدب عام ١٩٨٣م، بعد صراع طويل مع المرض، مخلفا وراءه، رحمة الله عليه، إرثا أدبيا عظيما، ومكانا فارغا في سماء الأدب العربي يصعب ملؤه، وقد نعته الجامعات والمجامع العربية.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٢- موقع الجزيرة (الدكتور الجوادي).

٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الوزير الشاعر
أحمد حسن الباقوري

■ سمح يؤثر في فتاواه وتعليقاته الحسنى واللطف والتيسير.. وهو اجتماعي بلا تبذل، مهيب بلا غطرسة.. في أي وسط يحل به يشيع موجات من الحب والانفتاح والود والحوار.

■ أسلوبه الدعوي متميز؛ اجتهادا ورواية ودراية وفهما وزعامة ودأبا وإبداعا.. وطبيعة أدائه؛ خطيبا ومحاضرا ومحاورا ومديرا ووزيرا، كانت تستدعي تلقائيا الإعجاب بتفوقه، والانبهار بمستواه، فاستحق أن يكون من أنبه من أنجبهم الأزهر الشريف.

■ علم يشار إليه بالبنان، ذو قامة مرفوعة، وهامة عالية، وهمة متجددة، وذهن متيقظ، ونكتة حاضرة، وبديهة سريعة، وفؤاد ذكي، وحديث حلو، ولسان عفيف، وصوت خفيض.. رسالته الدعوية أداها بسلاسة وحب وتفان، فامتلك مساحة واسعة، من دون أن يدري حدودها، في سجل التاريخ العقلي لمصر.

■ فكره وعلمه تميزا بطبيعتهما الاستيعابية، التي بدورها صاغت ونسجت علاقاته مع الآخر المختلف.. ورغم أن من كان مثله يبتعث لاستكمال دراسته في الخارج، غير أنه أصبح رمزا ودليلا على إمكانية تفوق المدرسة الوطنية.. إنه الشيخ الأديب الشاعر الوزير العلم أحمد حسن الباقوري.

التنشئة والتعليم

■ في صعيد مصر، وفي قرية صغيرة جدا (لدرجة أن وصفها الدكتور طه حسين وهو يخاطب الشيخ الباقوري في حفل انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية بـ «أنها عُرفت به») تسمى «باقور»، تتبع مركز أبو تيج بمحافظة أسيوط، ولد الشيخ أحمد حسن الباقوري في ١٣ ربيع الآخر ١٣٢٥هـ الموافق ٢٦ مايو ١٩٠٧م.. وكعادة الناس في ذاك الزمان، التحق الباقوري بكتاب قريته ليتعلم مبادئ القراءة والحساب والقرآن الكريم.. وبعد إتمامه حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية، التحق الباقوري في عام ١٩٢٢م بمعهد أسيوط الديني.

■ باكرا، وفي معهد أسيوط الديني، ظهر تفوق الشيخ ونباهته ونبوغه؛ طالبا وخطيبا وشاعرا، حتى إنه ليروى عنه أنه حفظ المعلقات العشر كلها وشروحها في مراحل عمره الأولى.

■ في عام ١٩٢٨م، حصل على شهادة الثانوية الأزهرية من المعهد، وبعدها (عام ١٩٢٩م) انتقل إلى القاهرة ليلتحق لأربع سنوات بالأزهر الشريف بالقسم العالي ويحصل على الشهادة العالمية القديمة (أي من النظام القديم) عام ١٩٣٢م.

■ ما إن حصل الشيخ أحمد حسن الباقوري على الشهادة العالية حتى انتظم في الدراسات الأعلى، واختار أن يتم رسالته للعالمية الكبرى أو العالمية من درجة أستاذ في البلاغة والأدب، والتي نالها عن رسالته: «أثر القرآن في اللغة العربية» سنة ١٩٣٦م.

حياته العملية

■ عقب حصوله على «عالمية الأزهر» عين الشيخ الباقوري مدرسا للغة العربية وعلوم البلاغة في معهد القاهرة الأزهري (تلك البداية كانت تعتبر وقتذاك مرموقة وواعدة)، ثم نقل مباشرة مدرسا بكلية اللغة العربية، وبعدها نقل وكيلا لمعهد أسيوط العلمي الديني، ولم يلبث أن نقل وكيلا لمعهد القاهرة الديني الأزهري عام ١٩٤٧م، وفي سنة ١٩٥٠م عين شيخا للمعهد الديني بالمنيا، وهو المنصب الذي أتى منه إلى ترؤس وزارة الأوقاف المصرية، ثم وزارة أوقاف الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٥٩م.

■ في عام ١٩٦٤م، أصبح مديرا لجامعة الأزهر، كما عين مستشارا برئاسة الجمهورية.. وكان، رحمة الله عليه، عضوا في: مجمع اللغة العربية، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، والمجلس الأعلى للأزهر، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وجامعة الشعوب العربية والإسلامية، والمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، والمجلس القومي

للتعليم (شعبة التعليم الجامعي)، ولجنة التنسيق بين الجامعات وأكاديمية البحث العلمي.

■ كما كان مديرا ورئيسا لمعهد الدراسات الإسلامية، الذي أسسه رحمه الله، حتى غدا يعرف بـ«معهد الباقوري»، والذي كان يعطي درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، كما كان مستشارا لليونسكو (الشعبة القومية بالقاهرة).

جوائز ومؤتمرات

■ نال الشيخ الباقوري، رحمة الله عليه، جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٥م.. وشارك، رحمه الله، في مؤتمرات عدة؛ محلية وإقليمية ودولية، منها: مؤتمر فلسفة العصر الوسيط في بون (ألمانيا الغربية)، مؤتمر التعليم الإسلامي (مكة المكرمة ١٩٧٨م)، مؤتمر السنة والسيرة (قطر ١٩٨٠م)، مؤتمر الطب الإسلامي (الكويت ١٩٨١م)، مؤتمر الإسلام (فرنسا ١٩٨٢م).

مؤلفاته

■ حملت مؤلفات الباقوري روح الداعية وأسلوب الأديب، نذكر منها: «دراسات في الفلسفة الإسلامية»، «علم الكلام وبعض مشكلاته»، «الإسلام في أفريقيا»، «إخوان الصفا ودورهم في التفكير الإسلامي»، «الإسلام والفكر الوجودي المعاصر»، «مع كتاب الله»، «مع الصائمين»، «مع القرآن»، «خواطر وأحاديث»، «قطوف من أدب النبوة»، «من أدب القرآن: تفسير سورة تبارك»، «عروبة ودين».

■ لكن كتابه الصغير الحجم، الكثير النفع «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية»، هو أميز مؤلفاته، إذ يدل على عقلية الباقوري البحثية، وهو كتاب يشهد بغزارة علمه وجزالة أسلوبه وقوة حجته، حتى إن الأديب المعروف الدكتور طه حسين كتب مقدمة للكتاب، أثنى فيها على الباقوري وعلمه.

الباقوري شاعرا

■ عرف الشيخ الباقوري بالخطابة والشعر أكثر مما عرف بالفقه والبحث العلمي، إذ كان إلى الأدباء أقرب منه إلى العلماء، وكان له شعر رائع، يفيض بمشاعر الحب والحماسة للإسلام ويثيرها، منه قوله في قصيدة «أيه يا دهر»؛ متشوقا لعودة مجد الإسلام في عصوره الزاهية بفضل التربية النبوية التي صرنا في عصر أحوج ما نكون إلى استيعابها واستعادتها:

أيــه يــا دهــر تــأن وارو للمستضعفين

فـي خـشـوع كيف كنا تــاج رأس الـعـالمين

صف لنا كيف استطعنا أن نسوس الأرض حينا

الباقوري والإذاعة

■ تحمل الباقوري، رحمة الله عليه، أمانة الحفاظ على وعي الأمة وإيقاظه، في فترة زمنية فارقة، كان العمل فيها يجرى على قدم وساق على إعادة تشكيل وعي الأمة بطريقة قسرية، فاستطاع الباقوري، في هدوء آسر للعقول، وقدرة على التمكن من الأسماع، أداء دور صمام الأمان بسلاسة رهيبة من خلال قدرة فائقة على الحديث الطويل المفصل والتلقائي متناولا قضايا الأمة.. فبلغ أقصى درجات الارتباط والترابط مع الناس ونجح في جذبهم إليه وقيادة سفينة الهوية الدينية في دوامات التغريب وأمواج الانحرافات الفكرية والوصول بها إلى شواطئ الأمان، مستغلا ذكاءه في الفهم، وذكاءه في الاستيعاب، وذكاءه في الخطاب، وذكاءه في الاستشهاد على نحو متفرد ومنفرد على مدى طويل ومتصل من خلال موجات الإذاعة التي كان يخاطب عبرها المواطنين.

مساهمته مع «الوعي»

■للأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري تسع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «حديث عن رمضان، ع:٦٩» - «على هامش الهجرة، ع:٧٣» - «مولد الكرامة الإنسانية، ع:٧٦» - «مشكلة تخلق في الشباب المشكلات، ع:٧٧» - «في ذكرى الإسراء والمعراج، ع:٧٩» - «ذو القرنين، ع:٨١» - «القرآن والكعبة والخلافة، ع:٨٣» - «خاتم النبيين والمرسلين، ع:٨٧» - «فن التجويد هو موسيقى القرآن، ع:١٠٥».

وفاته

■ توفي الشيخ أحمد حسن الباقوري، رحمة الله عليه، أثناء علاجه في لندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥م، بعد حياة حافلة ممتلئة بالعطاء والبذل والدعوة، غفر الله له ورحمه، وجزاه خيرا عما قدم لدينه وأمته.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع الجزيرة «الدكتوران القرضاوي والجوادي».
٣- الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».

هشام الصباغ
باحث لغوي

الأديب المكي

أحمد محمد جمال

■ نسبه يرتفع إلى الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب، بحسب ما رواه الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي في كتابه الشهير بـ«أزهار البستان» (الأزهار الطيبة النشر عن الأعيان في كل عصر).

■ قلمه سيال، وثقافته لا يحدها مكان، ولا يجمعها زمان؛ كتب في شتى الموضوعات والقضايا، وكتاباته كلها لخدمة الإسلام والمسلمين، سواء على المستوى المحلي أو العربي أو الإسلامي أو الدولي.

■ أسلوبه في الحوار ممتع وجميل؛ لا يصخب ولا يجهل، ولا يتطاول ولا يتعالم، ولكن.. يعرض وجهة نظره التي يؤمن بها بأسلوب حكيم، وطريقة لبقة تشد السامع إليه، وتؤثر فيمن يحاوره؛ مستفهما أو متشككا أو مجادلا.. وعباراته طيبة تظلل أجواء حديثه؛ فلا يملك الطرف الآخر إلا التسليم بوجهة النظر التي طرحها من دون أي حرج أو غضاضة.

■ هادئ الطبع، ابتسامته مشرقة لا تفارق محياه حتى في أحرج الأوقات.. ساحر في نقاشه، متزن في ثقافته، واثق في علمه، متمكن من عمله، مصلح في مجتمعه، صادق مع ذاته، يكره الغرور والغطرسة، غير منفعل، ذو ثقافة إسلامية عالية، عفيف النفس واليد، نزيه.

■ وفاؤه لإخوان الصدق على قدر كبير وشأن عظيم، ولا غرو فقد عرف بالصلاح بالتقوى والورع.. إنه أحد أعضاء لجنة وضع النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، الكاتب والداعية والشاعر أحمد بن محمد بن صالح بن عبدالقادر بن صالح بن عبدالرحمن بن عثمان بن عارف بن محمد جمال.

النشأة والتعليم

■ أمام المسجد الحرام، بمحلة «المسعى» في مكة المكرمة، نشأ وترعرع، وفيها ولد عام ١٩٢٤م، لأسرة محافظة متدينة ذات باع في العلم؛ فجده عارف كان علامة يدرس القرآن والحديث والتفسير والفقه في المسجد الحرام، وجده عبدالرحمن (حفيد عارف) كان أحد علماء مكة العاملين وإماما ومدرسا بالمسجد الحرام وولي قضاء جدة في عهد الشريف غالب وخلفه في ذلك ابنه عثمان.

■ في مدرسة المسعى التحضيرية بدأ دراسته الأولية لأربع سنوات.. وبعد أن أنهى دراسته فيها انتقل للدراسة في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وفيه تخرج عام ١٣٥٩هـ، وبعده درس تفسير القرآن على يد الشيخ علوي مالكي.

حياته العملية

■ اشتغل الأستاذ أحمد محمد جمال، رحمه الله، في دوائر القضاء، وعين كاتبا في المحكمة الشرعية، كما شغل عدة وظائف إدارية في وزارة الداخلية.

■ منذ أن كان طالبا استهوته صنعة الأدب والصحافة وظلت تلك البذرة تكبر في نفسه وتتفرع.. وفي عام ١٣٧٦هـ، حصل شقيقه الشيخ صالح على امتياز إصدار جريدة سماها «حراء»، ووقتها كان شغف الأستاذ أحمد بعالم الأدب والصحافة بلغ مبلغه، حد أن ترك العمل الحكومي من أجلها وممارسة جميع أعمال الصحافة؛ فعمل صفيفا للمواد الإخبارية، ومصححا لها، ومحررا، وسكرتيرا ومديرا للتحرير.

■ اتخذ الصحافة منبرا لدعوة الحق ومنصة يدافع من خلالها عن دينه وأمته، فكانت له زوايا يومية وأسبوعية وكتب في جميع الصحف السعودية وصحف من الدول العربية.

■ عمل مدرسا للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بفرعيها في مكة المكرمة وجدة، وعندما انفصلت وأنشئت جامعة أم القرى بمكة المكرمة اكتفى بالتدريس فيها حتى وفاته (بدون مقابل مادي).

■ عمل مذيعا بالإذاعة السعودية منذ إنشائها وشارك في تقديم نشرات الأخبار والبرامج الثقافية المتنوعة، وكانت له أحاديث من إعداده.. كما عمل في وزارة المعارف بقسم الثقافة الإسلامية.

■ شارك في كثير من المؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها وفي معسكرات الشباب الإسلامي وتنقل كداعية أيضا في كثير من دول العالم

الإسلامي والعربي وأوروبا وأميركا وإفريقية وجنوب شرق آسيا حتى وصل إلى الصين ويوغوسلافيا.

■ بمرسوم ملكي عين عضوا في مجلس الشورى السعودي منذ عام ١٩٥٦م، واحتفظ بعضويته طيلة حياته.. ونال عضوية كل من: المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، ورابطة العالم الإسلامي، ومجلس الأوقاف بمكة المكرمة، والمجلس البلدي بمكة المكرمة، ومنظمة الشباب الإسلامي العالمية، وجمعية صندوق البر بمكة المكرمة منذ إنشائها (ثم ترأسها). كما أشرف على سلسلة «دعوة الحق» التي كانت تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

جمال.. والثقافة الإسلامية والأدب

■ نادى جمال بإشباع الأدب بالروح الإسلامية، ويراه «رسالة الفكر الإنساني»، ولذا فهو يؤمن بأنه «يستلزم جهادا في سبيله؛ لأدائه سليما قويما لنشر الحق والخير»؛ لأن «رسالة الفكر هي رسالة الأنبياء».

■ الأدب لديه ليس صدى لما يعتمل في المجتمع الإنساني فقط، ولكنه أيضا دعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل.. ويعزو جمال سبب تخلف المسلمين إلى هجرهم الثقافة الإسلامية، التي يراها «سلوكا وليست مجرد معارف ومبادئ».

جمال والشباب

■ له عناية واهتمام فائقان بتربية الشباب؛ يوجه دائما خطابه إليهم في دروسه وأحاديثه وخطبه ومقالاته؛ ويطالب الجميع بالعمل على تنشئتهم تنشئة إسلامية صالحة، وإعطائهم مزيدا من الجهد والرعاية، ومراعاة السن التي هم فيها، والثقافة التي يحتاجون إليها، مبررا ذلك بقوله: «إن الرسول ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم والملل، فكيف بمسلمي اليوم، خصوصا الشباب؟!».

مؤلفاته

■ مؤلفاته زادت على ٤٠، هذا غير مئات المقالات، ويتبين لمن يتناول مؤلفاته أنها ترتكز على خلفية إسلامية بحتة، يدافع فيها عن الإسلام ويجاهد بقلمه لرد كيد أعدائه مستندا إلى كتاب الله وسنة رسوله.. فألف في الأدب والفكر والثقافة الإسلامية، والسياسة والاجتماع والاقتصاد والجهاد كما قرض الشعر، وفي سنواته الأخيرة اتجه لتفسير القرآن؛ نذكر من تآليفه: الطلائع (وداعا أيها الشعر) – على مائدة القرآن – نساؤنا ونساؤهم – نحو تربية إسلامية – أوصيكم بالشباب خيرا – الاقتصاد الإسلامي.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الشيخ أحمد محمد جمال ثمانية وعشرون مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «المرأة العربية في مهب الريح، ع:٣» – «ذكرى الحصار الأول: ما أشبه الليلة بالبارحة، ع:١٢» – «أغلى من الذهب، ع:١٦» – «كاريل يرد أكاذيب المستشرقين، ع:٢٥» – «تاريخكم يا شباب الإسلام ٤/٣/٢/١، ع:٤١/٣٧/٣٣/٣٠» – «علاقة الإسلام باللغة العربية، ع:٤٥» – «يا شباب الإسلام ما هي ثقافتكم؟ ٣/٢/١، ع:٦٥/٦٢/٥٣» – «حوار حول الجهاد الأكبر، ع:٦٨» – «من قصص الهجرة في القرآن، ع:٧٣»، «اهتمام الإسلام بالشباب، ع:٧٧» – «حوار حول زكاة الأموال المستحدثة، ع:٧٨» – «رمضان بركاته وذكرياته، ع:٨١» – «الحج: روائعه ومنافعه، ع:٨٤» – «الأسرة كما يريدها التشريع، ع:٨٥» – «عسكرية الإسلام جهاد وذياد، ع:٩١» – «مفهومات قرآنية، ع:٩٦» – «الناس بين استعجال السيئة واستبطاء الحسنة، ع:٩٧» – «قضايا قرآنية، ع:٩٨»، «ذكرى ميلاد الرسول ﷺ، ع:١٠٠» – «دراسات قرآنية، ع:١٠٨» – «نحو تربية إسلامية: يا بني، ع:١٠٩» – «حديث مع الشباب: كلهم يبكي فمن سرق المصحف؟ ع:١١٥» – «افتعال المشكلات في نظر القرآن، ع:١١٩».

وفاته

■ في أرض الكنانة، وتحديدا في مدينة الإسكندرية، ومع ساعة سحر يوم عرفة من عام ١٤١٣هـ، لقي الشيخ الأستاذ أحمد محمد جمال ربه منتويا صيام الغد، لينقل جثمانه إلى مطار الملك عبدالعزيز بجدة بطائرة خاصة، أمر بها وقتذاك الملك فهد بن عبدالعزيز فور معرفته بنبأ الوفاة، ليصلى عليه في المسجد الحرام فجر يوم عيد الأضحى. ثم ووري جثمانه الثرى بمقابر المعلا بمكة المكرمة قريبا من مقبرة أمنا الطاهرة خديجة زوجة خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ.

المصادر والمراجع

١- كتاب «الأزهار الطيبة النشر عن الأعيان في كل عصر».
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- المكتبة الشاملة.
٤- موقع الجزيرة.
٥- رابطة أدباء الشام.
٦- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الفقيه المجاهد صاحب «فقه السنة»

السيد سابق



■ حمل همَّ الأمة وهمَّ تربية أبنائها، وفهم دينها فهما صحيحا، وكان درعا واقية لها من الوقوع في الوهم والشطط البعيد عما أراده كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فكان جديرا بأن يكون أحد كبار من أنجبتهم أمة الإسلام.

■ فقيه أزهري متمكن، ذو علم غزير، وذهن وقاد، وذكاء حاد، وخلق رفيع، وتواضع جم، ولسان عفيف، وبديهة حاضرة، ومنطق حسن، وروح مرحة.

■ اجتهد في الفقه ولاقى اجتهاده قبولا واسعا؛ لبساطته وحيويته ونجاحه في تقريبه إلى جماهير الأمة، بعد أن ظل دهرا مغلقا على فئة المتخصصين، فاستحق أن يكون رائدا في هذا الدرب.

■ لواسع علمه، وعمق فهمه، وسعة أفقه، وجرأته في قول الحق، كان قوله فصلا بين المختلفين في المسائل الشرعية، ومحل ثقة كبار علماء الأزهر الشريف وإجلالهم واحترامهم؛ أشياخه وزملائه وطلابه ومريديه، من أمثال: الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد الغزالي والشيخ الباقوري.

■ كل من عرفه أو تتلمذ على يديه يعرف له مكانته وفضله، وقد تخرج على يديه الكثير من قناديل الهدى، الذين نشروا أنوار علمه في سماء الخلق من أمثال: الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور أحمد العسال والدكتور عبدالستار فتح الله والدكتور صالح بن حميد والدكتور العلياني..

إنه الشيخ الفقيه صاحب «فق السنة» السيد سابق محمد التهامي.

مولده وتعليمه وحياته العملية

■ في قرية «إسطنها»، إحدى قرى مركز الباجور بمحافظة المنوفية، ولد الشيخ السيد سابق في يناير عام ١٩١٥م.. تلقى تعليمه الأولى في «الكُتّاب» فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.. وبعد أن أتم حفظ القرآن، وكان عمره لم يتجاوز التاسعة، التحق بالأزهر الشريف في القاهرة، وظل يتلقى العلم ويترقى في تحصيله حتى نال «العالمية» في الشريعة عام ١٩٤٧م، ثم حصل بعدها على الإجازة من «الأزهر».

■ بعد تخرجه من «الأزهر» عمل بالتدريس في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في «الأزهر»، ثم انتقل إلى «الأوقاف» في نهاية الخمسينيات، متقلدا إدارات: «المساجد»، ثم «الثقافة»، فـ«الدعوة»، فـ«التدريب»، إلى أن ضُيّق عليه فانتقل إلى مكة المكرمة للعمل أستاذا بجامعة الملك عبدالعزيز، ثم جامعة أم القرى، وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا، ثم عمل أستاذا غير متفرغ.

تربية السبكي للشيخ

■ في بداية حياته، التحق الشيخ بالجمعية الشرعية، التي أسسها الشيخ محمود السبكي، رحمه الله، وتتلمذ على يديه، كما تزامل مع خليفته الشيخ عبداللطيف مشتهري رحمه الله.

وكان للسبكي أثر عظيم في شخصيته وتربيته وطريقة تفكيره، ومن ذلك، واقعة تربوية مؤثرة يحكيها سابق: «في بداية حرب فلسطين، وكنا في ريعان شبابنا، أخذني الحماس أمام شيخي في أحد دروسه فقلت له: ما زلت تحدثنا عن الأخلاق والآداب! أين الجهاد، والحث عليه؟! فأمرني الشيخ بالجلوس. فرددت: حتى متى نجلس؟ فقال الشيخ: يا بني، إذا كنت لا تصبر على التأدب أمام العالم! فكيف تصبر على الجهاد في سبيلِ اللّه؟ فهزتني الكلمة جدا، وظل أثرها في حياتي حتى يومنا هذا».

السيد سابق مجاهدا

■ تاق إلى الجهاد، ومنى نفسه بالشهادة، فسلك مسلك علماء السلف الذين حملوا القرآن بيد للدعوة، والسلاح بالأخرى للدفاع عن حوزة الإسلام.. ولما سنحت له الفرصة سنة ١٩٤٨م، كان في أول الصف؛ مفتيا ومعلما ومربيا، ومشاركا ومحرضا للمجاهدين للثبات والإثخان في العدو المحتل لأرض الإسراء والمعراج.

منهجه الفقهي

■ شغف الشيخ بالفقه، وشغل تفكيره أكثر من معاصريه من العلماء.. استهل كتاباته الفقهية على شكل مقالات، وبدأ

بفقه الطهارة معتمدا على كتب فقه الحديث، مثل «سبل السلام» للصنعاني، و«نيل الأوطار» للشوكاني، و«المغني» لابن قدامة، و«زاد المعاد» لابن القيم.

■ اعتمد الشيخ في كتاباته الفقهية منهجا يقوم على طرح التعصب للمذاهب مع عدم تجريحها، والاستناد إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع، وتبسيط العبارة للقارئ بعيدا عن تعقيد المصطلحات، وعمق التعليلات، والميل إلى التيسير على الناس، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص، والبعد عن ذكر الخلاف (إلا ما لا بد منه)، وذكر الأقوال في المسألة، واختيار الراجح أو الأرجح في الغالب، وأحيانا ترك الأمر دون ترجيح رأي (لعدم اتضاحه له أو لتكافؤ الأقوال والأدلة عنده، فيرى من الأمانة أن يدع القارئ يتحمل مسؤولية اختياره، أو يسأل عالما آخر).

مؤلفاته

■ أخذ الشيخ بحظ وافر من العلم، وخلف العديد من الآثار المكتوبة، أهمها، إضافة إلى كتابه الشهير «فقه السنة»: «مصادر القوة في الإسلام» - «الربا والبديل» - «رسالة في الحج» - «رسالة في الصيام» - تقاليد وعادات يجب أن تزول في الأفراح والمناسبات» - «تقاليد وعادات يجب أن تزول في المآتم» - «العقائد الإسلامية» - «إسلامنا».. وغيرها من الكتب والمحاضرات والأبحاث والمقالات.

«فقه السنة»

■ تطورت مقاربات الشيخ في كتاباته الفقهية، التي اتخذت عنوان «فقه السنة»، تطورا ذكيا مكنها من استيعاب الفقه كله على مدى سنوات قصيرة، انتهى الشيخ فيها من كتابه ذي الأجزاء الأربعة عشر الصغيرة (بعدها جمعت في مجلدات كبيرة) الذي سماه أيضا «فقه السنة».. وعن هذا الكتاب حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل في مجال الدراسات الإسلامية عام ١٩٩٤م، ووسام الامتياز من مصر.

أسباب نجاح «فقه السنة»

■ ذاع كتاب «فقه السنة» وجاب الآفاق، وانتشر بين المسلمين جميعا؛ عربهم وعجمهم، لأسباب ثلاثة: أولها استناده إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع مع خروج ما دوّنه من أحكام على حدود المذهبية، وثانيها أنه نجح في تقديم الفقه للجماهير بعيدا عن المصطلحات العلمية والتعليلات الأصولية، وثالثها مزجه الأحكام بالحكمة اقتداء بالقرآن في تعليل الأحكام.

من أقواله

■ «الأب الشرعي لضعف الأمة وضياعها وذهابها هو تفرقها الذي نهانا الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ (الأنفال:٤٦)».

■ «أمضى سلاح بيد أعداء الأمة هو زرع الخلاف بينها، وينبغي ألا يترك أمر الأمة حتى يستفحل الخلاف، بل لا بد من علاج أسبابه. وقد بين الله هذا العلاج بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء:٥٩)».

■ «لن يكف الباطل عن مناوأة الحق، وبنو الدين الحق يمثلون نبيه في تبليغ رسالة الإسلام. وللوصول إلى هذا المستوى لابد من مجاهدة النقائص، بجانب جهاد النفس، بدءا من الفرد، حتى تصبح الدولة مثلا أعلى لا يصدر عنها إلا الكمال والفضائل. ثم يأتي دور أمة محمد التي يجب أن تبقى حرة مستقلة لأن لها عقائدها ولها مُثُلها ولها القيادة والريادة والسيادة».

مساهمته مع «الوعي»

■ للشيخ، رحمة الله عليه، أربع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «حجة الوداع» (ع:١٢، ذو الحجة ١٣٨٥هـ/مارس ١٩٦٦م)، و«كيف نعيش» (ع:٢٢، شوال ١٣٨هـ/يناير ١٩٦٧م)، و«التدين» (ع:١١٦، شعبان ١٣٩٤هـ/أغسطس ١٩٧٤م)، و«الدولة الإسلامية» (ع:١٨١، شوال ١٤٠٠هـ/نوفمبر ١٩٧٩م).

أواخر عمره.. ووفاته

■ قبيل موته بثلاث سنوات، فضل الاستقرار في القاهرة، ورغم كبر سنه وضعف صحته وتحذير الأطباء له، فإنه أصر على إكمال مسيرته في نشر العلم والدعوة في مساجدها، وظل مصباح حق ويد خير للناس حتى وافاه الأجل يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م عن عمر يناهز ٨٥ عاما، تاركا وراءه علما نافعا، وتلاميذ بررة يدعون له بالمغفرة والرحمة، وذكرا طيبا يمثل عمرا آخر له بعد عمره القصير.. وأمّ المصلين على جنازته شيخ الأزهر، ودفن في مسقط رأسه (إسطنها)، بلا مراسم عزاء وفق وصيته بالاكتفاء بالصلاة والتشييع فقط.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع الجزيرة (مقالان للدكتورين: القرضاوي والجوادي).
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- رابطة أدباء الشام.
٥- مواقع: «الراشدون» - «منارات» - «قصة الإسلام».

هشام الصباغ
باحث لغوي

الوزير.. والنائب الشعبي
أحمد مظهر العظمة

■ رجل دعوة من طراز خاص، كتلة من الحيوية والنشاط، مليء بالشهامة والاستقامة والغيرة، جم التهذيب، ناشر للفضائل، يحترم الكبير ويعطف على الصغير، جواد، عف اللسان، راجح العقل، صائب الرأي، ملجأ للناس في حل خلافاتهم، قوي الإرادة.

■ أسلوبه في الكتابة علمي رقيق، جزل، موجز، مع صناعة محمودة لا إسراف فيها ولا تكلف، وكتاباته رشيقة الألفاظ، وجمله لينة، وعباراته سهلة، ومعانيه مشرقة، يبعد عن المحسنات اللفظية، إلا ما سقط منها عفوا في مواضعه؛ يبدو ذلك في كثير مما يصفه مجملا في مقدمات مجلة «التمدن الإسلامي»، التي رئس تحريرها لمدة نيف وأربعين عاما وفي غيرها من المجلات والصحف العديدة.

■ أديب كبير، وقانوني، وإداري، وفقيه، ومفسر للقرآن، وشارح للحديث، وخطيب، وناثر، وشاعر، ومفن قدير.. منذ أول عهده بالتأليف سخر قلمه للعلم والإصلاح؛ فكتب في: التفسير، والسنة، والعقيدة، والعبادة، والمعاملة، والأخلاق، والتشريع، والتربية، والحضارة، والمدنية، والعلم، والثقافة، والمجتمع، والتراجم، والخطابة، وقرض الشعر.. إنه الأستاذ الوزير أحمد مظهر العظمة.

العظمة.. النشأة والتعليم

■ من أسرة عريقة، معروفة بأصالتها ووطنيتها؛ ولا غرو فهي التي قدمت الشهيد يوسف العظمة قربانا لحرية الوطن (شهيد ميسلون).. نسبها يرجع إلى «التركمان»، استوطنت دمشق واستعربت منذ ٤ قرون، وأول من عرف منها حسن بك تركمان (ت:١٠٤٠هـ)، الذي اشتهر بلقبه التركي «كميكلي» (أي العظمي).

■ ولد العظمة في حي سويقة ساروجا بدمشق في ١٧ مايو ١٩٠٩م، لوالد كان يعمل بالتجارة والزراعة، ما لبث أن توفي وخلفه يتيما وله ٨ أعوام.

■ في دمشق تلقى علومه كلها، بدءا بالمكتب (الكتاب)، وفيه قرأ القرآن ودرس مبادئ العلوم والحساب، ثم أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة حي البحصة (الرشدية سابقا).. وفي عام ١٩٣٢م، حصل على شهادة «البكالوريا الثانية» (شعبة فلسفة) من مدرسة التجهيز (مكتب عنبر)، بعدها انتسب إلى معهد الحقوق وإلى مدرسة الأدب العليا (كلية الآداب) في الجامعة السورية وتخرج فيها عام ١٩٣٥م.

■ لم يكتف العظمة بدراسته الرسمية، فكان إلى جانبها يحضر حلقات العلم الشرعي عند كبار علماء عصره أمثال: الشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ صالح الحمصي، والشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ خالد النقشبندي الحفيد.

حياته العملية

■ لمدة يسيرة من حياته مارس العمل بالمحاماة.. وفي عام ١٩٣٦م، سافر للتدريس بالعراق، وهناك امتد نشاطه إلى الإعلام والصحافة، ثم عاد إلى حلب والمدرسة الخسروية والفاروقية مدرسا في تجهيز البنين.

■ إلى دمشق نقل رئيسا لكتاب الضبط في ديوان المحاسبات، ما لبث أن استقال منه ليرشح نفسه للانتخابات، وفاز، لكن تلاعبا بالنتائج حدث؛ فاحتج لدى رئيس الجمهورية، وذاعت ظلامته بين الناس وأطلقوا عليه وقتها «النائب الشعبي»؛ فترضاه الرئيس وعينه عضوا بالوكالة في لجنة التربية بوزارة المعارف، ثم اختير عضوا أصيلا بعد سنة، ثم عين بلجنة تأديب الموظفين، فمفتشا للدولة، فرئيسا لمكتب تفتيش الدولة.

■ لم يغب عن واقعه المعيش، وكان يؤرقه ما يعانيه وطنه، فلما أتيحت له فرص المساعدة واتخاذ القرار عام ١٩٦٢م، باختياره وزيرا للزراعة (ثم أضيفت إليه وزارة التموين)، استشار أهل الاختصاص في فكرة تراوده لحل مشاكل الفلاحين والمزارعين التي أهمته وشغلت باله، فكانت الثمرة: الجمعيات التعاونية في المدن والقرى.. غير أنه أعيد سريعا إلى رئاسة تفتيش الدولة بعد عام ١٩٦٣م، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦ م.

عمله الفكري ورؤيته

■ حمل على أدب المتعة واللهو، ونادى بأدب الإصلاح؛ لحاجة الأمة الإسلامية الماسة إليه.. ورأى أن حضارة الإسلام شملت نواحي الحضارة جميعا، خلافا لما هي عليه حضارات الأمم؛ فحضارة اليونانيين الأثليين فلسفية فنية، والإسبارطيين مدنية جندية، والرومان

اشتراكية وحربية، والفرس صناعية وفنية، والهند فلسفية روحية.. أما الحضارة الإسلامية فهي روحية وخلقية واشتراكية وأدبية وفلسفية وعلمية وعملية.

«التمدن الإسلامي» ومنهجها

■ بدعوة من العظمة تم تأسيس جمعية «التمدن الإسلامي» عام ١٩٣٢م، التي ضمت صفوة علماء الشام وقتذاك مثل: حمدي السفرجلاني، عبدالفتاح الإمام، محمد كمال الخطيب، سعيد الأفغاني.. وغيرهم كثير.

■ تولى رئاستها في البداية الشيخ السفرجلاني وحمل العظمة أمانة سرها، ثم تولى عام ١٩٦٢م رئاستها، غير أن رئاسة تحرير مجلتها منذ تأسيسها (١٩٣٣م) وإلى وفاته كانت إليه، وكان (كما يروي الشيخ علي الطنطاوي): «يحرر مجلتها، ويكتب فيها، ويقوم على ناديها، ويدعو المحاضرين إليه، ويحاضر هو فيه، وكان يدون بنفسه أسماء المشتركين في المجلة ويكتب هو عناوينهم بيده، ويلصق الطابع بذاته، ليوفر على الجمعية أجرة موظف يتولى هذا العمل، وظل على ذلك حتى وفاته عام ١٩٨٢م».

■ أُسست الجمعية في منهجها على اتباع الدليل من الكتاب والسنة، مع إدراك عميق لمقاصد الشريعة، وانفتاح وتعاون مع كل التيارات الإسلامية، دون انغلاق ولا تعصب، مع اهتمام بالغ بأحوال الأمة، وسد ثغراتها على كل صعيد.

إسلامية شعر العظمة

■ العظمة أديب كبير وشاعر فحل، لم ينسج بيتا واحدا فيما لا يؤمن به، ولا فيما لا غناء للمجتمع به؛ فهو ليس شاعر مناسبات وحوليات، بل مرآة تتجلى فيها المرئيات، وشعره يتميز بصدق العاطفة ونبل الغاية، غير مغرق ولا مسرف؛ لا في خيال يجعله كالأساطير، ولا في تزيين يجعله كدمى الأطفال.

■ الإسلام كان الدم الذي يسري في أوصال قريضه، الذي فاض به وبرسالته، متناولا جوانب طاقتها المشعة التي تبعث الحياة في الرقود، وتحيي الآمال، وتحيل الضعف قوة، وتغذي النفس عزيمة:

لله آيات الكتاب فإنها
تحيي الرميم وتبعث الأمالا
وتسابق الأجيال تجديدا فما
هرمت وإن شاخ الزمان وطالا
كالشمس في كل العصور مضيئة
تهدي الحياة الحسن والإفضالا

■ روى العظمة في شعره قصة مجد الأمة المخلد التي ما زادتها خطوب الزمان إلا قوة، فكانت بنهجها مؤثلة لحضارة فريدة ترفرف فوقها أعلام الهداية في ظل الشورى والأمان والعدل:

في شاطئ الأبد الرهيب مآذن
تلقى جنود المصطفى أشبالا
ساروا على النهج الرفيع فأصبحوا
للمجد أهلا والسيادة آلا

■ ولأن من «أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، لم يغب عن شعر العظمة التكافل الذي يملي الإخاء والمشاطرة والعون بين المسلمين:

أدركوا الخير والمروءة والإخلاص
والجود والإبا في حماها

مؤلفاته

■ تأثرت ثقافة العظمة بالأدب الفرنسي وبرحلاته شرقا وغربا، وكان نتاج ذلك العديد من المؤلفات، نذكر منها: في التفسير: «جزء عم»، «تبارك»، «قد سمع»، «الذاريات».. وبعض السور، وفي الحديث: «من الهدي النبوي الشريف»، وفي الثقافة الإسلامية والتوجيه الإذاعي والمنبري والمدرسي: «مذاعات سبل الإسلام»، وفي التاريخ والحضارة: «علي بن أبي طالب» (من سلسلة عظماؤنا للصغار)، وفي الأدب والشعر: «خواطر في الأدب ودراسة نصوصه ونقدها»، وأصدر ديوانه الشعري الأول «دعوة المجد» (إسلامي) عام ١٩٤٨م، بينما أصدر ديوانه الثاني «نفحات» (إسلامي) عام ١٩٧٢م.. وكانت له كتابات ومقالات كثيرة في كثير من المجلات والدوريات العربية الرصينة.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الشاعر الأديب أحمد مظهر العظمة، رحمة الله عليه، تسع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «العالم الإسلامي، ع١»، و«العالم العربي والإسلامي، ع٨»، و«العالم العربي في ماضيه وحاضره، ع١٨»، و«الإمام الأوزاعي، ع٢٠»، و«طغيان ووئام (قصيدة)، ع٢٦»، و«ذكريات في الحج، ع٥٦»، و«صلاح الدين الأيوبي (قصيدة)، ع٥٨»، «عقائدنا الراسخة، ع٥٩»، و«شعبان وليلة النصف، ع١١٦».

وفاته

■ في آخر حياته أصابه مرض باركنسون، وتوفي، رحمة الله عليه، في مدينة دمشق بحي المالكي يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٢م.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- رابطة أدباء الشام.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- موقع: دربنا نت (أ. حسان بدر الدين الكاتب).
٥- موقع دار الفكر.

هشام الصباغ
باحث لغوي

المفكر الإسلامي والداعية المربي
البهي الخولي

■ داعية كبير، للمعاني الربانية ذواقة، وللحاسة الروحية متعمق.. كما أنه موجه فاضل، ومربٍّ عظيم؛ يسهر على غرسه وزرعه بتوجيه ديني وإشراق روحي.. وهو في ذلك صافي الذهن، دقيق الفهم، مشرق النفس، قوي الإيمان، عميق اليقين.

■ أُعجب بفكره ورؤاه العلامة أبو الحسن الندوي، وصارا صديقين، وأخذا يتلاقحان الأفكار، لا سيما بعدما عرفه عن قرب حـ التقاه عام ١٩٥١م، فوصفه قائلا: «والقلب يمتلئ قوة وحرارة بتأثيره وبتأثير روحه القوية وقلبه الفياض بالحب والإيمان حتى شعرت بنشاط جديد».

■ وهبه الله قوة الفراسة؛ فقد رأى في أحد الشباب قوة في التحصيل، ونباهة في الفهم، وذكاء متقدا، فراسل أحد أصحاب العلم والفضل (وزير الأوقاف المصري سابقا) الشيخ عبدالمنعم النمر، رحمه الله، حين كان مديرا لتحرير مجلة «الوعي الإسلامي»، يوصيه بهذا الشاب قائلا: «وهو شاب متواضع، فارع العلم باهر، إن لم يبذّ شيوخ العلم وفحوله في الأزهر، فلن يقصر عن شأن أعلاهم شأنا».. فكان حدسه صاقا، وفراسته به في محلها.. إذ أصبح هذا الشاب بعد ذلك هو المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر وأول رئيس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

■ كما حباه الله بمواهب وصفات جعلته في الذروة العليا من العلماء والدعاة؛ فهو عفيف نزيه غير هياب في قولة الحق والصدق.. فإن حاد أحد عن جادة الصواب، سارع بإبداء رأيه بقوة وشجاعة؛ لكنهما مغلفتان بأدب جم، وتواضع، وهضم للنفس، لا يرده في ذلك ذوو سلطان أو أقرب مقربيه وأصدقائه.. ويؤثر عنه، رحمه الله، قوله: «إني أخاف الحديث عن النفس مخافة الخطر الداهم، لأن الله عودني أنه آفة الخذلان والحجاب».. إنه المفكر الإسلامي والداعية الرباني والمربي المجاهد الشيخ البهي الخولي.

النشأة والتعليم

■ من أبناء الريف المصري، فقد ولد الشيخ البهي بن نجا بن إبراهيم الخولي عام ١٣١٧هـ/١٩٠١م، في قرية القرشية، إحدى قرى مركز «السنطة» في محافظة الغربية، لأب من ذوي النعمة واليسار، ولأسرة متدينة محبة للعلم وأهله.

■ وكعادة أهل زمانه تلقى البهي الخولي تعليمه الأولي: ألحقه أبوه بكتّاب القرية ليدرس القرآن وليتعلم الكتابة ومبادئ القراءة والحساب، وبعد أن أتم حفظ القرآن وبلوغ دور الصبا دفع به والده إلى المعهد الأحمدي بمدينة طنطا.

■ بعد أن أنهى دراسته في المعهد، يمم وجهه شطر القاهرة، قاصدا «دار العلوم»، التي تتلمذ فيها على يد نخبة من علماء الدين واللغة أمثال: محمد عبدالمطلب، وعبدالوهاب النجار، وطنطاوي جوهري.

■ وفي «دار العلوم» شغفت كتب العلامة ابن قيم الجوزية، البهي الخولي، وأسرته كتاباته وأفكاره ورؤاه في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وفهم الدين الصافي العميق، فتفتحت مداركه ونضجت مواهبه وتحدد هدفه.

حياته العملية

■ بعد تخرجه في «دار العلوم» عين مدرسا في المعاهد الأزهرية: في طنطا، ثم انتقل إلى أسيوط، ثم إلى القاهرة، ثم عاد مرة أخرى إلى طنطا.

■ بعد عام ١٩٥٢م، عمل مديرا عاما للمساجد بوزارة الأوقاف، ومديرا لتحرير مجلة «منبر الإسلام»، ثم عين مراقبا عاما للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، ثم اختير عضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.. كما انتدب للتدريس في الأزهر (كلية أصول الدين) وفي «دار العلوم» وكلية العلوم الاجتماعية.. وغيرها.

تربية الشباب

■ عاش الأستاذ البهي حياته داعية ومربيا ومجاهدا في سبيل الله

تعالى، وكانت تربية أجيال تحمل هم الدين، وإكسابهم أدوات حمل رايته، والذب عن حياضه، والنهوض بالأمة الإسلامية من كبوتها وإيقاظها من سباتها، وإحياء الروح الجهادية في نفوس أبنائها، هاجسه ومشروعه الذي عمل عليه طيلة حياته، فكان أثناء عمله مدرسا، وبما حباه الله من فراسة ونباهة، يصطفي من طلابه ومريديه خيرتهم؛ يدنيهم منه، ويربيهم في مدرسته، ويلقنهم ذوقه وفكره الإسلامي المعتدل، ويأخذهم بعزائم السلوك..

■ يلتقيهم قبيل فجر كل يوم اثنين، في بيته، يصلون الفجر معا، ثم يلتفون في جلسات تربية روحية، يحلقون فيها إلى أجواء ربانية عالية.. فكان من خريجي مدرسته الروحية تلك مربون أفاضل وموجهون مجاهدون وعلماء ربانيون.

إرثه العلمي

■ ترك الأستاذ البهي العديد من المؤلفات؛ دعوية وفكرية وشرعية واجتماعية وترجمات تاريخية، من أبرزها: في الدعوة: «تذكرة الدعاة» و«منهج القرآن في المعرفة» و«الخالقية»، وفي الاقتصاد الإسلامي: «الثروة في ظل الإسلام» و«الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية»، وفي السيرة والتراجم: «من أسرار الفتح» (فتح مكة) و«يوم الفرقان» (غزوة بدر) و«الإمام الممتحن أحمد بن حنبل» و«هدى الإسلام» (بالاشتراك مع آخرين، وقد قررته وزارة التربية والتعليم بمدارسها الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٥٦م) و«دراسات فقهية» و«الصيام» و«الحج والعمرة» و«رفيق الحاج»، وفي الاجتماع: «منهاج الإسلام في الزواج والطلاق» و«دراسات حول قضايا المجتمع»، وفي المرأة وشؤونها: «المرأة بين البيت والمجتمع» و«الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة».. وغيرهما كثير، فضلا عن مئات المقالات والأبحاث والمحاضرات.

«تذكرة الدعاة»

■ الأستاذ البهي ممن تنبهوا باكرا إلى الكتابة في مفهوم الدعوة وغاياتها وأساليبها، وما يجب أن يكون عليه الداعية، فكتب كتابه الأول «ذكرة الدعاة»؛ باكورة إنتاجه العلمي، وأشهر كتبه، بأسلوب أدبي رائع، ورؤية لم يسبق أحد إلى مثلها في التأصيل والتفصيل والتدليل، مع عمق الفكرة ووضوحها.. وقد طبع الكتاب عدة طبعات.

قضايا المجتمع

■ لم يترك البهي قضية تؤثر سلبا في المجتمع إلا وحاربها وتكلم عنها وكتب حول كيفية معالجتها واجتثاثها من جذورها، ومن ذلك تناوله لقضية الفساد: «إن الفساد حين يكون عاما ترعاه رياسة المجتمع، وتنشط له رغبات أفراده، إنما يعالج بعلاج أسبابه، لا بعلاج ظواهره التي تطفو هنا وهناك، وقد كان محمد النبي ﷺ إبان رسالته يتعبد ليلا عند الكعبة، والأصنام تطل عليه من فوقها بعيونها المنطفئة الكريهة ووجوهها الجامدة وهو قد بُعث بإزالتها، فلم تحدثه نفسه ليلة - وهو خال بها - أن يكسرها أو يزيلها من مكانها، لأنها ظاهرة علّة وليست هي العلّة نفسها، ولذلك جعل وسيلة مواجهة المسؤولين بالبرهان والإقناع، حتى إذا أذعنت النفوس لحكمته والقلوب لحجته تولى ذووها كسرها بأنفسهم».

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الفاضل البهي الخولي، رحمة الله عليه، تسع عشرة مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «العروبة بين الجاهلية والإسلام، ع٢»، و« الوعي الإسلامي، ع٣»، و«الصيام، ع٩»، و«من عبر الهجرة، ع١٣»، و«من حقائق الدعاء، ع١٧»، و«من أسس قضية المرأة (٨)، ع٢٢ و٢٧ و٣٠ و٣٤ و٣٦ و٣٩ و٤٣ و٥٢»، و«الهجرة بين التفسير المادي والروحي، ع٢٥»، «مثل من شبابنا الأول، ع٤٩»، و«ما هي السماء؟، ع٥٧»، و«في معنى الحضارة، ع٦٥»، و«الإسلام ومنهج المعرفة، ع٦٦». و«القرآن ومنهج المعرفة: النظرة والتكوين، ع٧٠».

وفاته

■ بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال في الدعوة إلى الله، وتربية الأجيال، والإنتاج العلمي، وافاه الأجل المحتوم في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧م، عن ست وسبعين عاما، وقد أوصى أولاده ألا ينشروا نعيه، فمضى إلى ربه دون أن يعلم كثير من عارفيه بوفاته.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- رابطة أدباء الشام.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- موقع: عيون.
٥- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين (منتدى العلماء).

هشام الصباغ
باحث لغوي

شهيد الكلمة والقلم

محمد حسين الذهبي

■ عفيف اللسان والقلم، ذو أدب رفيع، وفقه في الدين.. أوتي نصيبا موفورا من الحكمة التي أثّرت إنتاجه وأذاعت فضله وأضاءت أفقه وشهرت سيرته وباعدت بينه وبين شطط الأقوال وزلل الآراء وخطل الأفكار.

■ لجدتها وإتقانها وإحاطتها ودقتها ونقدها.. سارت تآليفه مسير الشمس؛ لأن باعثها هو الذود عن كتاب الله، ودراسة علومه، وتتبع مناهج المفسرين، وتنقية كتب التفسير والحديث مما علق بها من خرافات وبدع وإسرائيليات.

■ من أشهر كتبه «التفسير والمفسرون»، وهو أسبق مؤلف في مناهج التفسير والمفسرين وأحد المراجع الرئيسية في علم التفسير، وكذلك كتاب «الإسرائيليات في التفسير والحديث» وهو كتاب يعرف القارئ كيف دخلت الخرافات في بعض كتب التفسير والحديث والسيرة وغيرها والرد عليها.. إنه الشيخ الدكتور شهيد القلم والكلمة محمد حسين الذهبي.

المولد والنشأة

■ ابن من أبناء الريف المصري، ولد في قرية «مطوبس» بمحافظة كفر الشيخ شمال مصر، في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٥م.

■ توفي أبوه وتركه صغيرا، فقام على أمره أخوه الأكبر، فعني بتربيته وتعليمه، وألحقه بكتاب القرية (إحدى حواضن تعليم النشء في ذاك الزمان)، فحفظ القرآن الكريم وأتقنه، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب في قريته.

■ بعدما أتم حفظ القرآن دفع به أخوه إلى معهد دسوق الديني حتى يستكمل دراسته، ومنه حصل على شهادة الثانوية بتفوق.. بعدها رحل إلى القاهرة بغية استكمال دراسته الجامعية، فقصد الأزهر الشريف، والتحق بكلية الشريعة.

■ في الأزهر الشريف تتلمذ الذهبي، رحمة الله عليه، على يد نخبة من علماء عصره أمثال: الشيخ محمد مصطفى المراغي وعيسى منون ومحمد زاهد الكوثري ومحمد حبيب الله الشنقيطي ومحمد الخضر حسين ومأمون الشناوي.. وغيرهم.

■ في عام ١٩٣٦م، حصل الشيخ الذهبي على الشهادة العالية من كلية الشريعة، وكان أول الناجحين، ثم تقدم برسالته، التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسية في علم التفسير، تحت عنوان «التفسير والمفسرون» وحصل بها على الدرجة العالمية (الدكتوراه)، في ١٥ فبراير عام ١٩٤٧م، بكلية أصول الدين.

حياته العملية

■ سافر الذهبي، رحمة الله عليه، في كوكبة من علماء الأزهر في أول بعثة إلى مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية للتدريس في دار التوحيد، التي كان يديرها آنذاك الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع - رحمه الله - وصحبه في تلك الفترة (١٩٤٨-١٩٥١م) خيرة الشيوخ أمثال: الشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ محمد نايل (عميد كلية اللغة العربية) والشيخ محمد عبدالوهاب بحيري (صاحب كتاب الحيل في الشريعة الإسلامية) والشيخ محمد أبو زهو (صاحب كتاب الحديث والمحدثون)، ثم ندب إلى التدريس في المدينة المنورة لمدة عام وذلك سنة ١٩٥١م.

■ في عام ١٩٥٢م، عاد إلى القاهرة للعمل بالمعاهد الأزهرية لمدة ثلاثة أعوام، بعدها وفي عام ١٩٥٥م انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة.. وفي العام نفسه انتدب - رحمه الله - للتدريس في العراق في كليتي الحقوق ١٩٥٥م والشريعة ببغداد (١٩٦١ - ١٩٦٣م) وصارت إليه رئاسة قسم الشريعة فيها.

■ وفي العراق تصدر - رحمه الله - للخطابة مرات عديدة في مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وكانت له صداقات مع كبار علماء العراق أمثال: الشيخ كمال الطائي (خطيب مسجد المرادية) والشيخ عبدالله القاضي (قاضي بغداد فيما بعد).

■ وفي عام ١٩٦٣م، عاد إلى مصر، وأسهم في إنشاء كلية البنات الإسلامية والتدريس بها، ثم أُعير في

عام ١٩٦٦م، إلى جامعة الكويت ليعمل فيها أستاذا للتفسير والحديث حتى عام ١٩٧١م.. وفي ١٦ يناير ١٩٧٢م، عاد إلى مصر مجددا واختير أمينا مساعدا لمجمع البحوث الإسلامية، ثم عميدا لكلية أصول الدين في ١٧ سبتمبر ١٩٧٣م، ثم أمينا عاما للمجمع في ١ يونيو ١٩٧٤م.

حقيبة الأوقاف

■ في ١٦ أبريل ١٩٧٥م، وأثناء رحلته إلى العراق لحضور أحد المؤتمرات، فوجئ ـ رحمه الله ـ كما فوجئ الجميع، من وسائل الإعلام بنبأ اختياره وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر، فصار مشرفا على شؤون الدعوة الإسلامية في أعز جبهاتها وأفسح ميادينها وأبر أجنادها الذين تقر بإخلاصهم عين الملة السمحة.

■ كان له ـ رحمه الله ـ في وزارة الأوقاف كلمات صدق وتوجيهات حق وحسن اختيار للدعاة والعمل على أن يكونوا مُثلا عالية وألسنة صادقة وهداة إلى الحق وأعوانا على البر والتقوى ومغاليق للشرور والآثام ونماذج لسماحة الإسلام وعزة الإيمان.

■ وخرج الذهبي من الوزارة في ٩ نوفمبر ١٩٧٦م وظفرت به كلية أصول الدين مرة أخرى أستاذا للتفسير وعلوم القرآن.

مؤلفاته

■ أثرى الشيخ الذهبي المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات النافعة نذكر منها: «التفسير والمفسرون»، و«الوحي والقرآن الكريم»، و«تفسير ابن عربي للقرآن.. حقيقته وخطره»، و«الإسرائيليات في التفسير والحديث»، و«أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع»، و«الشريعة الإسلامية.. دراسة مقارنة بين مذاهب أهل السنة والشيعة»، و«مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها»، و«إعجاز القرآن الكريم»، و«علم التفسير»، و«بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة».. وغيرها.

الفكر يواجه بالفكر

■ تولى الذهبي - رحمه الله - وزارة الأوقاف في فترة وجدت فيها بعض الأفكار المنحرفة مساحة للنمو.. لكن الشيخ رفض التدخل الأمني في هذا الملف الملتهب، مبررا رفضه بالقول: «إنها مهمة رجال الدعوة» وحمل على عاتقه مواجهة تلك الجماعات بالفكر، إذ إن «الفكر يواجه بالفكر وإن هؤلاء شباب حديثو السن وقليلو المعرفة والخبرة، لا يجوز أن نحاربهم، وإنما يتعين أن نهديهم وأن نعلمهم حقيقة الإسلام» (وفق قوله).

خطف الذهبي وقتله.. وجنازته

■ في الثانية من صباح الأحد ٢ يوليو ١٩٧م، انقلبت حالة الصمت والهدوء التي كانت تحيط بمنزل الشيخ في حدائق حلوان فجأة إلى صخب وتوتر، إذ توقفت فجأة سيارتان ونزل منهما ستة شباب مدججين بالأسلحة يرتدي أحدهم زيا أمنيا، واندفع خمسة منهم نحو منزل الشيخ بينما بقي سادسهم يستبدل إطارا تالفا لإحدى السيارتين.. طرق المسلحون الخمسة باب الشيخ واقتادوه بالقوة وفروا هاربين تاركين سادسهم مع سيارته المعطلة فاحتجزه جيران الشيخ وسلموه إلى الأمن.

■ ومع ظهر اليوم التالي لعملية الاختطاف، أعلنت إحدى الجماعات المتطرفة مسؤوليتها وحددت مطالب عدة لكي تفرج عن الشيخ، وعندما لم تتم الاستجابة لمطالبهم قتلوه.. ألقي القبض عليهم بعد ذلك وأعدم خمسة منهم.

■ ٦٢ عاما قضاها الذهبي مع العلم والإصلاح والتعليم والدعوة، حتى لقي ربه شهيدا مظلوما - نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله - شهيد العلم والعلماء شهيد الكلمة والقلم رحمه الله تعالى.. وبعد مقتله أم صلاة الجنازة عليه في الأزهر الشيخ صالح الجعفري (إمام الجامع وخطيبه آنذاك)، وحضر الصلاة عليه الآلاف، وشيعت جنازته في مشهد مهيب، ووري جثمانه الثرى في مدافن الأسرة بالإمام الشافعي.

مساهمته مع «الوعي»

■ للذهبي ١١ مساهمة مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.. دوافعها ودفعها» (ع٧٦)، «القرآن والعلم ١ و٢ و٣» (ع: ٨٨ و٨٩ و٩٠)، «إعجاز القرآن الكريم» (ع٩٤)، «مباحث قرآنية ١ و٢ و٣ و٤» (ع: ١٠١ و١٠٢ و١٠٤ و١٠٥)، «مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها ١ و٢» (ع: ١٥٨ و١٥٩).

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع إسلام ويب.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الفقيه المستنير
الشيخ حسن مأمون

■ فقيه مستنير صاحب جهود إصلاحية مؤثرة ونبوغ وتفوق علمي في أمور الدين والدعوة، قضى معظم حياته الوظيفية قاضيا يستعرض أدلة فقهاء المذاهب الفقهية المختلفة، وكان ذا بصيرة ملهمة في فقه النصوص الشرعية والإلمام بمقاصد التشريع ومعرفة أنماط الفتوى وأسباب تنوعها.

■ مصري الجنسية، قاهري المولد والنشأة، أزهري التعليم.. ولد لبيت من بيوت العلم والسيادة.. فوالده من علماء الدين ذائعي الصيت غزيري العلم كريمي الأخلاق، كان إماما لملكي مصر)فاروق ومن بعده فؤاد)؛ إذ كان إماما لمسجد الفتح بقصر عابدين الذي يؤدي فيه ملك مصر الصلاة.. وقد ورث الابن أباه في العلم والأخلاق والشهرة والتصدر والقيادة والإمامة.

■ بضمير القاضي النزيه، والعالم الخبير، والفقيه الرشيد، عاش حياته في ثبات واتزان، تحفه محبة الناس وتقديرهم؛ عامتهم وخاصتهم.. ورغم قضائه معظم حياته بعيدا عن الأزهر، فإن الأزهريين جميعهم اجتمعوا على حبه وتقديره وتوقيره، إذ كان لا يتعاطى معهم إلا مرتديا عباءة القاضي دون النظر لصفة من أمامه ووصفه؛ فكلهم عنده سواء أمام ميزان الحقوق والواجبات.

■ اشتهر بمكانته العلمية وأخلاقه الحميدة وإلمامه بالمعرفة الفقهية، ما جعل الأنظار تلتفت إليه حتى عين قاضيا لقضاة السودان بمرسوم ملكي صدر في عام ١٩٤١م.

■ كان يجد لذة كبرى في الدراسات الفقهية، تنسيه ما يتعرض له من أمراض وآلام، وحينما أثقلته أعباء الشيخوخة وتناوشته أمراضها، ترك مسؤولياته وتفرغ للعبادة والعلاج.. إنه مفتي الديار المصرية والإمام الأكبر للأزهر الشريف الشيخ الفقيه المستنير حسن مصطفى مأمون.

المولد والنشأة

■ خرج إلى الحياة في أيام هي الأفضل عند الله، إذ ولد مع خواتيم الأيام العشرة الأولى لذي الحجة من عام ١٣١١هـ الموافق لعام ١٨٩٤م، بحي الخليفة في القاهرة.

■ منذ صغره عني والده بتربيته تربية دينية قويمة؛ فحفظ القرآن الكريم وجوده، وفي بداية حياته التحق بالأزهر الشريف ودرس فيه: التفسير، والحديث، والتوحيد، والتصوف، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، والعروض، والمعاني والبيان، والبديع والأدب، والتاريخ، والسيرة النبوية.

■ وفي الأزهر درس على يد كبار مشايخ عصره، الذين وجدوا فيه ذهنًا متفتّحًا، وقريحة متوقّدة، وعقليّة قضائيّة ظهرت بشائرها في بواكير شبابه، وقد آثر دراسة العلوم الفقهيّة، وأحبّه أساتذته وأحبّهم وتنبؤوا له بمستقبلٍ زاهر في القضاء.

■ بعد أن أنهى دراسته الأزهرية اتجه إلى مدرسة القضاء الشرعي، التي كانت غصنا يانعا في دوحة الأزهر الشريف، حرص القائمون عليها على اختيار أفضل الأساتذة المتازين للتدريس بها، وجذبوا إليها صفوة طلاب الأزهر، وقد أقبل الشيخ على الدراسة بها، حتى تخرّج فيها سنة ١٩١٨م.. وكان إلى جانب إتقانه للغة العربية ملما باللغة الفرنسية فجمع بذلك بين الثقافتين العربية والفرنسية.

حياته العملية

■ بعد تخرجه في مدرسة القضاء الشرعي تنقل الشيخ مأمون بين مختلف المحاكم الشرعية بمصر، فعين بداية موظفا بالقضاء الشرعي في محكمة الزقازيق في محرم عام ١٣٣٨هـ، ثم نقل في شوال من العام نفسه إلى محكمة القاهرة الشرعية، وفي رجب من العام التالي تمت ترقيته إلى قاضٍ من الدرجة الثانية ونُقِلَ إلى محكمة طنطا الشرعية.

■ وفي جمادى الآخرة من عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، نقل إلى محكمة مصر الشرعية، ثم تمت ترقيته إلى قاض من الدرجة الأولى في الشهر نفسه، ثم إلى قاض عام أول فبراير عام ١٩٣٩م.

■ شهرته العلمية وفضائله الخلقية ومعارفه الفقهية كانت كفيلة بلفت الأنظار إليه، ولذا فإنه ظل يترقى في القضاء الشرعي حتى صدر مرسوم ملكي بتعيينه قاضيًا لقضاة السودان في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤١م.

■ بعد ٦ سنوات قضاها في السودان عاد إلى القاهرة ليعيين رئيسًا لمحكمة

القاهرة الشرعية الابتدائية، ثم تمت ترقيته إلى عضو في المحكمة الشرعية العليا عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ثم أصبح نائبًا لها في عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ثم عُيِّن رئيسًا للمحكمة الشرعية العليا في عام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

■ لما قربت سن إحالته إلى المعاش قام مجلس الوزراء بمد عمله سنة أخرى بناءً على طلب وزير العدل وذلك للحاجة الماسة إليه.. وفي عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م اقترح وزير العدل على مجلس الوزراء إسناد منصب المفتي إلى فضيلته فوافق المجلس، وتقلد الشيخ منصب المفتي وظل فيه لمدة سنتين اعتبارا من ٨ من رجب ١٣٧٤هـ/ الأول من مارس سنة ١٩٥٥م، إلى أن صدر قرار جمهوري (رقم ٢٤٤٤ لسنة ١٩٦٤م) بتولي فضيلته مشيخة الأزهر.

توليه المشيخة

■ اعتلى الشيخ مأمون كرسي مشيخة الأزهر خلفًا للإمام الشيخ محمود شلتوت، فعمل جاهدًا على إعلاء شأن الأزهر، وإزالة المصاعب التي كانت تعترضُ طريقه وتعوقُ تقدّمه، بعد أنْ صدر القرار الجمهوري في ٢٦ يوليو ١٩٦٤م، وكان القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، الخاص بإصلاح الأزهر قد سار خُطوات في سبيل التنفيذ، فقاد الإمام هذه الحركة الإصلاحية في رفق ولين، وذلّل كثيرًا من العقبات التي اعترضت طريق التطوير، كما سخّر قلمه ولسانه لحركة الإصلاح، وكان ممّن أحبوا الإمام محمد عبده، وآثروا منهجه في البحث والدرس، وطبق هذا المنهج ونفّذه بكلِّ دقة وأمانة.

فقه الإمام

■ فقه الإمام بين يتضح فيما أصدره من فتاوى، وفيما كتبه في الموسوعة الفقهيّة التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة: لا يتقيّد بمذهب معيّن، فهو يلتمسُ الحقيقة أنّى وجدها في أقوال بعض الصحابة أو التابعين، ويؤيِّد رأيه بعد ذلك بالأدلّة عقلاً ونقلاً.

مواقف

■ كان للإمام العديد من المواقف والآراء التي عكست روحه الجهادية والوطنية، وكان دينه أشدّ سلطانًا عليه من متع الدُّنيا ومناصبها الزائلة، فقد حارب الاستعمار في السودان من خلال دروسه وخطبه هناك، ونافح عن الدين واشتد في الرد على من يدعون إلى المذاهب الحديثة، لا سيما من اتخذوا من مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية -يومئذ- منصة للترويج للاشتراكية يخطبون ود مسؤولين، فقام مغضبا وأعلنها مدوية في المؤتمر أن الاشتراكية وغيرها ليست من روح الإسلام مع يقينه بأن تصريحه هذا سيثير غضب المسؤولين، ولكنه كان لا يخشى في لله لومة لائم.

نيابة وأوسمة

■ في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م عين فضيلته عضوا بمجلس الأمة (مجلس الشعب)، كما تولى رئاسة مجلس إدارة مسجد الإمام الشافعي وظل محتفظا بهذا المنصب حتى وفاته..

■ كما منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ومنح اسمه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بعد وفاته عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ م، بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر.

مجهوده العلمي

■ امتلأت حياة الإمام حسن مأمون بالنشاط البحثي والثراء العلمي، ترك خلالها مجموعة من المؤلفات المتنوعة تنوعت بين دراسات وأبحاث فقهية، كما أشرف الإمام على الهيئة العلمية القائمة على تصنيف الموسوعة الفقهية الكبرى التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكتب وراجع بعض موادها الفقهية، وترك ثروة عظيمة من العلم والمعرفة نذكر منها على سبيل المثال: «الفتاوى» (أصدر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجزء الأول منه، وطبعته دار التحرير للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٩، والجزء الثاني لدى أنجال الإمام معد للطبع)، «دراسات وأبحاث فقهية متنوعة» (نشرها الإمام، صدر منها بضعة عشر جزءا)، «السيرة العطرة» (سلسلة أبحاث كتبها الإمام وأذاعها، طبع منها البعض والآخر ما زال مخطوطا)، «الجهاد في الإسلام» (دراسات كتبها الإمام منها تسع مقالات مكتوبة ولكن لم تنشر)، «تفسير موجز لسور: الضحى والانشراح.. والقدر» (لم ينشر).. وغير ذلك الكثير.

مساهمته مع «الوعي»

■ كان لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون مشاركتان مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت الأولى مع إشراقة المجلة الأولى وحملت عنوان: «تحية وتوجيه»، فيما كانت الثانية مع العدد ٢٢ وكانت تحت عنوان: «تحية رمضان».

وفاته

■ في يوم ٢٧ من ربيع الثاني ١٣٩٣هـ الموافق ٢٩ من مايو ١٩٧٣ لبى الإمام حسن مأمون نداء ربه، ووافته المنية بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال.

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- دار الإفتاء المصرية.
- الأزهر في ألف عام.
- موقع معرفة.

هشام الصباغ
باحث لغوي

الآمدي شيخ خطاطي القرن العشرين
حامد الآمدي

«لما بلغت ما بلغت حمدت الله وسميت نفسي حامدا»

■ ذاع صيته وبلغت شهرته الآفاق.. جل وقته وحياته كرسه في خدمة فن الخط العربي؛ أسمى الفنون الإسلامية وأقدسها؛ فقصده طالبو تعلم كتابته من مختلف دول العالم للأخذ منه وتعلم مهارات الخط وجماله وزخرفته على يديه.

■ من يعرفه ويعلم فضله على الخط العربي وغزارة التراث الذي خلفه.. يعلم يقينا أن ترجمة بسيطة كهذه لن توفيه بعض حقه؛ فهو أحد عباقرة الخط العربي الذين ارتقوا به إلى السمو في القرن العشرين، حتى غدا شيخ الخطاطين المبدعين، ومقصد الطلبة والمتذوقين.

■ أبهر في كل الخطوط التي مارسها، ولم يبدع في خط دون آخر.. وعينه عدسة فنية دقيقة تلتقط ما ترى.. ويده بارعة في رسم الانعكاسات الشعاعية وعلى حقيقتها.. استطاع أن ينمي ملكته الفطرية بنفسه، ويقيم توازنا بين يده وبصره بشكل منسق إلى أبعد حدود التنسيق.

■ موهبته فذة، قدم أعمالا رائعة في فن الخط تشهد على عبقريته.. وفي حياته كتب المصحف الشريف بخط يده (وهو أثره الكبير الخالد) فطبع ونشر.. وهذا شرف وفخار لم يحظ بهما إلا عدد يسير من الخطاطين.

■ رغم تحول اللغة الرسمية في بلده عن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ما ألقى بثقله على ظروفه الاقتصادية وجعلها أكثر صعوبة، فإنه ظل يؤدي رسالته المقدسة بكل حب.. رسالة المحافظة على الحرف العربي بجماله وإبداعه.. إنه شيخ الخطاطين في القرن العشرين موسى عزمي (أو حامد آيتاش الآمدي).

النشأة والتعليم

■ في قرية اسمها «آمد» بالقرب من مدينة ديار بكر في تركيا ولد موسى عزمي، الملقب بـ«حامد آيتاش آمدي» عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٩١م، لأب كان يعمل قصابا، وجد لوالده خطاطا يدعى «آدم الآمدي».

■ في بداية حياته ألحقه والده بكتاب الصبيان في مسجد «أولو» بقريته، وفيه تعلم القراءة والكتابة، ولفت الأنظار إليه بشغفه بالرسم وحب دروس الخط، حيث بدأ بالكتابة والتخطيط بقلم الخط (القصبة) وعمره لم يتجاوز تسع سنوات.

■ بعد انتهائه من الكتاب انتقل إلى المدرسة الرشيدية العسكرية (المرحلة الإعدادية في مدارس اليوم) في ديار بكر، وفيها تعلم خط الرقعة على يد أستاذه وحيد أفندي، و«الثلث» على يد أستاذه أحمد حلمي بك (معلم الرسم وضابط الجاندرما)، كما تعلم منهما خطوط اللغتين اللاتينية والرومانية.

■ في عام ١٩٠٦م، أنهى حامد الإعدادية، واتجه إلى إسطنبول لدراسة القانون في مدرسة القضاة (كلية الحقوق)، لكن هدفه الأساسي كان الوصول إلى مركز الخط (إسطنبول)، حيث كبار الخطاطين وروائع الأعمال الخطية المنتشرة في مساجد ومقابر وطرقات عاصمة الدولة العثمانية.

■ لم تمكث دراسته القانون إلا عاما واحدا؛ ترك بعدها «القضاة» والتحق بمدرسة الصنايع النفيسة (أكاديمية الفنون الجميلة الآن)، بمعاونة أستاذه مدحت بك بعد أن لاحظ موهبته الرائعة في الخط.

محنة تدشن حياته العملية

■ أثناء دراسته في «الفنون الجميلة» توفي والده مصدر دعمه المالي الوحيد (١٩٠٨م)، ما اضطره إلى ترك الأكاديمية والبحث عن وظيفة يعتاش منها، فعمل بأشياء بسيطة إلى أن أعلنت وزارة المعارف العثمانية عن حاجتها إلى مدرس للخط، فدخل حامد الامتحان وتفوق فيه لكنه لم يعين نظرا لصغر سنه آنذاك (١٨ سنة) عن السن القانونية، غير أن موهبته وقدراته أثارت إعجاب المسؤولين الذين قاموا بتعيينه للاستفادة من ملكاته العظيمة.

■ عمل مدرسا لعام واحد، وانتقل بعدها إلى العمل في مديرية مطبعة الرسومات لعام أيضا، ثم تم تعيينه في مطبعة المدرسة العسكرية، ومنها انتقل للعمل لسبع سنوات بمطبعة أركان الحرب العثمانية.. وفي هذه الأثناء استأجر مكتبا صغيرا لأعمال الخط والزنكوغراف بعد الانتهاء من ساعات عمله في المطبعة، وكان

القانون وقتها يحظر على الموظف العام الاشتغال بعمل آخر غير وظيفته الرسمية، فما كان منه إلا أن عمل تحت اسم مستعار (حامد الآمدي).

■ لمع اسم حامد وازدادت شهرته، ما أدى إلى اكتشاف أمره فحوكم واستقال من عمله الرسمي.. ولأن اسم حامد قد جلب الشهرة له، فقد توجه إلى الجهات الرسمية ليغيره من «موسى عزمي» إلى «حامد»، وعن سبب اختياره اسم «حامد» تحديدا يقول: «لما تفتحت موهبتي باكرا وعرفت من زملائي الخطاطين ومن باقي معجبي فن الخط أن لي إبداعا مميزا ومهارة واضحة.. حمدت الله على هذه النعمة وسعيت إلى أن أسمي نفسي حامدا».

محنة التحول إلى «اللاتيني»

■ في عام ١٩٢٦ م، تحولت تركيا عن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ما كان له وقع سلبي على الآمدي أثر في مستوييه الفني والاقتصادي بشكل كبير، وجعله يبحث عن وسيلة أخرى لكسب العيش، فتعلم فن الطباعة وممارسة الحرف اللاتيني، وحول مكتبه إلى مشغل لعمل الحفر على الكليشهات، وكتابة الخطوط بالحروف التركية الحديثة (اللاتينية).. واقتصر عمله في الخط العربي على اللوحات التي كانت تطلب منه، مثل كتابة البطاقات الشخصية لبعض المشاهير، وعلى خطوط المساجد، بالإضافة إلى تعليم الكثير من التلاميذ الوافدين عليه من داخل تركيا وخارجها.

أسلوبه في التعليم

■ «رب يسر ولا تعسر» دعاء يتبارك به الآمدي.. كان يبدأ به مع من يريدون تعلم الخط، يستغرقون في تعلم كتابته ٦ أشهر كاملة، يتابعهم عن كثب ليعلم خلالها أيهم أصبر على تعلم جمال الخط.. فإذا صبر الطالب وأثبت قدراته كان يعلمه كتابة الحروف الهجائية ويصحح له أسفل الحرف، ثم كتابة الألفية وتقليد بعض الآيات القرآنية كواجب منزلي بعدها تنتهي الدروس ويمنح الطالب الإجازة في الخط.

ليرة ذهبية.. ومتحف المدرسة

■ عشق حامد الخطوط العربية وشغف بها وكان نتيجة هيمانه بها رسوبه في عامه الأول في «الرشيدية»؛ فمنعه والده من مزاولة الخط وطالبه بالالتفات إلى دروسه.. لكن حامد كان قد تعاون مع أحد معلميه الخطاطين في كتابة لوحة على قطعة قماش تحمل عبارة «يحيا السلطان» بمناسبة عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني على العرش، فضلا عن محاولته كتابة طغراء السلطان، ما دفع المسؤولين في ديار بكر إلى منحه ليرة ذهبية مكافأة له، فطار بها فرحا إلى والده ليخبره، فشرح صدر والده، وسامحه وأذن له في معاودة مزاولة فنه.

■ وكما عشق الآمدي الخطوط العربية أحب الرسم وبرع فيه، حتى أنه قلد في «الرشيدية» خريطة في أطلس مدرسي بدقة متناهية، ما أثار إعجاب أستاذه في الجغرافيا ودفعه إلى إيداعها متحف المدرسة.

أهم أعماله

■ أعماله الفنية يصعب إحصاؤها، لكن أهمه: كتابة القرآن الكريم مرتين: إحداهما طبعت في تركيا والأخرى في ألمانيا، والنسختان تعدان من روائع المصاحف التي طبعت في العالم.. كما خط الآمدي طغراء السلطان عبدالحميد الثاني (سلطان الدولة العثمانية)، وطغراء الملك فيصل (ملك السعودية)، وطغراء رضا شاه بهلوي (شاه إيران).. كما كتب خطوط أربعين حديثا نبويا وكثيرا من كتب تعليم الخط والآلاف من الكتابات الإسلامية والمدائح النبوية والأشعار المختلفة بالإضافة إلى عناوين كتب كثيرة وشواهد قبور.. وغيرها.

مساهمته مع «الوعي»

■ للآمدي العديد من المشاركات مع «الوعي الإسلامي»، إذ لم يكن لمثل هذا العلم ألا تخفى روائعه عن قراء المجلة التي سارعت إلى نشر لوحاته ورسوماته عبر كثير من أعدادها التي يصعب حصرها في هذه الترجمة البسيطة.

وفاته

■ تدهورت صحة الآمدي في أواخر أيامه، فرقد في مستشفى «نمونة» في إسطنبول لسنة ونصف السنة، حتى أغمض عينيه وفاضت روحه إلى بارئها يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٤٠٢هـ/ ١٨ مايو ١٩٨٢م، وصلي عليه في جامع «شيشلي»، الذي كان حامد يفخر دائما بخط آياته القرآنية.. وتنفيذا لوصيته دفن بجوار شيخ الخطاطين حمد الله الأماسي أفندي في مقبرة أبي أيوب الأنصاري.. وبوفاته فقد العالمين العربي والإسلامي آخر عباقرة الخط العربي في تركيا.

المصادر والمراجع

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع إطار فني (أ. غازي انعيم).
- موقع القافلة (أ. علي سعيد البيك).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

سلفه النمر.. وخلفه جاد الحق

الدكتور الوزير زكريا البري

■ علامة متميز، وشخصية ثرية متعددة المواهب متنوعة العطاء، وعلم من أعلام الإصلاح، وأستاذ من أساتذة الشريعة.

■ أحد أساتذة الشريعة البارزين في المجتمع والحياة الأكاديمية المصرية، وقد تولى هذه الأستاذية في أهم جامعتين عربيتين في وقت ما وهما جامعة القاهرة وجامعة الكويت (الناشئة بسمعتها العالية)، كما تولى الأستاذية في «السوربون» وجامعات أخرى قدر لها أن تحتل بعد قليل مكانة مرموقة بين الجامعات العربية ومنها جامعة قطر.

■ سخر قلمه لخدمة الإسلام وثقافته وحضارته ودعوته، وهو مدافع صنديد عن الشريعة، وهمته عالية بالعلم والتعليم، وانشغاله دائم بأوضاع الإسلام والمسلمين ومحاولة النهوض بهم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

■ يؤكد أن المساواة في مفهوم الدين الإسلامي تفترض المساواة في الحقوق والواجبات بين الجميع، وسيادة القانون، والعدل في الحكم بينهم.. كما أن عدالة الإسلام لا تفرق بين قريب وبعيد، وهي مبعث الاطمئنان والثقة والحب الإنساني، وميزان العدل الإسلامي مبني على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ (النساء:٥٨).

■ الحقوق في الإسلام لديه واجبة التطبيق؛ «لأنها ليست مجرد أفكار نشجع الناس على العمل بها، بل هي جزء من العقيدة وهي وحدة متكاملة مبنية على العدالة والحرية والاحترام، ترفض استعباد الشعوب والدول بعضها لبعض على أساس عنصري أو مذهبي، ذلك لأن الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية عظيمة شاملة».. إنه الأستاذ الدكتور زكريا البري.

المولد والتكوين العلمي

■ في العاشر من أبريل عام ١٩٢١م، وفي محافظة البحيرة بدلتا مصر، ولد الأستاذ الدكتور زكريا أحمد مبروك البري، أحد أبرز علماء الشريعة والدعوة الإسلامية في القرن العشرين، لعائلة طيبة متدينة مهتمة بالثقافة والتعليم.

■ في بداية حياته العلمية التحق بحاضنة التعليم الأولي في ذلك الزمان (الكُتّاب)؛ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة انتقل للدراسة في الأزهر الشريف، حيث حصل على الشهادة «العالية» من كلية الشريعة، كما نال الشهادة «العالمية» مع الإجازة في القضاء الشرعي من كلية الشريعة أيضا.

■ وعلى مستويات متوازية واصل دراساته، فنال أيضا الشهادة «العالمية» والإجازة في التدريس من كلية اللغة العربية، كما دفعه طموحه ونهمه العلمي إلى مواصلة الدراسة في المنفذ الوحيد الذي ظل مفتوحا أمام الأزهريين في معهد الدراسات العربية العليا (التابع لجامعة الدول العربية والذي كان الأستاذ الشيخ علي الخفيف يرأس قسم الدراسات القانونية والإسلامية فيه)، ونال درجة «الدبلوم العالية» منه.. وبهذه الشهادات أصبح الدكتور زكريا البري مؤهلا لوظائف الإفتاء والقضاء والتدريس أيضا.

حياته العملية

■ في بداية حياته العملية عين الدكتور زكريا البري موظفا في المحاكم الشرعية، ثم انتقل للتدريس في الجامع الأزهر.. وعند إنشاء مجمع البحوث الإسلامية انتدب أمينا للفتوى فيه، وأمينا لتحرير مجلته.. كما اختير مدرسا للشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم تدرج في وظائف هيئة التدريس حتى أصبح أستاذا لكرسي الشريعة الإسلامية بها، ثم رئيسا لقسم الشريعة في جامعة القاهرة.

١٠ جامعات.. ووزارة

■ أشرف الدكتور زكريا البري على الدراسات العليا في أقسام الشريعة في ٤ جامعات مصرية هي: جامعة المنصورة، وجامعة الزقازيق، وفرع جامعة القاهرة في بني سويف، وفي أكاديمية الشرطة، والمعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي كان يرأس مجلس إدارته الشيخ أحمد حسن

الباقوري.

■ أما في خارج مصر فقد امتدت أستاذيته إلى ست جامعات مرموقة هي: جامعة الكويت (أربع سنوات)، وجامعة السوربون، وجامعة قطر، وجامعة الخرطوم، ووجامعة أم درمان، وجامعة صنعاء.

■ اختير الدكتور زكريا البري وزيرا للأوقاف في مايو ١٩٨٠م، خلفا للدكتور عبدالمنعم النمر، وظل وزيرا للأوقاف حتى خلفه الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، كما اختير أيضا عضوا في مجلس الشورى، وعضوا في مجلس الشعب.

الرقابة الشرعية على المصارف

■ مع ازدهار التوجه نحو الصيرفة الإسلامية اختير الدكتور زكريا البري عضوا في الهيئة العليا والفتوى للرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك التي تعمل وفق الشريعة الإسلامية.

■ وعلى مستوى المجامع العلمية والمجالس العليا اختير الدكتور زكريا البري عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وعضوا في مجلس جامعة الأزهر، كما عمل بحكم منصبه رئيسا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

من آرائه وأقواله

■ «يزعم خصوم الإسلام أنه لا يراعي حقوق الإنسان، ولا يلزم أتباعه باحترامها، وأن الأمم الأخرى سبقت المسلمين كثيرا في هذا المجال.. بينما سبق الإسلام مواثيق البشرية كلها بإقرار حقوق الإنسان منذ نحو خمسة عشر قرنا من الزمان، خصوصا الحق في الحياة، وحق الكرامة، والحق في العدل، وحق الحرية، والحق في المساواة، وحق الاعتقاد، والحق في التعليم.. وغيرها».

■ «أهم أهداف الشريعة الإسلامية هو تحرير الإنسان، ورفع شأنه، وتوفير أسباب العزة والكرامة والشرف له، وإن الحرية حق أساسي له الصدارة والأصالة بالنسبة إلى غيره من الحقوق، حيث تتفرع عنه حقوق مهمة أخرى، منها: الحرية الدينية التي تقتضي أن يكون لكل إنسان اختيار كامل للعقيدة التي يعتنقها ويؤمن بها من غير ضغط ولا إكراه خارجي».

الحرية لدى البري

■ «العقل خاصة الإنسان وامتيازه وشرفه، وهو مناط التكليف والخطاب الإلهي، فبالعقل كان الإنسان إنسانا، وكان امتيازه وتفضيله على غيره.. وللعقل في الإسلام منزلة كبرى، ودرجة رفيعة، حتى إننا لا نجد عقيدة تحترم العقل الإنساني وتعتمد عليه كالعقيدة الإسلامية، كما أننا لا نجد كتابا مقدسا خاطب العقل، وأبرز مكانته الكبرى بمثل ما فعل القرآن الكريم.. والعقل والنقل في ميدان النظر والبحث والتفكير صنوان لا يفترقان، ولا يستغني أحدهما عن الآخر».

■ «يجب أن يكون للإنسان حرية التصرف في أموره الشخصية والمالية، كما يجب أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة وطنه في الداخل والخارج، وفي إدارته ومراقبة سلطته التنفيذية. ويتبين موقف الإسلام وحرصه عليها حين نجده يرسي دعائم الحكم على أساس من الشورى والحرية السياسية لجميع المسلمين، فيأمر الله تعالى بها رسوله ﷺ حين قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)».

مجهوده العلمي

■ خلف الأستاذ زكريا البري تراثا فكريا وعلميا كبيرا في مجالي اللغة والفقه الإسلامي، إذ كان له نشاط بحثي وعلمي واسع، وترك مجموعة مؤلفات علمية ومعرفية متنوعة نذكر منها على سبيل المثال: «أصول الفقه الإسلامي»، «الفقه الإسلامي: أطواره في الماضي والحاضر والمستقبل»، «الوسيط في أحكام التركات»، «المواريث»، «من حقوق الإنسان في الإسلام» و«حقوق الأولاد في الإسلام».. وغير ذلك كثير.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور زكريا البري ٦ مشاركات مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الفقه الإسلامي في ماضيه وحاضره ١ و٢ و٣» (ع:٤٠ و٤٢ و٤٤)؛ «سؤال وجواب عن القضية الفلسطينية» (ع:٥٤)، «ملابس النساء» (ع:٦١)، «الوقاية هي العلاج» (ع:٧٧).

وفاته

■ انتقل المفكر الكبير الأستاذ «الدكتور زكريا البري » رحمه الله، إلى جوار ربه سنة ١٩٩١م، عن عمر يناهز ٧٠ عاما، قضى جله منافحا عن الإسلام وفكره وأدبه ولغته العربية، مقاتلا من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية ورد الشبهات الباطلة والأقاويل المضللة وحملات التغريب والغزو الفكري.

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع الجزيرة (الدكتور محمد الجوادي).
- موقع الاثنينية.

هشام الصباغ
باحث لغوي

موسوعة بشرية إسلامية
المفكر أنور الجندي

■ مفكر وعالم وكاتب وأديب وباحث متجرد لفكره، عاش أكثر من ثمانين عاما، قضى معظمها منافحا عن الإسلام وفكره وأدبه ولغته العربية.. بعيدا في ذلك كله غاية البعد عن مجالات الشهرة والبحث عن النجومية، أو إحداث دوي كأنما هو زاهد أو راهب في صومعة لا يتطلع إلى شيء في هذه الحياة، سوى أمر واحد هو أن يقول كلمته.

■ باكرا؛ وهو دون الثامنة عشرة من عمره، وبلا مرور بأطوار الكتاب والباحثين والمؤلفين المختلفة، بدأت رحلته مع التأليف والتصنيف.. وللعجب جاءت بدايته ناضجة فكريا ومكتملة الرؤية، تملؤه ثقة من أدواته البحثية وعدته العلمية، ريانا من ثقافته العربية والإسلامية الأصيلة التي قوامها مزيج من دراسات الأدب والعلوم والفقه والتاريخ والسنة والشرائع والقرآن الكريم.

■ امتلك قدرة عجيبة على التأليف الموسوعي والمعجمي، وإعداد الكتب الضخمة الممتدة التي تتناول جزئيات كثيرة، وفروعا شتى.. وأسلوبه في الكتابة سهلا واضحا مشرقا يميل إلى التبسيط وتقريب الثقافة العامة لجمهور المتعاملين دون تقعر أو تفيهق أو جنوح إلى الإغراب والتعقيد..

■ صوب قلمه نحو قضايا عصره، وواجه تحديات الغزو الفكري ورياح المذاهب والنظريات والفلسفات المادية، موقنا بانتصار كتيبة الحق على كتائب الباطل.. فآتت كتبه أكلها في تثقيف الشباب المسلم وتحصينه من الهجمات الثقافية الغربية المادية والعلمانية التي لا ترضى إلا بان تقتلعهم من جذورهم وأصالتهم.

■ يقال إن لكل امرئ من اسمه نصيبا؛ وبالفعل كانت رسالته، مذ أمسك بقلمه «نورا» للأمة؛ يردها به إلى نور الحق أصل كل نور، و«تنويرا» يقاوم به تغريبها ويدفع عنها غزوا فكريا يريد سلخها من جلدها، ويحاول تغيير وجهتها، وتبديل هويتها، وإلغاء صبغتها الربانية.. كما أنه وقف «جنديا» بالمرصاد لكل دعاة التغريب، يكشف زيفهم، ويهتك سترهم، وإن بلغوا من المكانة ما بلغوا.. ولم يجر خلف بريق الشهرة، ولم يسع لكسب المال والثروة، أو الجاه والمنزلة، وإنما كان أكبر همه أن يعمل في هدوء، وأن ينتج في صمت.. نعم هكذا هي حياة المفكر الأديب والكاتب الكبير والمدافع العتيد والموسوعي الإسلامي أنور الجندي.

المولد والنشأة

■ في صعيد مصر، وعلى ضفاف النيل، ولعائلة عريقة عرفت بالعلم؛ ولد أحمد أنور سيد أحمد الجندي عام ١٩١٧م، في قرية «النخيلة» إحدى قرى مركز «ديروط» بمحافظة أسيوط، وهي واحدة من أجمل بلاد الصعيد، حيث تسقيها ثلاثة روافد للنيل هي: الإبراهيمية وبحر يوسف والدلجاوي، وهي المنطقة التي شهدت مولد شاعر عظيم في وقت معاصر لأنور الجندي، هو شاعر الكوخ محمود حسن إسماعيل.

■ في سن صغيرة حفظ أنور القرآن الكريم كاملا في كتّاب القرية، ثم تدرج في مراحل تعليمية متتابعة، إلى أن أنهى دراسة التجارة بالمرحلة التعليمية المتوسطة، بعدها التحق بوظيفة في بنك مصر، لكن شغفه العلمي لم يتوقف، فواصل دراسته أثناء عمله، حيث التحق بالجامعة الأميركية في الفترة المسائية ودرس الاقتصاد وإدارة الأعمال، إلى أن تخرج فيها مجيدا للغة الإنجليزية التي درسها خصيصا ليستطيع متابعة ما يثار من شبهات حول الإسلام من الشرق والغرب ويقوم بالرد السديد عليها، ومنها اتجه إلى العمل الحكومي خلال عشر سنين، ثم انتقل بعد ذلك إلى الصحافة.

تكوينه الفكري والعلمي

■ رحلة التكوين الفكري والعلمي لدى أنور الجندي كانت جهدا ذاتيا في جانبها الرئيسي، بحيث يمكن القول إنه ثقف نفسه بنفسه إلى حد كبير، فالرجل كان موسوعيا في المطالعة والتحصيل، ويكفي أن نذكر سطورا من كلماته تدلل على ذلك، يقول رحمه الله: «قرأت بطاقات دار الكتب، وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيت في كراريس بعض أسمائها.. راجعت فهارس المجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمشرق والمنار والرسالة والثقافة، وأحصيت منها بعض رؤوس موضوعات.. راجعت جريدة الأهرام على مدى عشرين عاما.. وراجعت

المقطم والمؤيد واللواء والبلاغ والجهاد.. وغيرها من الصحف، وعشرات من المجلات العديدة والدوريات التي عرفتها في بلادنا في خلال هذا القرن، كل ذلك من أجل تقدير موقف القدرة على التعرف على موضوع معين في وقت ما».

■ منذ بدأ عمله في مجال الصحافة رسم لنفسه مخططا يهدف إلى تقديم خطة كاملة لمقاومة التغريب والغزو الثقافي، ثم اتجه بعد ذلك إلى العمل في مجال أسلمة العلوم والمناهج وتأصيل الفكر الإسلامي وبناء البدائل الإسلامية، وأوقف عمره لنصرة الإسلام، فوقف على أخطر الثغور التي ولج منها الأعداء إلى ديار المسلمين وعقولهم.. ألا وهو ثغر الغزو الفكري.. فكان نعم الحارس الأمين.

١٩٤٠م

■ يشكل عام ١٩٤٠م علامة فارقة في حياة الأستاذ أنور الجندي، ففيه قرأ ملخصا عن كتاب «وجهة الإسلام» لمجموعة من المستشرقين، ولفتت نظره مؤامرة التغريب، ما كان له أثر كبير في تحول حياته من هادئة ناعمة إلى حياة جهاد بالكلمة، وهو يصف ذلك بقوله: «وبدأت أقف في الصف: قلمي عدتي وسلاحي من أجل مقاومة النفوذ الفكري الأجنبي والغزو الثقافي، غير أني لم أتبين الطريق فورا، وكان عليّ أن أخوض في بحر لجي ثلاثين عاما.. كانت وجهتي الأدب، ولكني كنت لا أنسى ذلك الشيء الخفي الذي يتحرك في الأعماق.. هذه الدعوة التغريبية في مدها وجزرها، في تحولها وتطورها».

■ فأخذ يبحث عن هذه المخططات (الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي) والتغريب، ويتجه نحو قضية كبرى هي تصحيح المفاهيم: «فأمضيت عشر سنوات كاملة بين أضابير دار الكتب.. فقد كان ضروريا أن أعرف جذور العملية ممثلة في الصحافة التي كانت تُعايش ذلك العصر منذ الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م.. وإلى ذلك اليوم كانت أعمالي قائمة أساسا على التعريف بعظمة الإسلام وتاريخه وتراثه وتقديم صورة الأمة الإسلامية في مجال عظمة تاريخها وأمجادها».

إسهاماته

■ كان للجندي موقع محدد بدار الكتب لا يغيب عنه إلا لضرورة، فقد كان باحثا دؤوبا وذا همة عالية، وبدأ الجندي بميدان الأدب، أكثر الميادين غزوا وقتذاك وأعلاها صوتا وأوسعها انتشارا، وبلغ اختراقه حدا كبيرا، فواجه قمم هذا الميدان، مثل طه حسين والعقاد ولطفي السيد وسلامة موسى وجورجي زيدان والحكيم.. وغيرهم، وأقام الموازين العادلة لمحاكمة هؤلاء في ميزان الإسلام وصحة الفكرة الإسلامية، فأخرج عشرات الكتب من العيار الفكري الثقيل مثل: «أضواء على الأدب العربي المعاصر»، و«الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع والحرية»، و«أخطاء المنهج الغربي الوافد»، و«إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام»، خص منها طه حسين وحده بكتابين كبيرين، هما: «طه حسين وحياته في ميزان الإسلام»، و«محاكمة فكر طه حسين»؛ ذلك لأن الجندي كان يرى أن طه حسين هو قمة أطروحة التغريب، وأقوى معاقلها، ولذلك كان توجيه ضربة قوية إليه هو قمة الأعمال المحررة للفكر الإسلامي من التبعية، وخلال ذلك كان يتحرى الدقة والإنصاف، فقد جاءت كتاباته الرصينة منصفة في الوقت نفسه لأصحاب الفكرة الإسلامية الصحيحة من أمثال مصطفى صادق الرافعي وعلي أحمد باكثير والسحار وكيلاني وتيمور.. وغيرهم من أصحاب الفكر المعتدل والأدب الملتزم.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ أنور الجندي عشر مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «تساؤلات الشباب، ع١٢٨»، و«لنتحرك من داخل قيمنا ومفاهيمنا، ع١٢٩»، و«الشريعة الإسلامية والمؤتمرات الاستعمارية، ع١٥٠»، و«الفلسفة الصهيونية مخطط ضد الإسلام، ع١٧٠»، و«رياح السموم في أفق المجتمع الإسلامي، ع١٧٥»، و«الرافعي ودفاعه عن الإسلام، ع١٧٨»، و«أهل القرن الخامس عشر الهجري، ع١٨١»، «في قضية الاقتباس من الغرب، ع١٩٤»، و«الفكر الإسلامي والمنهج الرباني والفلسفة، ع٢١٥»، و«على أبواب قرن جديد، ع٢٥٧».

وفاته

■ في مساء الاثنين ١٣ ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٨ يناير ٢٠٠٢م، انتقل إلى جوار ربه المفكر الكبير الأستاذ أنور الجندي عن عمر يناهز ٨٥ عاما، قضى منها في حقل الفكر الإسلامي قرابة ٧٠ عاما، يقاتل من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية الأصيلة ورد الشبهات الباطلة والأقاويل المضللة وحملات التغريب والغزو الفكري.

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع الجزيرة (حلمي القاعود).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «رؤية بيديا».
- موقع «ديوان العرب».
- المكتبة الشاملة.

هشام الصباغ
باحث لغوي

مفكر وأديب وشُرطي

الشاعر حسن فتح الباب

■ عملاق في شعره، لم يتوقف فقط عند الشعر العربي التقليدي الذي اعتدناه، بل انطلق بكل قوة إلى عالم الشعر الحر، وكتب القصيدة العمودية الرومانسية -في ذلك الوقت- شأن أبناء جيله من شعراء الخمسينيات؛ فكان مجددا بكل معنى الكلمة، حتى وصف بأنه من أهم رواد الشعر الحر ومن مؤسسيه.

■ شخصية متعددة المواهب، فلم يكن شاعرا فقط، ولم يكن ناقدا فقط، أو باحثا في القانون الدولي فقط، أو باحثا استراتيجيا فقط، بل كان كل ذلك معا بقوة وفهم عميق، وكان أستاذا فيها جميعا.. كما أتقن عدة لغات؛ أبرزها الإنجليزية والفرنسية، ما أهله للولوج في الثقافة الغربية، التي هضم منها ما يفيد بيئته.

■ كثيرون كتبوا عن شعره وأجمعوا على أنه لم يتجمد عند مرحلة بعينها، بل ظل يتطور عبر الزمن.. وكتاباته صورة تعكس الواقع كما يراه هو؛ يلتمس العبرة من أحداثه، من دون أن يوقع القارئ في شراك اليأس، بل يدعوه للتطلع إلى غد أكثر حرية وعدلا وجمالا رغم عثرات الطريق، والإيمان بأن أشعة الفجر تنبثق دائما من رحم الظلمات، وأن أجمل الأيام ما لم يأت بعد.

■ رغب في أن يقدم صورة عن حياته للجيل الجديد، وأرادها صورة صريحة بلا رتوش، فكتب عن نفسه، وعرّى ذاته، ولم يكتم زلاته ومعايبه، واعترف بها جميعا؛ مبررا: «فلعلهم يجدون فيها ما يحثهم على الصدق مع النفس ومع الآخرين؛ فإن لم تكن سيرة الحياة ترجمة أمينة فأولى بصاحبها أن يعفينا من عناء قراءتها؛ فالاعتراف نوع من البوح الصادق، وهو أحرى بالأديب ليكسب خبرته الآخرين. أما السياسي الذي يدون مذكراته فإنه عادة يضخم حسناته أو يبرر أخطاءه، هذا إذا امتلك شجاعة الإفضاء بها.. وهكذا أردت أن أقول ما يقال وما لا يقال».

■ حياته كانت ممتلئة بالأحداث المثيرة؛ قاسية أحيانا، وحالمة في بعض جوانبها.. لكن بوصلته كانت دائما الإنسان، فله عنده مقام عظيم، نلمسه في شعره، فنجده يتغنى فيه لأبنائه وأحفاده وكل من ترك بصمة في حياته أو حياة الوطن.

■ يرى أن الشاعر إذا فقد براءة الطفولة فالأجدى به أن يترك الشعر لأن وظيفته تصوير وقائع مضيئة في الحياة البشرية بدرجة واضحة تبلغ قلب المتلقي وتثير فيه أنبل العواطف وأجمل الرؤى.

■ كانت حياته ثرية بالأحداث المرتكزة على المعرفة والعلم القائم على التطور النابع من القواعد التاريخية الصادقة والرؤية المستقبلية الثاقبة.. وكان للصورة موقع فعال في هذه الأحداث تجسد من خلالها خطوات مهمة توضح معالم المستقبل والحاضر والماضي.

■ رغم حصوله على ليسانس الحقوق، ثم ماجستير العلوم السياسية، فدكتوراه القانون الدولي، وعمله ضابط شرطة، فإنه

لم يترك الشعر، الذي لازمه دائما، وكان معه في كل عمل ومكان وجد فيه، ولذا حفر بإبداعه الجمال والخلود والتميز في تاريخ الأدب العربي المعاصر.. إنه الدكتور الأديب والشاعر اللواء حسن فتح الباب.

نشأته

■ ينتمي إلى عائلة صوفية مغربية؛ فجده العالم الصوفي علي الحافي، المدفون ببلدة «منسافيس» بأبي قرقاص في محافظة المنيا بصعيد مصر.. والعائلة كلها تنتمي إلى قبيلة بنى حرام بالجزيرة.

■ هاجر أبوه (فتح الباب حسن) من قريته «منسافيس»، إلى القاهرة، حيث التحق بالأزهر الشريف، وسكن في حي شبرا العريق، الذي يعد صورة مصغرة لمصر في إيجابياتها وسلبياتها، وفي حارة «المجدلي» منه وُلد شاعرنا في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٣م.

■ توفي أبوه وهو في مقتبل العمر، فعاش اليتم منذ سن الثامنة، وكفله جده لأمه، وكان قاسيا في معاملته، فأراد حسن إثبات قدرته على إعالة نفسه وإخوته وأمه، فطلب من معلمه الأول (أحمد أفندي يوسف) أن يتوسط له للعمل في مكتبة بشارع عبدالعزيز في ميدان العتبة بالقاهرة، واتفق مع صاحبها على ٣ جنيهات راتبا شهريا، غير أنه أعطاه جنيهين ونصف الجنيه، فبدأ وتر مجابهة الذل والظلم يشتد في قيثارته الشعرية، عازفا لحن المقاومة الذي لم يقتصر على صاحب المكتبة فقط بل شمل المستعمر الغاصب والحاكم القاهر لشعبه وأنواع المظالم كلها.

حياته العملية

■ واصل الشاعر حسن فتح الباب رحلته التعليمية حتى حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٧م، وماجستير العلوم السياسية عام ١٩٦٠م، والدكتوراه في القانون الدولي عام ١٩٧٦م، من جامعة القاهرة، ثم أوفد إلى الخارج في بعثات دراسية. وقد عمل بعد تخرجه في سلك الشرطة، وكان آخر المناصب التي تقلدها مدير القضاء العسكري في وزارة الداخلية ثم تقاعد ليخلو لإبداعه ويتفرغ له.

■ بدأ فتح الباب مسيرته الشعرية والأدبية في الأربعينيات، ونشر إنتاجه في معظم المجلات والصحف والإذاعات المصرية والعربية، كما اختير للتحكيم في كثير من المسابقات الشعرية بصفته من كبار النقاد، إذ بدأ مسيرته النقدية في الستينيات وصدر له أكثر من ثمانية كتب نقدية ما بين مصر وتونس ولبنان.

.. الجزائر وفتح الباب

■ شغلته الجزائر؛ بلد المليون شهيد وبلد الثورة، وأحوالها وأخبار مقاومتها للاستعمار منذ الخمسينيات، وبدأ عشقه لها، وبمجرد تقاعده من الشرطة برتبة لواء عام ١٩٧٦م، انتقل إليها، حيث عمل أستاذا للقانون الدولي والعلوم السياسية بكلية الحقوق في جامعة وهران، وأسهم بمحاضراته وكتاباته وشعره خلال فترة عمله في الجزائر في حركة التعريب وفي النهضة الثقافية والأدبية، واختير عضوا منتسبا في اتحاد الكتاب الجزائريين، وألف عن ثقافتها موسوعة وأكثر من سبعة مؤلفات.. وعن وهران كتب الكثير من القصائد.

طه حسين والمنحة

■ صُدف أن استمع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية (كان الأول فيها) إلى شعر فتح الباب حينما كان الأخير طالبا في تلك المرحلة، فأعجب به جدا، وبعد انتهاء المسابقة ناداه حسين، وأثنى عليه، وأشاد بموهبته، وأعطى له منحة مجانية بكلية الآداب قسم اللغة العربية.. وظل فتح الباب يتفاخر كثيرا بهذا الأمر، لا سيما أنه وطد الصلة بينه وبين حسين، وكان كثيرا ما يذهب إليه بعد ذلك ليسمعه ما ينظمه من أبيات ليتلمس جودتها من تعبيرات وجهه وتعليقه عليها.

المؤلفات

■ مؤلفاته تربو على الخمسين، وتقدم للقارئ معرفة واسعة وعلما غزيرا وصورة واقعية، تبرز عبقرية شاعر خلاق وناقد رائع.. وضمت المؤلفات: ٢١ ديوان شعر و١٢ كتابا في النقد الأدبي، وكتابا في أدب الرحلات، وكتابين في السيرة الذاتية، وكتاب قانون، وكتب شرطة، و٧ كتب دينية، و٣ مسرحيات شعرية، ومختارات شعرية مترجمة من اللغات الأجنبية، ومؤلفات في الحضارة العربية الإسلامية وفي القانون الدولي والعلوم السياسية، كما ترجمت العديد من قصائده.

جوائز

■ حصل فتح الباب على العديد من الجوائز منها: جائزة المجلس الأعلى للآداب والفنون بالاشتراك مع وزارة الثقافة ١٩٧٥م، عن ديوانه «حبنا أقوى من الموت» (مستوحى من ملحمة أكتوبر)، وجائزة مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين ١٩٩٢م، عن ديوانه «أحداق الجياد»، ورشحه اتحاد كتاب مصر لجائزة الدولة التقديرية ٢٠٠١م، ومنحه اتحاد الكتاب العرب جائزة القدس في أكتوبر ٢٠٠١م، ومنحه اتحاد كتاب مصر جائزة التميز عام ٢٠٠٧م.

مساهماته في «الوعي»

■ للشاعر الكبير حسن فتح الباب ست عشرة مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «التسامح الديني (١ و٢)، ع:١٢٥ و١٢٦»، و«غفران (قصيدة)، ع: ١٣»، و«الملامح الأساسية للدعوة العلمية في الإسلام، ع:١٤٦»، و«إلى مجال النور (قصيدة)، ع:١٤٨»، و«الكشف عن أصحاب الكهف، ع:١٥٥»، و«التخطيط لتحقيق النصر في غزوة بدر، ع:١٦٥»، و«عبر مستلهمة من غزوة حنين، ع: ١٧»، «حافظ إبراهيم شاعر الإسلام (١ و٢)، ع:١٨٢ و١٨٣»، و«حركة البحث العلمي والعلاقات الدولية، ع:٢٠٣»، و«عبدالكريم الخطابي في المغرب، ع:٢٠٧»، و«تلمسان مدينة الفكر الإسلامي، ع:٢١٧»، و«من عبر الجهاد/ حرب التحرير الجزائرية، ع: ٢٢»، و«مآثر العلماء الجزائريين، ع:٢٣٢»، و«مكافحة التبشير في الجزائر، ع:٢٣٤».

وفاته

■ بعد مسيرة إبداعية استمرت أكثر من نصف قرن، غيب الموت آخر رواد شعراء الخمسينيات الشاعر الكبير حسن فتح الباب صباح الاثنين ٢٨ سبتمبر ٢٠١٥م، عن عمر ناهز ٩٢ عاما.

المصادر والمراجع

- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموقع الرسمي للشاعر اللواء د. حسن فتح الباب.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- جريدة: الجريدة، العربي الجديد، الدستور، الوفد.

هشام الصباغ
باحث لغوي

صاحب «أيام الكويت»

الشيخ الأديب أحمد الشرباصي

■ مداد قلمه يستجلبه من ينابيع العاطفة والشعور، فتجد كلماته تكتسي بألوان الأزاهير، وعباراته تناجي المبادئ والأفكار، وتستثير كوامن الإحساسات النبيلة المتصلة بالعقيدة والأخلاق.

■ شعلة معرفة وهاجة، ذو حصافة نادرة وعلم واسع، له قدرة فائقة على ارتجال الأحاديث وفي مختلف الموضوعات.. متمكن من التأليف المتنوع الذي كان منه: البحوث العلمية المفيدة، المحفوظات، حديث الرحلات، مدارسة القرآن الكريم، إضافة إلى ما قدمه من أحاديث إذاعية ومقالات صحفية من يطلع عليها يعرف مدى الجهد الذي كان يبذله هذا الرجل.

■ كان، رحمه الله، ذا نفس متواضع، لا يرى لنفسه فضلا أو أثر علم: «أنا نفسي في الواقع محتاج الآن إلى من يعلمني. لقد تكلمت كثيرا، فلأسكت قليلا. نفسي حائرة في أفكارها، فلأحاول أن أجمعها. وآرائي مشتتة عن الحياة والأحياء وعن الأولى والآخرة وعن التفكير والتطبيق فدعوني، دعوني في غمرتي أيها الناس لقد سمعتم مني طويلا وما أحوجني اليوم الى أن أسمع.. يا ويلنا إن كانت بضاعتنا كلها كلاما، ويا ويل من يشغله طول الكلام عن حسن الفعال، ويا ويلنا إن لم نسر على الطريق.. إذن فقد ضاعت الأولى والآخرة وقد خسرنا العاجلة والآجلة وذلك هو الخسران المبين.. نعوذ بالله رب العالمين».

■ مواهبه تفجرت في وقت مبكر، ولفت الأنظار إليه صغيرا.. فبينما كان طالبا يافعا غضا لم يزل في مرحلة الطلب لم يحصل بعد على شهادة الثانوية، أثنى على نشاطه أئمة الفكر واللغة والبيان، وأدهش بأسلوبه كبار كتاب عصره حين قرأوا ما خطته أنامله، ما جعل الصحف والمجلات تفتح له أبوابها لينشر إنتاجه بين كبار كُتَّابها.

■ تزامن ما سبق مع إبهاره متذوقي الشعر وقارظيه حين وجدوه ملك أزمة المعاني وامتطى ظهور القوافي جنبا إلى جنب مع إمساكه بناصية الكلام وسيطرته على أسماع مريديه بحسن إلقائه للخطب وبلاغة تعبيره.. إنه الشيخ الأستاذ الأديب الشاعر أحمد الشرباصي.

النشأة والتحصيل العلمي

■ ولد الشرباصي، واسمه أحمد الشربيني جمعة الشرباصي في ١٧ نوفمبر ١٩١٨م، في «البجلات»، وهي قرية مجاورة لـ«الزرقا»، لكنها تابعة لمركز «دكرنس» بمحافظة الدقهلية بمصر.. يقول الشرباصي بنفسه عن نشأته: «كنت غلاما أحاول حفظ القرآن الكريم لأنتسب إلى أحد المعاهد الدينية التي تتبع الأزهر؛ فقد عاهد والدي ربه أن يجعلني وقفا على طلب العلم، كما كانت العادة شائعة عند أهل الريف. وبعد أن حفظت القرآن، رحلت من قريتي إلى معهد دمياط الديني، ولبست العمامة والكاكولة مع أن عمري لم يتجاوز يومئذ الثانية عشرة».

■ ترك الشرباصي ذكرى طيبة بين أساتذة معهد دمياط الديني بما ملكه من ذكاء واستعداد أدبي وهمة طموحة، وبعد أن أنهى دراسته بالمعهد التحق بمعهد الزقازيق الثانوي، وحصل على ثانويته الأزهرية عام ١٩٣٩م، ومن ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وكان في مقدمة الطلاب طوال فترة دراسته، حتى حصل على الشهادة العالية عام ١٩٤٣م، وكُرِّم مع أوائل الجامعات في حفل أقيم بقصر رأس التين بالإسكندرية، ثم نال شهادة العالمية الأزهرية وإجازة التدريس عام ١٩٤٥م.

■ بعد تخرجه اتجه إلى التدريس فترة من الزمن، ثم أسندت إليه فيما بعد وكالة رواق الأحناف بالأزهر، وخلال وكالته للرواق ارتحل إلى الكويت مبعوثا من الأزهر لعام عاد بعده لتُسند إليه أمانة لجنة الفتوى بالجامع الأزهر، ثم انتدب لتدريس الشريعة الإسلامية في معهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٥٨م، ثم عمل مستشارا لهيئة الرقابة على المطبوعات ومراجعة الكتب الدينية.

■ لم يمنعه عمله من تحقيق طموحه الأكاديمي ومواصلة دراسته العليا، فأكملها وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد عام ١٩٦٧م، عن أطروحة تحمل عنوان: «رشيد رضا صاحب المنار»، وبعد حصوله على الدكتوراه عين مدرسا بالكلية التي تخرج فيها، وهي كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف.

مؤلِّف في «سن غضة»

■ بدأ نشاطه العملي وهو لم يزل طالبا في المعهد الديني، فأخرج وهو في سن

صغيرة كتاب «حركة الكشف»، ولم يكن الكتاب مقالات متناثرة في موضوعات مختلفة تمتلئ بأساليب الإنشاء المحفوظة التي يكتبها غالبا الشداة والناشئون، لكنه كان هادفا تحدث فيه عن مبادئ الكشافة ونظمها وشاراتها، واتفاق كثير من مبادئها وتعاليمها مع تاريخ العرب وأحكام الإسلام.

■ استقبلت الأوساط «حركة الكشف» استقبالا حسنا، وحظي مؤلفه بكلمة من الأديب الكبير محمد سعيد العريان في مجلة «الرسالة»، ومنذ ذلك الحين فتحت الصحف والمجلات صفحاتها للأديب الواعد الطالب بمعهد الزقازيق الثانوي، مما شجعه على أن يردف كتابه بآخرين هما: «محاولة»، و«بين صديقين»، استحق عليهما ثناء النقاد على صفحات «الأهرام» و«الرسالة»، ثم أخذت مقالاته تترى على صفحات مختلف المجلات.

«الخطب الشرباصية»

■ نشاطه الخطابي بدأ منذ أن وطأت قدماه القاهرة، وظل ٨ أعوام يخطب في مسجد المنيرة بالقاهرة، إذ كان خطيبا مفوها يملك أسماع مستمعيه وأفئدتهم ويسيطر على مشاعرهم بأدائه الفذ ونبراته المؤثرة وعلمه الواسع.. ذلك النشاط الواسع دفعه للنزول إلى ميدان الإصلاح الاجتماعي: يكشف خطأ، أو يصحح مفهوما، أو يرشد حيرانا، فأصبح يومه لا يخلو من محاضرة أو درس.. وقد جمع الشرباصي بعضا من نشاطه الخطابي في كتابه «الخطب الشرباصية» في خمسة مجلدات.

الشرباصي.. والكويت

■ انتدب الشرباصي مدرسا من الأزهر للعمل في دائرة معارف الكويت لعام دراسي واحد، لكن معرفته بالكويت سبقت سفره إليها، إذ كان يزامل الأستاذ عبدالعزيز حسين، رحمه الله، في كلية اللغة العربية في الأزهر.. وحينما أصبح حسين مسؤولا عن بيت الكويت بالقاهرة، عزم على إصدار مجلة «البعثة»، فدعا الشرباصي للمشاركة فيها بالكتابة، فلبى منذ اليوم الأول لصدورها، ولم تنقطع مقالاته لأي سبب حتى آخر عدد لها (يناير ١٩٥٤م).

«أيام الكويت» أو «جراب الحاوي»

■ كان الشرباصي نشطا إلى أبعد الحدود، لا يفوّت أي فرصة للكتابة عما شاهده وراءه في أسفاره، ومن ذلك كتاباه: «أيام الكويت» و«عائد من باكستان».. والمطلع على «أيام الكويت»، الذي ألفه عقب انتهاء مهمته فيها مدرسا بالمدرسة المباركية، يستشعر مدى نشاطه وحركته.. والكتاب شبيه بما يسمى: «جراب الحاوي» ففيه كل شيء: من التاريخ إلى الحكاية إلى القصيدة إلى المعلومات العامة، كان يسير في الطريق فيلتقط ما يعن له، حتى إذا عاد إلى القاهرة نفض ما في الجراب ونسقه، وجعله في كتاب هو: «أيام الكويت».

■ يقول الشرباصي عنه: «شاء الله ألا أظهر كتابا عن الكويت، رغم صلتي الأدبية القديمة بها وبأبنائها، إلا بعد قضاء عام بين ربوعها؛ ولعل هذا من الخير، فأنباء الرواية والاستماع غير أنباء اللقاء والاجتماع».

مؤلفات

■ تعددت مؤلفات الشرباصي التي قدمها للمكتبة الإسلامية وتنوعت حتى بلغت ما يربو على ١٠٠ كتاب، منها: «موسوعة أخلاق القرآن» (سبعة أجزاء)، و«يسألونك» (سبعة أجزاء)، و«موسوعة الفداء في الإسلام» (٣ مجلدات)، و«أسماء الله الحسنى»، و«أمير البيان شكيب أرسلان حياته وأدبه» (أطروحة الماجستير - مجلدان)، و«رشيد رضا صاحب المنار» (أطروحة الدكتوراه - ٣ أجزاء).

■ كما شارك في الأدب المسرحي، وكان من أوائل من كتبوا المسرحيات الإسلامية، التي استلهمت أحداثها من وقائع التاريخ الصادقة، ملتزما الفصحى فيما يكتب، ومنها: «مؤمنة مجاهدة»، و«مولد الرسول»، و«مشرق النور»، و«الحاكم العادل».. إضافة إلى ما ينيف على المئة كتاب في الأدب والأخلاق والفقه والتاريخ.

إسهاماته مع المجلة

■ للشيخ الدكتور أحمد الشرباصي ما يزيد على الثلاثين مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين (أمثلة): «تفسير المنار بين الأستاذ وتلميذه، ع:٥١»، و«رشيد رضا وإعجاز القرآن، ع:٥٧»، و«المجاهد حامل التراب عاصم بن عمرو التميمي، ع:١٣٩»، و«له الأسماء الحسنى (الوكيل، الجبار، العزيز، الرحمن الرحيم)، ع:١٥٠ و١٧٨ و١٨٢ و١٨٧»، و«حديث القرآن عن الحج، ع:١٦٨»، و«محمد ﷺ في القرآن الكريم، ع:١٩٥».

وفاة الشرباصي

■ اشتد عليه المرض في أيامه الأخيرة لكنه لم ينقطع عن التأليف، رغم عجزه عن إمساك القلم، لكن رغبته في ألا يدع شيئا في صدره من علم يكتمه عن الناس جعلته يملي على تلامذته بعض مؤلفاته مثل «موسوعة أسماء المصطفى»، لكن العقل المتوهج انطفأ، والقلم السيال توقف، ولقي الشيخ ربه في ١٤ أغسطس ١٩٨٠م، تاركا تراثا ثريا وذكرى عطرة.

المصادر والمراجع

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- كتاب أيام الكويت.
- موقع تاريخ الكويت.
- إسلام أون لاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



داعية الشام وطبيبه

الدكتور حسن هويدي

■ رمز للداعية المؤثر، وأنموذج قدوة للمربي الناجح، ومثال للقائد الذي جمع الله عليه القلوب.. تجده مع الجميع هينا لينا.. إلا إذا رأى أمرا لا يحتمل وجهة نظر أو اجتهادا آخر، والمخالفة فيه صريحة، فإنه لا يهادن فيه ولا يداهن، لكن يظل منضبطا بالشرع، متجنبا التجريح، محذرا من الفتنة، نابذا الشقاق، حاثا على الألفة والأخوة والمحبة، مطالبا بالصبر وحبس النفس عن الخطأ.

■ يلتزم «أدب الخلاف» ويتجنب الإثارة، ويعتمد منهج «ما بال أقوام»، فلا تسمع أو تقرأ له -وهو يناقش قضية غير مؤمن بها، أو ينتقد فكرة معينة يرى عدم صوابيتها- كلمة نابية، أو لفظا لا يليق، بل ينتقي كلماته بدقة ليصل إلى الفكرة التي يريد بألطف الجمل، وأجمل العبارات.

■ عند التشاور كثيرا ما تراه يميل إلى هذا القول أو يأنس إلى ذاك الرأي، لكن بلا تعصب، ودون انغلاق، وتجده في نهاية المشاورة: يسجل موقفه ورأيه.. لكن يعلن التزامه بما ذهبت إليه الأكثرية وتطبيقه له.

■ على الرغم من تخطيه الثمانين، فإن نشاطه أو سعيه في سبيل نصرة الإسلام لم يهدأ، وحركته في الدعوة إلى الله ناء بتحملها شباب، فقد ظل دائم الأسفار متعهد الترحال ناشرا الدعوة مهاجرا بها حاملا لها على غير عادة من في مثل سنه، يطوف من اليمن إلى الإمارات والكويت ومن لندن إلى إسطنبول والسودان.. وحركته لم تتوقف حتى وفاته.

■ من رعيل سورية الأول، نشرا للعلم الشرعي، وبثا لأنوار الدعوة.. ومن باب «المرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه» دلف إلى أرضها يغرز فسائل يقي بها أمته رياح تغريبها، يحشد الجهود المتفرقة من أجل غد أفضل للمسلمين، ويوظف الطاقات الحيوية الفاعلة بطريقة منظمة، وبأسلوب جماعي، حتى تخرج الثمرة طيبة ومؤثرة ومجدية.

■ عرفه السوريون طبيبا بارعا، وعالما محققا، وفقيها ثبْتا، واسع الاطلاع، حجة بالعلوم الشرعية، وعلى دراية واسعة بتفسير القرآن، صاحب ثقافة ثرة جمعت بين الطب والفقه إضافة إلى استيعاب «فقه الواقع» و«فقه الدعوة» ومعرفة العلل والأدواء، والتيارات المناوئة، وطبيعة المعركة، وحقيقة الأزمة التي تمر بها الأمة.. إنه الفقيه الطبيب حسين هويدي.

المولد والنشأة

■ من دير الزور (عروس نهر الفرات)، ففيها ولد مطلع عام ١٩٢م، في كنف بيت إسلامي طيب طابعه التدين والالتزام والمحافظة على الفضيلة وحب العلم.. والده كان شيخا معروفا لدى أهل بلدته بالتزامه الدين ومجالس الذكر والعلم في المساجد، وله بالغ الأثر في مسيرته وفي تعليم القرآن لجيل واسع من أهل الدير.

■ طبيعة الدير نفسها ذات الطابع العشائري المحافظ، وحياة أهلها القائمة على الفطرة، فلا فجور ظاهر، ولا دور لهو واضحة، مع خلو الشارع من أي اختلال ينسب إلى السفور أو التبرج.. شكلتا التكوين الأولي لهويدي الذي تربى على مائدة القرآن وحب السنة والتعلق بالذكر.

■ منذ طفولته تعلق بالعلم الشرعي، وأخذ معظم علومه في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والأصول في وقت مبكر من علماء بلده أمثال: الشيخ حسين رمضان الخالدي والشيخ سعيد المفتي والشيخ جعفر الرحبي، الذين كان يختلف إليهم، ويرافقهم، ويجالسهم، ويحضر حلقهم، ويراجعهم ويفيد منهم.. مع مواصلة التحصيل بجهود ذاتية عن طريق مطالعة أمهات الكتب في مختلف الميادين ضمن رفقة صالحة من أقرانه، أمثال: الشيخ أحمد السراج والشيخ عبدالرزاق الخالدي والشيخ د. خليل ملا خاطر وأمين الشاكر.. وغيرهم.

■ حصل على شهادة الثانوية العلمية، ثم انتسب إلى كلية الطب في جامعة

دمشق، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الطب بتقدير «جيد» عام ١٩٥٢م، وكانت رسالته لنيل شهادة الدكتوراه عن: «فرط نشاط الغدة الدرقية»، ثم حصل على شهادة التخصص في الأمراض الباطنة من كلية الطب في جامعة دمشق.

■ خلال سنوات الدراسة في دمشق لازم كبار العلماء فيها ونهل من علومهم. وأكثر من ملازمة الشيخ مصطفى السباعي الذي تأثر به كثيرا وأصبحت علاقته به كبيرة جدا.

حياة عملية دعوية

■ بعد تخرجه عاد إلى دير الزور ليفتح عيادته ممارسا لمهنة الطب، فكان يوزع أوقاته بين العيادة والعمل الدعوي، الذي أصبح يستغرق أكثر وقته حتى غلب مهنته فتفرغ له تفرغا كاملا.

■ عاش حياته مناضلا، وانتشرت إسهاماته الفكرية والتربوية، إذ كانت قدرته هائلة على استيعاب المسائل وتحدي العقبات، وحركته دؤوبة من أجل الدعوة الإسلامية التي جعلها همه الأول والأساسي؛ تسير في دمه وروحه، عاش لها ومات من أجل رفع رايتها.

■ عين عضوا بالمجلس الأوروبي للإفتاء، وكان فاعلا في قضايا إسلامية مهمة كثيرة، وله دور رائد على مستوى سورية، وعلى المستوى العربي والإسلامي والدولي، وشارك ضمن وفود عدة للتدخل في إنهاء نزاعات داخلية في عدد من الدول الإسلامية.

.. عن هويدي

■ مجلسه، طال أو قصر، لا يخلو من تأصيل شرعي، أو بيان لمسألة وكيف يكون الانضباط فيها بشرع الله.. والأصالة عنده أهم من الحداثة مع أنه يفقه عصره ولا يعيش في الماضي والتاريخ وحده.. حريص على المرجعية الشرعية في جميع ما يقول ويعمل.

■ ستة وستون عاما وهو يسير على طريق الدعوة، لم يلن فيه، ولم ينثن، أو يتراجع.. حتى في سني عمره الأخيرة تجده مسافرا من بلد إلى آخر حاملا هم الدعوة، ومستقبل الأمة، مندفعا للعمل الإسلامي، يحاضر ويوجه ويعلم إلى آخر ليلة من حياته.

وصيته

■ جعل لقاء الله نصب عينيه، وحرص في سعيه في الدنيا على ألا يغفل عن هذا المصير؛ ولذا فقد عاش بين الناس ووصيته الشرعية مكتوبة عنده ممتثلا إلى قول الرسول ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» (رواه الشيخان).

■ المتأمل في وصيته يجد جمال سبكها، وإشراق عبارتها، وقوة بيانها، وحرصها على اتباع السنة، ودقة ألفاظها (ولا أذكر أن لأحد علي دينا حتى كتابة هذه الوصية)، وسعة فقهها وتشديده على ضرورة الالتزام بهذا الفقه.

عادة أسبوعية

■ كانت له جلسة أسبوعية يجلس فيها للترويح مع إخوانه يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، ثم تكون لهم دروس في العقيدة أو التزكية أو التاريخ.. وفي ليلة وفاته تحدث حديثا رقيقا خاشعا عن الموت وقرأ من «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي.

هويدي كاتبا

■ امتلك الدكتور حسن هويدي قلما بليغا رائعا، وأيضا اشتغل على نفسه فامتلك ثقافة عامة قوية، وعلم شرعي راسخ، وموهبة أدبية واضحة، وتمكن من اللغة العربية التي كان من متذوقيها.. ومن مؤلفاته: «الوجود الحق» و«من نفحات الهدى» و«محاذير الاختلاط» و«الشورى في الإسلام» و«مفهومات في ضوء العلم»، إضافة إلى مقالات كتبها هنا وهناك، ومنها مقالاته الشهيرة في مجلة «حضارة الإسلام»، وبيانات كتبها في مناسبات متفرقة.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ الدكتور حسن هويدي خمس مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «جمال الإسلام، ع:٣»، و«نفخ الروح غير تكاثر الخلية، ع:٦٤»، و«بين الشريعة والطب، ع:٦٨»، و«نقل الدم لا يحرم، ع:٧٣»، و«دور الإسلام في العصر الحديث، ع:١١٨».

وفاته

■ بعد جهاد في خدمة الدين والدعوة إليه استمر أكثر من ٦٠ عاما، وعن عمر ناهز ٨٤ عاما، وبعدما أدى رسالته على أحسن ما يكون الأداء، لقي الدكتور هويدي ربه على أحسن ما يكون اللقاء، بعد أدائه صلاة فجر الجمعة ١٣ مارس ٢٠٠٩م، وهو جالس في محرابه يذكر الله، في مهجره في مدينة عمان في الأردن، ووري جثمانه الثرى في مقبرة سحاب قرب العاصمة بعدما صلي عليه في مسجد الجامعة الأردنية.

المصادر

■ كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».

■ رابطة أدباء الشام.

■ رابطة العلماء السوريين.

■ مقال للدكتور عامر حسين أبو سلامة (إنترنت).

■ الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

المطوع الأكاديمي

الدكتور حسن عبدالظاهر

■ اشتهر بكثرة البحث والمثابرة، وغزارة علمه، وكثرة عطائه، وطيب معشره، ولين جانبه، وأدبه، وتواضعه، وغيرته على الإسلام والمسلمين.. أحبه زملاؤه وطلابه وإخوانه الدعاة.. وتخرج على يديه مئات الأساتذة والباحثين، وتتلمذ على علمه وخبرته مئات الدعاة.

■ عند أي تجمع تجده حريصا على تذكير الناس بالله من خلال كلمة وجيزة.. لكنها كثيفة، تنفذ إلى القلوب دون استئذان.. فيلتقط آية أو بعض آية ثم يستخرج منها ما شاء الله له أن يستخرج من الكنوز والدرر، بفقه جميل، وإضافات معجبة، وأداء لا تعمُّل فيه ولا افتعال، ولا تأستذ فيه ولا استعلاء.

■ ماهر بالقرآن؛ حفظا وتدبرا وتفسيرا؛ يجول بك من أول المصحف إلى آخره، في نظرات موضوعية دقيقة، جميلة، تحس معها بالفتح الرباني، وبما يمكن أن يعطيه القرآن لرجل اتسع واديه، فسال -بقدر سعته- علما نيرا، ولمحات مشرقة.

■ عندما يحكي تشعر أنك أمام خزانة من التاريخ لا تفرغ؛ وهو في حكيه ليس ساردا للأحداث؛ بل هو ذلك المستقرئ، المحلل، المتأمل، الناقد، يحب أن يستفيد ويفيد، في بساطة ورفق، وتواضع وحسن خلق يحسد عليه.

■ صورة للعالم الذي يحترم نفسه وعلمه، لا يتكلم في مسألة إلا بعد أن يشبعها بحثا، لا يقتحم المجالس، ولا يضيع فضول وقته؛ يتنقل بين العمل والعمل، والنصب والنصب، والخير والخير، يبشر بنصر الإسلام وقوته وتأبيه على الانحناء والانكسار.

■ لا كتاب في مكتبته -على ضخامتها ووفرة مراجعها- إلا وله تعليقات على هوامشه تبين دقة ملاحظته.. يحتفظ فيها بأصول أبحاثه كمرجع لديه.. فيها يقرأ ثم يلخص ما توصل إليه في وريقات معدودات يحملها معه في محاضراته.. يطلع خاصته وتلاميذه على ذلك، ويوصيهم بطريقته، ويحثهم على البحث والمثابرة وتعظيم سياج الشريعة.. إنه العالم العلامة الشيخ الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر (أول مطوع أكاديمي في قطر).

المولد والنشأة والتعليم

■ ينتمي إلى أسرة عربية عريقة تعزى جذورها إلى النسب النبوي الشريف، هاجرت منذ القدم من الجزيرة العربية واستقر بها المقام في صعيد مصر.. غير أن عبدالظاهر لم يكن صعيدي المولد، إذ إن جده وأباه قد هاجرا إلى محافظة القليوبية، واستقرا في شبين القناطر (٢٠ كليومترا شمال القاهرة)، وفيها ولد الشيخ يوم ١٦ أغسطس عام ١٩٢٨م.

■ليكون كإخوته جميعهم، وهو أصغرهم، حاملا للقرآن، ألحقه والده صغيرا بكتاب القرية، ليحفظ كتاب الله ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب.. وعندما بلغ العاشرة من عمره، كان قد أتم حفظ القرآن كاملا..

■ إضافة إلى بيئة الشيخ الأسرية، التي لونت طفولته بالقرآن فارتبط به قلبا وقالبا، وعاش معه حياته كلها، كان شيخه شديد الحرص على حفظه والاعتناء به، فكان يوصيه عند الانصراف من حلقته عائدا إلى بيته بمراجعة القرآن وهو إلى جوار نافذة البيت، وبصوت عال، حتى إذا مر شيخه بجوار بيته يسمعه فيثبت أو يصحح أو يرد.

■ حينما بلغ عمره ١٢ عاما (السن المسموح بها للالتحاق بالابتدائية الأزهرية)، رغب أبوه في تحويله من الدراسة النظامية إلى الدراسة الأزهرية، فقدمه لاختبار الابتدائية الأزهرية، الذي اجتازه بتفوق.. فأمضى ٤ سنوات في الابتدائية الأزهرية ثم تبعها بـ٥ سنوات في الثانوية الأزهرية، ثم ٤ سنوات في كلية أصول الدين التي تخرج فيها عام ١٩٥٤م، وكان عمره وقتها تجاوز ٢٥ عاما.

■ وفي «أصول الدين» تتلمذ الشيخ على يد كبار علماء عصره، ومنهم العلامة الموسوعي محمد عبدالله دراز، الذي كان يدرسه التفسير وعلوم القرآن، وتأثر به الشيخ كثيرا وأعجب بشخصيته، وصار من حوارييه، فازداد تعلقه بكتاب الله تعالى بعد تلقي منهجية التعامل مع الكتاب من شيخه دراز.

حياة عملية دعوية

■ شغل عدة مناصب دعوية وعلمية في مصر وقطر، فخدم الأزهر وسافر مبعوثا منه إلى عدد من البلدان الإسلامية، وعمل في أعلى مراتب التوظيف فيه

بجانب كبار علمائه، وتولى رئاسة لجنة الحديث بمجمع البحوث الإسلامية.

■ شارك في مشروع «موسوعة السنة النبوية»، الذي أسفر عن إصدار «الجامع الكبير للسيوطي»، الذي لا يزال يصدر حتى اليوم في صورة أجزاء شهرية.. وإلى جوار «الجامع الكبير» شارك في إصدار «التفسير الوسيط» الذي ينشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حتى اليوم.

■ فسر، إلى جوار مجموعة من كبار العلماء القرآن في حلقات أذيعت جميعها في وقت واحد في الثمانينيات والتسعينيات في تلفزيونات الخليج.

■ عندما كان مفتشا لقطاع المساجد بوزارة الأوقاف المصرية، اكتشف الشيخ عبدالحميد كشك وتنبأ له بمستقبل واعد في مجال الخطابة والدعوة قبل أن يعرفه أحد، وقربه منه وخرجا للدعوة في قرى مصر ونجوعها.. كما تعرف على الشيخ المجاهد حافظ سلامة، وتمكنت بينهما المودة؛ وتجولا معا على وحدات الجيش المصري قبل حرب رمضان، لتثبيت الجند، وبث الروح الإسلامية فيهم.

الشيخ.. والقاديانية

■ رحلة الشيخ مع الدراسات العليا بدأت عندما كان مبعوثا من الأزهر لأربع سنوات للخطابة والوعظ في أكبر بلد بالقارة السمراء نيجيريا، التي أحاطت به فيها ظروف سياسية وفكرية انعكست على اختياره لموضوعي رسالتيه للماجستير والدكتوراه، فكانت رسالته التي نال بها درجة الماجستير عن «القاديانية»، التي كان، وما زال، نشاطها متغلغلا في الساحل الغربي لإفريقيا. وفي نيجيريا أيضا تعرف الشيخ على أعلام الدعوة في إفريقيا، ما أثمر رسالته للدكتوراه عن «دولة الفولاني».

الشيخ.. وشاكر

■ أثناء دراسته في الكلية، غُيّرت القوانين الشرعية وأُلغيت المحاكم الشرعية في مصر، فقدم العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر استقالته من دائرة المحاكم اعتراضا على ذلك، فاهتبل الأزهر الفرصة وأفسح لشاكر مجالا لتدريس مادة الحديث، فكانت من أعظم الفرص ليتتلمذ الشيخ على يد شاكر.

■ بلغ تعلق الشيخ بشاكر أنه كان يكتب من فمه تعليقاته «النادرة» في التحقيق العلمي على نسخته من «الباعث الحثيث» التي كان يحتفظ بها، وربما يضمها إلى صدره في لحظات التذكر لشيخه حيث تأثر به في الاستقلالية العلمية والمنهجية الخالصة للكتاب والسنة.

الشيخ.. وقطر

■ سافر إلى قطر عام ١٩٧٨م؛ واستقر به المقام فيها حتى وافاه الأجل.. ودرّس في كلية الشريعة وترأس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية فيها، ومارس الدعوة والخطابة بداية من المساجد ومرورا بالتجمعات وانتهاء بالإعلام فارسا يقدر عظم الشريعة، وكانت له حلقات مرئية ومسموعة ورّثت من تابعها السكينة.

■ رحلته مع المنبر والخطابة احتلت جزءا كبيرا من مسيرة حياته الدعوية.. فبدأ الخطابة مذ كان طالبا في الابتدائية.. وذات يوم سمعه أحمد الأنصاري وهو يخطب بمسجد النور بالعباسية في القاهرة، وعندما وصل الشيخ الدوحة عرض عليه الأنصاري (وكان مديرا للمساجد يومئذ) الخطبة في المساجد.. ووقتها لم يكن السماح لأكاديمي بالخطابة في المساجد أمرا مألوفا بل كان غير مستحب أن يعمل الأستاذ الجامعي خطيبا، ولذا يعد الشيخ أول «مطوع» أكاديمي في قطر.. فاعتلى منبر جامع إسحاق، واتبع منهجا عصريا في الخطابة، وارتبط بـ«إسحاق» ولم يرغب في الانتقال عنه، مبررا «لأن المسجد في رأيي يشبه الجامعة، ولو تنقلت من مسجد إلى آخر فسوف ينصرف الجمهور عني وسأظل أكرر في موضوع واحد ٤ أسابيع.. أما في المسجد الواحد فأنا ملتزم بالتغيير والتجديد في الخطبة حتى لا يمل الجمهور».

مؤلفاته

■ له عدد من المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة العربية والإسلامية نذكر منها: «فصول في الدعوة الإسلامية»، و«من نبع المرسلين»، و«النهج العلمي في تدوين السنة المطهرة».. وغيرها كثير.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للدكتور حسن عبدالظاهر ٥ مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «نيجيريا الوطن الإسلامي الكبير، ع:٥٩»، و«جمع الجوامع أو الجامع الكبير (ك.ش)، ع:٩٠»، و«ماذا يعني العيد في نظر الإسلام، ع:١٠٦»، و«الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، ع:١٤٥»، و«الصلاة الوسطى، ع:١٦٠».

وفاته

■ مع إشراقة صباح الأربعاء ٢٨ يوليو٢٠١٠م، ودع الشيخ الدنيا في منزله بالعاصمة القطرية الدوحة، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري، وسنوات أفناها في الدعوة والعلم الشرعي دامت أكثر من ٨٢ عاما، وصُلي عليه عصر ذلك اليوم ودفن في مقبرة «أبو هامور».

المصادر

■ كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
■ إسلام ويب.
■ رابطة العلماء السوريين.

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

شيخ القضاة

حسنين مخلوف

■ التحق بالأزهر، يحدوه أمل في نيل ما ناله أبناء بلدته، الذين تعلموا بالأزهر، وتخرجوا فيه حاملين لواء إرشاد الناس وتوجيههم، مثل الشيخ: علي بن أحمد العدوي الفقيه المالكي، الذي يُذكر عنه أنه أول من ألّف الحواشي على شروح كتب الفقه المالكي، والعالم الزاهد والفقيه النابه صاحب المؤلفات العظيمة في الفقه والتوحيد والتصوف أبو البركات الدردير، والعالم اللغوي محمد قطة العدوي الذي قام بجهد مشكور في إخراج أمهات كتب التراث التي كانت تطبعها مطبعة بولاق بالقاهرة.

■ وفي الأزهر سمت به همته إلى طلب العلم ومصاحبة العلماء، وثابر على القراءة والتحصيل حتى استوى عالما يشار إليه بالبنان، ومصلحا يعهد إليه بجلائل الأعمال، فتولى إنشاء المكتبة الأزهرية، وجمع لها الكتب المبعثرة في المساجد، وصنفها وفهرسها، وكان أول مفتش للعلوم بالأزهر والمعاهد الدينية، وأصغر الأعضاء في المجلس الأعلى للأزهر، الذي يشرف على أعمال الأزهر ويتولى توجيهه ووضع سياساته، واختير وكيلا للجامع الأزهر.

■ تولى منصب مفتي الديار المصرية مرتين: الأولى في الفترة من يناير ١٩٤٦م وحتى مايو ١٩٥٠م، والثانية في مارس ١٩٥٢م وحتى ديسمبر ١٩٥٤م.. إنه القاضي الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف.

مولده وتعليمه

■ ولد في القاهرة، وتحديدا في حي «باب الفتوح» العريق في ٦ مايو ١٨٩٠م. تعهده أبوه بالتربية والتعليم، فما إن بلغ السادسة حتى دفع به إلى من يعلمه القرآن الكريم، الذي أتم حفظه وهو في العاشرة على يد شيخ المقارئ المصرية -وقتئذ- محمد علي خلف الحسيني.

■ لم يكتف أبوه بتحفيظه القرآن بل هيأه للالتحاق بالأزهر فحفّظه متون التجويد والقراءات والنحو، ثم ألحقه بالأزهر وهو في الحادية عشرة من عمره، وتلقى دروسه في مختلف العلوم على يد كبار شيوخ الأزهر، من أمثال الشيخ عبدالله دراز، ويوسف الدجوي، ومحمد بخيت المطيعي، وعلي إدريس، والبيجرمي، فضلا عن والده الشيخ محمد حسنين مخلوف.

■ تنقل في مراحل التعليم الأزهري حتى حصل على «عالمية» مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١٤م، ولم يكن وقتها جاوز الرابعة والعشرين من عمره.

امتحان قاس.. ولجنة مهيبة

■ عندما فتحت مدرسة القضاء الشرعي أبوابها لطلاب الأزهر، كانت تصطفي النابغين فقط من المتقدمين، فتعقد لهم امتحانا قاسيا، لا يجتازه إلا الأكفاء المتقنون، امتحانا قد يمتد إلى ٦ ساعات للطالب الواحد، وقد ترفع الجلسة بعد عناء لتستكمل في الغد.

■ لم يكن الامتحان القاسي للالتحاق بـ«القضاء الشرعي» هو العقبة الوحيدة، بل كان على الطلاب تخطي لجنة الامتحان المهيبة وإقناع أعضائها بسعة تحصيلهم وغزارة علمهم في فنون مختلفة من العلم.. تلك اللجنة التي يتألف أعضاؤها من: شيخ الأزهر (وقتها كان الشيخ سليم البشري) ومجموعة من كبار العلماء (مفتي الديار السابق -وقتئذ- الشيخ بكري الصدفي، ومفتي الديار -في ذلك الوقت- الشيخ عبدالرحمن قراعة، وشيخ الحنابلة الشيخ السيد أحمد، وعضو المحكمة العليا الشرعية الشيخ عبدالكريم سلمان، وعضو المحكمة الشرعية العليا الشيخ أحمد هارون).

■ تقدم الشيخ لخوض الامتحان، وواجه اللجنة بثبات وشموخ وأساس علمي متين، فتخطى الامتحان بسهولة ويسر، والتحق بالمدرسة، وتخرج فيها بعد أربع سنوات حائزا «عالمية القضاء» عام ١٩١٤م.

حياته العملية

■ بعد تخرجه أخذ يلقي دروسه في الأزهر متبرعا لمدة عامين إلى أن عُيّن قاضيا بالمحاكم الشرعية في قنا سنة ١٩١٦م، ثم تنقل بين عدة محاكم في ديروط والقاهرة وطنطا، حتى عُيّن رئيسا لمحكمة الإسكندرية الكلية الشرعية سنة ١٩٤١م، ثم رُقِّي رئيسا للتفتيش الشرعي بوزارة العدل سنة ١٩٤٢م، وفي أثناء توليه هذه الوظيفة المرموقة أسهم في مشروعات إصلاحية، مثل: إصلاح قانون المحاكم الشرعية وقانون المجالس الحسبية، ومحاكم الطوائف المحلية.

■ انتدب للتدريس في قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي لمدة ثلاث

سنوات، ثم عُيّن نائبا للمحكمة العليا الشرعية سنة ١٩٤٤م، ثم تولَّى منصب الإفتاء في الفترة من ٣٠ يناير سنة ١٩٤٦م وحتى ٧ مايو سنة ١٩٥٠م، وعُيّن عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر سنة ١٩٤٨م.

■ منذ انتهت خدمته القانونية لم يركن إلى الدعة والراحة، بل أخذ يلقي دروسه بالمشهد الحسيني يوميا، ويصدر الفتاوى والبحوث المهمة، إلى أن أعيد مُفتيا للديار مرة ثانية في ٢٦ فبراير ١٩٥٢م، وظل في الإفتاء حتى أكتوبر ١٩٥٤م، وقد أصدر خلالها حوالي ٨٥٨٨ فتوى مسجلة بسجلات دار الإفتاء.

■ بعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف مدة طويلة، كما اختير عضوا لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية، وكان عضوا مؤسسا لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واختير في مجلس القضاء الأعلى بالسعودية.

أولى فتاواه وهو طالب

■ كانت أولى فتاواه وهو لا يزال طالبا في مدرسة القضاء الشرعي حين دفع إليه أبوه برسالة وصلت إليه، يطلب مرسلها حكم الإسلام في الرفق بالحيوان، وطلب منه أن يكتب الرد بعد الرجوع إلى المصادر الشرعية، فعكف الشيخ -وهو بعد لا يزال طالبا- أسبوعين حتى أخرج رسالة مستوفاة، سُرَّ بها والده الشيخ، وبادر إلى طباعتها من فرط سعادته بابنه النابغ، وفي ذلك يقول الشيخ في مقدمة تلك الرسالة: «وبعد.. فقد أمرني والدي صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي مدير الأزهر والمعاهد الدينية بجمع ما تيسر من النصوص الشرعية في (الرفق بالحيوان) لحاجة كثير من الناس إلى معرفة حكمه في الشريعة الإسلامية، فصدعت بالأمر متوخيا سبيل الإيجاز ومستعينا بالله». وكان هذا التوفيق في الإجابة والفتوى إرهاصا لما سيكون عليه في قابل الأيام من كونه مفتيا فذا وعالما كبيرا.

مؤلفاته

■ رغم أن أعمال القضاء والدرس شغلت معظم وقت الشيخ، غير أن له كتبا -على وجازتها- نافعة جدا، لأنه وضعها حلا لقضية، أو تبصيرا للناس، أو إحياء لسنة ومحاربة لبدعة، أو بيانا لمشكلة اجتماعية، فهي كتب عملية تأخذ بيد الناس وتبين لهم مبادئ دينهم في سماحة ويسر، نذكر منها: «أسماء الله الحسنى والآيات القرآنية الواردة فيها»، و«أضواء من القرآن الكريم»، و«آداب تلاوة القرآن وسماعه»، و«المواريث في الشريعة الإسلامية»، و«شرح البيقونية في مصطلح الحديث»، و«صفوة البيان لمعاني القرآن».. وغيرها كثير.

■ كما كان للشيخ جهود في تحقيق بعض الكتب، مثل: «الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثقى في علم الشريعة والطريقة والحقيقة لمحمد بن عمر الحريري»، و«شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا للملا علي القاري»، و«هداية الراغب بشرح عمدة الطالب لعثمان بن أحمد النجدي».

جوائز وأوسمة

■ كان الشيخ محل تقدير واحترام لسعة علمه وشدته في الحق، وكانت الأوساط العلمية والرسمية تنظر إليه بعين التقدير لجلائل أعماله في الدعوة والقضاء والإفتاء، فمُنح كسوة التشريفة العلمية مرتين: الأولى حين كان رئيسا لمحكمة طنطا، والأخرى وهو في منصب الإفتاء، كما نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٨٢م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وامتد تكريمه إلى خارج البلاد فنال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٣م.

الوفاة

■ طالت الحياة بالشيخ حتى تجاوز المئة عام، قضاها في خدمة دينه داخل مصر وخارجها، حيث امتدت رحلاته إلى كثير من البلاد العربية ليؤدي رسالة العلم، ويلقي دروسه، أو يفتي في مسائل دقيقة تُعرض عليه، أو يناقش بعض الأطروحات العلمية في الجامعات، وظل على هذا النحو حتى لقي ربه في ١٥ أبريل ١٩٩٠م.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ ٨ مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الحج أولا أو الزيارة» (ع:٧٠)، «حكم الصلاة في النعال» (ع:٧٥)، «علاج الضرس في الصيام» (ع:٨١)، «النزيف في الصيام» (ع:٨١)، «الحقنة الشرجية في رمضان» (ع:٨١)، «سؤال وجواب عن القضية الفلسطينية» (ع:٥٤)، «ملابس النساء» (ع:٦١)، «الوقاية هي العلاج» (ع:٧٧).

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- دار الإفتاء المصرية.
- موقع الجزيرة (الدكتور محمد الجوادي).
- موقع إسلام أونلاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

عاشق بغداد وعالمها

جلال الدين الحنفي البغدادي

■ منذ مبدأ حياته المهنية: إماما وواعظا وخطيبا، اختلف على إمامته كثيرون، واتفق عليها آخرون، لكنه كان، ومنذ عقده الأول، يلازم مجالس العلماء؛ يستمع إلى بليغ كلامهم، محاولا شرحه وفهمه على طريقة ونهج خطهما لنفسه حتى أمسى نابغة في حفظ وتفسير وشرح القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، ولغويا وعالما من الطراز الأول.

■ من بغداد عاصمة الدنيا، بغداد المجد والحضارة والعلماء والشعراء والنخيل الباسقات.. لكنه لم يكن أحد الذائبين عشقا بها أو مجرد عالم من علمائها في اللغة صرفا ونحوا وعروضا إلى غير ذلك من علوم فقط، بل كان جزءا من تراثها وأصالتها.. وإلى الآن مازال الجميع يرونه من أعمدة جامع الخلفاء الذي عاش فيه أغلب أيام عمره خطيبا وإماما وخادما وحارسا.

■ عالم تجويد وتلاوة وترتيل من الطراز الأول، ألف كتابا عظيم الشأن في هذه العلوم بعنوان: «علم التجويد»، أصبح منهجا من مناهج دائرة معارفها، وهو واحد من رموز الأدب والفلكلور العراقي.. ومن بين أبرز رواد الكتابة الصحفية.. وأحد ألمع شخصيات العراق الفكرية والأدبية والدينية والتراثية.

■ لفرط حبه لبغداد لقب نفسه بـ«البغدادي»، ولشدة اعتزازه بالإمام الأعظم لقب نفسه بـ«الحنفي»، إنه حبيب بغداد وعاشقها الشيخ: جلال الدين الحنفي البغدادي.

الولادة والنشأة

■ وُلد الشيخ جلال الدين بن محيي الدين بن عبدالفتاح بن مصطفى بن ملا محمود الحنفي البغدادي في أعرق العواصم الحضارية في العالم... بغداد.. وتحديدا في محلة البارودية عام: (١٩١٤م) ، لأسرة عراقية طيبة.

■ عاش فترة قصيرة من طفولته بالبصرة، ولما بلغ عهد الصبا قرأ القرآن الكريم على الملا إبراهيم الأفغاني بمحلة الميدان، وتعلم بعض علومه في كتاتيب البصرة، ثم عاد والده إلى بغداد فدرس الحنفي في مدارسها: البارودية والمأمونية والحيدرية وأنهى دراسته الابتدائية فيها عام: (١٩٣م) .

■ وهو ما زال يافعا عمل مصححا ومحررا في مجلات بغداد الإسلامية، وفي الوقت نفسه واصل دراسته مساء إلى أن تخرج في كلية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ببغداد. وفي تلك الفترة اتصل بعدد من علماء عصره، منهم: الشيخ محمد القزلجي، والشيخ رشيد آل الشيخ زاده، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ العلامة سليمان سالم الكركوكلي.. وغيرهم كثير.

حياته العملية وإنجازاته

■ شغل منصب الإمامة والخطابة لأول مرة عام: (١٩٣٥م) في جامع المرادية، وفي عام: (١٩٣٩م) سافر إلى مصر لمواصلة دراسة العلوم الشرعية، وبعد عودته من مصر عمل في دائرة الأوقاف؛ وأخذ يتنقل بين الإمامة والخطابة في عدد من مساجدها، مثل: جامع عطا في الكرخ، وجامع نعمان الباجه جي في الرصافة، وجامع الوصي (الحرية حاليا) في محلة العيواضية، وجامع أمين الباجه جي، وجامع كوت الزين في البصرة، وجامع الكهية في الميدان.

■ درّس عام: (١٩٥٠م)، في مدارس وزارة المعارف، كما درّس العروض لست سنوات في كلية الإمام الأعظم.. وفي عام: (١٩٦٦م)، انتدب مشرفا لغويا في وزارة الإعلام العراقية، وأثرى الصحف العراقية والعربية بعشرات المقالات ذات الطابع الخاص، لاسيّما فيما يخص تاريخ بغداد وثقافتها الشعبية والمقام العراقي، كما قدم برامج دينية وثقافية في راديو بغداد وتلفازها.

■ أسس وترأس جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في بغداد التي ترعى اليتامى والمعوزين.. وسعى حثيثا في نشر العلم بصورة متطورة، وكانت ثمرة جهوده في ذلك أن تأسس المركز الإقرائي العراقي للقرآن الكريم عام: (١٩٧٧م) في جامع الخلفاء، وكان مديرا له، والذي اختص بتعليم أصول وقواعد التجويد وقراءة القرآن والإلقاء الصوتي، وكان الشيخ وزوجته يخدمان الطلاب ويعلمونهم مجانا.

■ درّس علم التجويد والقراءات القرآنية في معهد الفنون الموسيقية في بغداد، وأجرى في علم العروض تعديلات ونشرها في كتابه «العروض تهذيبه وإعادة تدوينه»، الذي يعد من أضخم مؤلفاته، والذي لقي نجاحا كبيرا في الأوساط الأدبية في العالم حتى ترجم إلى أكثر من لغة.

الحنفي والأزهر

■ (١٩٣٩م)، هو العام الذي شهد رحلة الشيخ جـ ل الحنفي الأولى إلى القاهرة، في بعثة لدراسة العلوم الشرعية في الجامع الأزهر، وتحديدا في كلية الشريعة، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية، حال دون استمراره في مصر، إذ عطلت الدراسة في سائر الجامعات المصرية ومن جملتها الأزهر، فعاد الحنفي إلى العراق في يوليو (١٩٤٠م).

■ بعد عودة النشاط الدراسي مرة أخرى عاد الحنفي ومكث بالقاهرة ٦ سنوات، وفي مذكراته يقول الحنفي عن تلك الفترة: «إن البعثة الدينية هذه كانت على نفقة الملك فاروق، وكانت الأوقاف تمنحنا شهريا ٣ دنانير والحكومة المصرية تدفع لنا مثلها كل شهر».

■ وعن الدراسة في الأزهر ذكر الحنفي: «إن العلوم الدينية هنا وهناك واحدة، وكانت تسمى عندنا في العراق الجادة، لكنها في الأزهر أدق تنظيما وأكثف تعليما وأغزر عطاء وأعلى في خريجيها عددا».

الحنفي والكويت

■ قبل هدم سور الكويت القديم، وتحديدا عام: (١٩٦٥م)، زار الحنفي الكويت، وقابل سمو الأمير الشيخ عبدالله السالم، رحمه الله، في قصر السيف، ثم عاد مرة ثانية عام: (١٩٥٩م)، بدعوة من دائرة الأوقاف حينها، التي كلفته بإمامة مسجد العوضي.. وفي تلك الزيارة وضع الحنفي لنفسه برنامجا يوميا قاسيا لجمع مفردات العامية الكويتية، فكان يتجول في الأزقة والشوارع بحثا عن أسماء ما تقع عليه عينه، ما أثمر بعد ذلك جمعه لكتاب «المعجم للعامية الكويتية».

■ في عام: (١٩٦٠م)، رجع إلى الكويت مرة ثالثة ليتثبت من ألفاظ في معجمه اضطرب عليه تفصيل حالها.. وفي تلك الزيارة سجل مظاهر التقدم والحداثة التي اصطبغت بها الكويت.. بعدها عاد إلى العراق، وفي عام: (١٩٦٤م) طبع كتابه «معجم الألفاظ الكويتية» من خمسمئة نسخة فقط.

الحنفي والصين و«الصينية»

■ كانت للصين مع الحنفي قصة طويلة شيقة، فقد سافر إليها ثلاث مرات، جميعها بتكليف من الحكومة العراقية: في السفرة الأولى، وكانت عام: (١٩٦٦م)، أوفدته الحكومة العراقية إلى بكين لتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية بمدينة شنغهاي، وبقي في الصين يدرس حتى عام: (١٩٦٩م).. وكانت رحلته الثانية عام: (١٩٧٧م) واستمرت نحو عامين، بينما كانت الثالثة عام: (١٩٨٧م).

■ خلال فترة مكوثه الأولى بالصين، والتي استمرت ما يزيد على ٣ سنوات، عكف الحنفي على تعلم اللغة الصينية عن طريق السماع والاختلاط والدراسة، والعجيب أنه لم يتقنها أحسن إتقان فحسب، بل كتب مسودات لقاموس «عربي - صيني» لم يُسبق إليه.

■ هدف الحنفي من وراء قاموسه هذا كان مساعدة العرب على نطق المقاطع الصينية من خلال حروف تحاكي الأصوات الصينية؛ فعلى سبيل المثال: جعل أربع نقاط لحرف النون في حالة إشباعه بشكل واسع، وثلاث نقاط في حالة أخرى أقل، ونقطتين.. وهكذا جرى العمل على حروف أخرى، لكن هذا القاموس لم ير النور، حيث تسرب ماء البحر إلى مستودع الباخرة التي كانت تقل أمتعة الحنفي إلى العراق، وكان ضمنها أوراق هذا المشروع العظيم، فمحت كل ما كتب.

تركته العلمية

■ تعددت مؤلفات الحنفي التي قدمها للمكتبة العربية والإسلامية وتنوعت حتى بلغت ما ينيف على (٤٠٠) ما بين مجلد بأكثر من (١٠) أجزاء وكتيبات صغيرة الحجم، فضلا عن مخطوطات جليلة تنتظر من يأخذ بيدها وينشرها، منها الأجزاء الباقية من مؤلفه «معجم اللغة العامية البغدادية»، الذي يقع في (٧) أجزاء، طبع منها ٣ في حياته، وبقيت الأخرى تنتظر الطبع. ومن مؤلفاته: «أحاديث من وراء الميكرفون»، و«لا صلح مع إسرائيل»، و«المرأة في القرآن»، و«معجم الألفاظ الكويتية»، و«شهر رمضان».. وغيرها كثير.

وفاته

■ توفي الحنفي، رحمة الله عليه، وأسدل الستار على حياة عالم عراقي كبير في بغداد فجر الأحد (٤ مارس ٢٠٠٦م)، ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي الواقعة في جانب الرصافة من بغداد.

مساهماته مع «الوعي»

■ للشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي مساهمة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان، «الدم المسفوح بين التفسير واللغة»، نشرت في العدد: (٥٣).

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- مواقع إلكترونية عدة: «ملاحق المدى»، «مركز النور للدراسات»، «مجلة الكاردينيا»، «الصدى.نت»، «موقع ديوان العرب»، «موقع الزمان العراقي».

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

وزير الديوان الملكي

أحمد بن سودة

■ من أسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، وهم رواد المنابر الشهيرة بالعاصمة العلمية المغربية فاس.. وكان صحافيا لامعا وعمل مديرا للديوان الملكي ومستشارا للملك لمدة تتجاوز ربع قرن.

■ خطيب مفوه؛ مرتجلا لا قارئا.. وصف برجل الدين الذي ارتدى القبعة السياسية من أجل بناء دولة الاستقلال، وبالوطني الغيور، والصحفي البارع، والمحلل السياسي المحنك، والشاعر المبدع.. وعرف بثقافته العربية الواسعة.

■ يتمتع بشخصية إشعاعية؛ فطباعه وخصائصه وتربيته الدينية ومبادئه الإنسانية، جعلته، وعلى مدى عقود من الزمان، يلعب دورا وطنيا وسياسيا وإعلاميا عظيما.. لذا تجده يتقن اختيار كلماته بعناية شديدة ثم يطلقها مدوية كأنها تتدفق لهبا.. كما أنه يجيد تحسس خطاه فتراه يبتعد بمقدار ويقترب بمقدار، ويدلي برأيه صريحا.. لكن بالنهاية تجده رهن الإشارة في الملمات ومواسم الرياح الهوجاء.

■ من الرعيل الأول في المغرب، ومن مؤسسي التعليم الحر فيه، إذ أسس أول مدرسة حرة في فاس، وهو أحد أكبر رموز الحركة الدينية والوطنية والسياسية والثقافية، ومن المجاهدين الأولـ الذين خبروا السجون والمعتقلات في كفاح المغرب الوطني ضد الحماية الفرنسية، وهو الشخصية الأكثر شهرة في عهد الحسن الثاني.. إنه وزير الديوان الملكي المستشار أحمد بن سودة.

النشأة والتعليم

■ ولد أحمد بن يحيى بن سودة يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ١٩٢م، في مدينة فاس لأسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، إذ كانوا رواد المنابر الشهيرة في العاصمة العلمية المغربية فاس.

■ ورث التعلق بالعلماء والجمع بين الثقافة والإعلام والدين والسياسة عن والده، الذي يتحدر من قبيلة «مرة» من قريش.. أجداده هاجروا من مكة إلى اليمن إلى دمشق ثم إلى الأندلس (في عهد الأمويين)، واستقروا في غرناطة ومنها دخلوا المغرب، حيث استوطن أكثرهم مدينة فاس.. أما أمه فتتحدر من بيت توارث العلم والصلاح والتقوى ينتمي لبيت الحسين حفيد رسول الله ﷺ.

■ في كتاتيب فاس تابع بن سودة دراسته الأولى، فتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الخضراء، وعندما أنهى دراسته الابتدائية التحق بجامعة القرويين.

المشوار العملي

■ بدأ بن سودة حياته العملية باكرا؛ فزاول نشاطه الأدبي منذ أن كان طالبا فأسس جمعية النبوغ والعبقرية، كما شارك أيضا في العمل الوطني، فالتحق بالحركة القومية، ثم بحزب الشورى والاستقلال، ثم بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وشارك في عدة مؤتمرات للدفاع عن استقلال المغرب، وفي عام ١٩٤٧م أصدر جريدة الرأي العام.

■ تكوين بن سودة العلمي سمح له بتبوؤ مناصب عليا بعد حصول المغرب على استقلاله؛ فاستوزر عدة مرات خلال خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، كما شغل عامل إقليم الرباط، ثم عمل مديرا للإذاعة والتلفزة، ثم سفيرا للمغرب في لبنان (مرتين)، ثم مديرا للديوان الملكي، ومستشارا للملك.

«قمة بمن حضر»

■ خلال الثمانينيات أصبح المغرب قبلة للقمم العربية، وبحكم خبرته العالية بأمور الوطن العربي، أوكل إليه الملك الراحل الحسن الثاني مهام دقيقة، من بينها تليين مواقف الذين كانوا يتمنعون عن الحضور، وهو صاحب العبارة الشهيرة «قمة عربية بمن حضر».

تغني بن سودة بدار مولده

■ دار الفقيه سيدي يحيى (والده، الذي رزئ بفقدان أولاده واحدا تلو الآخر) في فاس هي الدار التي فتح بن سودة عينيه على حيطانها وفضائها وزواياها وغرفها وأناسها

والمترددين عليها.. تلك الدار لم تكن بالنسبة إليه مجرد دار ولد وتربى بين جدرانها وغرفها، بل كانت جزءا لا يتجزأ من شخصيته ووجوده، ففيها بدأ وعيه بالتشكل: «هي دار تعج بالذكريات.. ففيها تربى الكثير من جدودي وأعمامي.. يزورها أفراد العائلة من كل مكان.. مدخلها عبارة عن غرفة استقبال مفتوحة للزوار (...) تضرب له المواعيد ويقصده الأعيان والزوار والعلماء، وبه تدور الأحاديث والندوات، وتحل المشاكل ويتبادل الحاضرون شجون الحياة وشؤونها».

■ لم تكن الدار التي يتغنى بها بن سودة من تلك الدور الفخمة التي تعرف ببذخ معمارها وسعة يد أهلها، بل: «كانت دارا متواضعة، لكنها مرموقة (...) تعرف بأسرتها ومكانتهم في مجتمع يجل العلم والصلاح قبل أن يصنف المال والثروة عنوانا للجاه والأثرة والتميز الاجتماعي».

■ وعندما بدأ بن سودة يكبر رويدا رويدا: «وجدت عمي محمد خطيبا بمسجد سيدي أحمد الشاوي وعمي العابد خطيبا بالحرم الإدريسي، وعمي عمر خطيبا بمسجد الرصيف، ومحمد خطيبا بمسجد الأندلس، وعمي عبدالرحمن يخطب بالتناوب بمسجد بني جنود، وعمي العربي خطيبا بمسجد باريز.. كما كان بالقرويين عدة علماء سوديون يقومون بالتعليم والوعظ والإرشاد.. ففي هذه الدار التي كان يجتمع فيها كل هؤلاء ولدت ونشأت وبدأ وعيي يتشكل».

منجزات إحسانية

■ أنشأ بن سودة، رفقة شقيقه محمد، جمعية الزاوية الخضراء للتربية والثقافة بهدف احتضان ٥ آلاف طفل يتيم وفقير ومهمش في جملة من المدن المغربية.

■ لم يكتف بن سودة بتأسيس مكتبة ثقافية في فاس، بل جعلها وقفا علميا وثقافيا بعد تزويدها بأمهات المصنفات العلمية والدينية والثقافية.. فقد كانت تحوي نحو: ٦٥٩ مخطوطا، و١٠١٥ مطبوعا حجريا، و١٧٤٤٨ كتابا، و١٨٩٣ مجلة (٢٩٦ عنوانا)، و٣٩ أطلسا و٧٥ ملفا من الوثائق التاريخية (١٧٠ عنوانا) و٣٠ جريدة.. وما زالت المكتبة تفتح أبوابها في وجه العلماء والأساتذة والباحثين والطلاب وعموم القراء.

■ من أعماله التي حرص أن تظل سرية ومحجوبة إصلاحه وترميمه للعديد من المساجد من ماله الخاص. كما دعم عددا من الطلبة المعوزين في جامعة القرويين بفاس والجامعات الأخرى، وذلك بمنح سرية لا يعلم المستفيدون منها مصدرها.

ثقة الأسرة المالكة ببن سودة

■ تكوينه الثقافي والسياسي وقبلهما الديني، أهله لتولي مناصب مرموقة في المغرب، أبرزها الديوان الملكي، ما مكنه من الاقتراب أكثر من الأسرة المالكة.. وعندما توترت الأجواء بين سفير المغرب بلبنان والصحافة اللبنانية، لم يجد الملك محمد الخامس بدا من إرسال بن سودة خلفا لسفير المغرب في لبنان آنذاك لتلطيف الأجواء ورسم صورة ألمعية للمغرب، وكان بن سودة عند حسن ظن الملك، إذ استطاع بحنكته وذكائه أن ينسج خطوطا ويمد جسور تواصل مع الجميع.

■ ومثلما اعتمد عليه محمد الخامس ووثق به وبقدراته، كان أيضا علبة أسرار الملك الحسن الثاني، الذي ائتمنه على أسرار الدولة ومواقفها، وكثيرا ما أوفده في مهمات سرية إلى رؤساء دول عربية، بحكم صداقات بن سودة العربية، وما يحظى به من ثقة، وما يربطه من صلات، لاسيما مع الكويت.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور أحمد بن سودة مشاركتان مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءتا تحت عناوين: «طهر بـ د القدس (قصيدة)» (ع:٣٩): «القضية الزمزمية (مناجاة)» (ع:٤٨).

وفاة بن سودة.. وتعزية ملكية

■ أقعد المرض والشيخوخة بن سودة لسنوات قبل أن يترك المغرب عام ٢٠٠٨م إلى دار البقاء، وحرص ملك المغرب محمد السادس على أن يكون تواري بن سودة مقرونا بتكريم لائق، فنعاه الديوان الملكي، وأبرق الملك إلى أفراد أسرته معبرا عن حزنه وعن: «فداحة الرزء في فقدان أحد رجالات الوطنية الرواد الذين أبلوا البلاء الحسن في الكفاح الوطني ومعركة التحرير، وبناء المغرب الحر»، مؤكدا أن «المغرب إذا كان قد فقد بوفاته واحدا من رعيل المواطنة الصادقة، فإننا نستشعر بكل تقدير أعماله الجليلة كواحد من الأساتذة والفقهاء الذين نهلنا من معين معرفتهم، وعلومهم».

هشام الصباغ
باحث لغوي

قاضي حلب وفقيهها

أحمد مهدي الخضر



■ في النهل من العلم وحبّ التعليم له نشاط الشباب وهمة الرجال الأشداء.. وقد ظل منهمكا في بثّ العلم وعقد مجالسه، التي كان يحضرها صفوة من العلماء والنبهاء والفطناء، رغم تجاوز عمره التسعين.

■ مليء علما وفقها وتذوقا، يكره التعصب لمذهب واحد وقلبه لا يسلمه إلا لكتاب الله فقط، ومع دونه فهو عالم محقق مدقق غواص في المسائل كثير التبحر.. حسن الحفظ سريع الفهم متمكن في علوم النحو والصرف والتراجم.

■ عُرف بشخصيته القوية المؤثرة، صادق اللهجة، واسع الرؤية، دقيق العبارة، له دراية كبيرة في مجتمعه، لا يُخدع، إذا جاءه خبر لا يحكمُ بموجبه حتى يتحقق، فإذا تحقّق أعطى حكمه المتزن العادل، بلا خوف ولا وجل، لا محاباة ولا مماراة.

■ سهل المعشر، دمث الخلق، ذا دين متين، وتقوى ويقين.. ترد المسائل الفقهية والقانونية عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأتقن خطاب، وبألطف عبارة.

■ فكره منظم تحليلي يجعلك تنصت لرؤاه ومنطقه.. وملكته الفقهية والأصولية ميزته عن غيره، وكان له جَلدٌ في نشر العلم، خصوصا علمي الفقه والأصول، كما له تحليلات حسنة في علم العربية، وله بصمات واضحة على كل من تفقه في المذهب الحنفي، ولم يزل مجدا في نشر العلم حتى أصبح يشار إليه بالبنان في حلب الشهباء.. إنه الفقيه، القاضي، المحامي، العالم العامل، الشيخ أحمد مهدي الخضر.

المولد والنشأة والتعليم

■ ولد الخضر في حلب في يونيو ١٩٢٣م، لأب يعمل شرطيا (ما صبغ حياته بالانضباط والالتزام والشرف)، ولجد (الشيخ خضر رحمه الله) فقيه حنفي له منظومة لمتن نور الإيضاح للشرنبلالي في الفقه الحنفي، (وهو ما طبع حياته بحب العلم، لا سيما العلوم الدينية).. وذكر أحمد قدامة في كتابه: «معالم وأعلام»[1] أن أصله من مصر.

■ لم يدرس المرحلة الابتدائية في المدارس الرسمية، لكنه التحق بكُتّاب الشيخ عاشور، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن، وبعد أن من الله عليه بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، تعلم حياكة النسيج اليدوي كمهنة يستطيع التكسب منها.

■ وهو في عمر الـ ١٤ من عمره انتسب إلى المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية في حلب) عام ١٩٣٧م، وداوم عاما ثم تقدم إلى اختبار فقبل رسميا في الصف الأول الشرعي وتخرج فيها عام ١٩٤٥م، وحصل على الكفاءة في العام نفسه مع الثانوية الشرعية، ثم حصل على البكالوريا (الثانوية العامة الثانية) عام ١٩٤٦م، وانتسب في العام نفسه إلى كلية الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٤٩م بعد ٣ سنوات متفوقا بالدرجة الأولى.

شيخه النبهان

■ بعدها تم إبلاغه من قبل الجامعة بالتهيؤ والاستعداد للإيفاد إلى مصر على حسابها لتكملة دراسته حتى الحصول على الدكتوراه، لكن في اللحظات الأخيرة تم استبعاده واستبدل بأحد الطلبة غير المتفوقين، وكان ذلك الحرمان من الإيفاد خيرا له دينا، إذ تعرف بعدها على الشيخ محمد النبهان وصحبه حتى وفاة الأخير.

■ كان الخضر يعتبر النبهان شيخه الوحيد، فكتب بخط يده: «المرحلة المهمة في حياتي: منذ تعرفت على الشيخ محمد النبهان».. وعندما سأله أحدهم يوما عن مولده، أجاب: «ولادتي عام تعرفي على السيد النبهان».

أشياخه وأقرانه في «الخسراوية»

■ كما سبق أن ذكرنا أن الخضر يعتبر النبهان شيخه الوحيد، غير أنه تتلمذ على يد نخبة من أساتذة العربية والعلوم الشرعية والقانونية، فمن أساتذته في «الخسراوية»: الشيخ عمر المرتيني، والشيخ المتكلم محمد فيض الله الأيوبي، والشيخ الفرضي عبدالله

المعطي، والشيخ محمد الجبريني، والشيخ المقرئ الفرضي محمد نجيب خياطة، والشيخ المحدث المؤرخ محمد راغب الطباخ، والأستاذ أمين الله عيروض، والشيخ ناجي منصور.. وغيرهم، رحمهم الله جميعا.

■ ومن شيوخه في كلية الحقوق: الشيخ الدكتور أبو اليسر عابدين، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ علي الطنطاوي.

■ ومن أقرانه في «الخسراوية»: الدكتور محمود ناظم النسيمي، والمحامي عبدالأعلى العلبي، والشيخ محمد ثابت الكيالي (مفتي إدلب سابقا)، والأستاذ محمد حكمت، والشيخ طاهر خير الله، والقاضي عثمان الكردي، رحمهم الله تعالى جميعا.

أعماله ومناصبه الوظيفية

■ عين قاضياً شرعياً أواخر عام ١٩٤٩م، ومارس القضاء فعليا في ١١ يناير ١٩٥٠م، فعمل قاضيا في منطقة جبل الأكراد/عفرين، وعين القاضي الشرعي الأول عام ١٩٥٤م، ثم صدر قرار بعزله من القضاء بسبب ترشحه للمجلس النيابي ضد الشيشيكلي[٢] وبسبب هذا القرار سقطت الوزارة، ثم باشر المحاماة في هذا العام حتى تقاعد أواخر عام ٢٠٠٣م (أي بعد نحو خمسين عاما).

■ خلال عمله بالمحاماة أسندت إليه وزارة الأوقاف السورية عام ١٩٦٣م، لستة أشهر في حكومة محمد عمران، عندما كان أمين الحافظ رئيسا لسورية.

■ وفي تلك الفترة الزمنية البسيطة، ترك الوزير الخضر أثرا كبيرا، إذ دعا إلى مؤتمر لوزراء الأوقاف الإسلامية وانتخب رئيسا له، وطالب في أول خطاب له بالمؤتمر بتوجيه ثروات أوقاف المسلمين لغايات الواقفين الإسلاميين، وتخصيص جزء من تلك الأموال لنشر الإسلام في إفريقيا ومكافحة الصهيونية في القارة السمراء.. كما جهز مشروعا لربط القرى والنواحي والأقضية والمحافظات السورية في خطة أعدها لتهيئة جميع المساجد السورية لمكافحة أميّة السوريين.

■ تولى تدريس الديانة في الكلية الإسلامية بحلب لعامين بعد اعتزال القضاء وخلال الفترة الأولى من المحاماة، وقبل ذلك درّس في ثانوية الصنائع في حلب، وثانوية الفتاة العربية، كما درّس قواعد اللغة العربية في مدرسة ليلية في جامع العثمانية بحلب للعمال المحترفين الذين يعملون في النهار ويتفرغون للدراسة ليلا وكان ذلك خلال دراسة الحقوق في الجامعة السورية في دمشق.

■ درّس في المدرسة الشرعية في منبج (دار الأرقم) علم الفرائض حسبة لله لمدة ١٨ عاما، كما تولى إدارة مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) لعامين ونيف بعد وفاة مديرها شيخه المربي الفاضل محمد النبهان.

دعوته وإنتاجه العلمي

■ أفنى الشيخ سنين طويلة من عمره في إفادة الناس عبر نشر العلم بينهم ممزوجا بالتربية، وكانت دروسه دون كلل أو انقطاع (حسبة لله) في عدد من جوامع حلب: جامع النور في سيف الدولة (بعد عصر الجمعة وفجر السبت)، وجامع العادلية (بعد صلاة عشاء الخميس)، وجامع الغفران (بعد صلاة عشاء الثلاثاء)، هذا بخلاف دروسه في منزله ومنازل طلابه وأصحابه.

■ من أهم الكتب التي درّسها: «حاشية ابن عابدين»، و«الموافقات» للشاطبي، و«موطأ الإمام مالك»، و«حياة الصحابة» للكندهلوي، و«رياض الصالحين»، و«الاختيار»، و«نسمات الأسحار»، و«بهجة النفوس»، و«الأدب النبوي»، و«بلوغ المرام»، و«نيل الأوطار» للشوكاني.

■ ومن آثاره العلمية: صنف كتاب المختار الجامع للأحكام والآثار من كتابي رد المحتار (حاشية ابن عابدين) وإعلاء السنن، وهو أول من صنف فهرس عصري لحاشية ابن عابدين مقارنا مع القانون، وهو صاحب فكرة إنشاء الموسوعة الفقهية في الكويت.

مساهمته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «الشريعة بين العاطفة والتنظيم» في العدد: ١٥.

وفاته

■ توفي الشيخ، رحمه الله، ببيته في حلب ظهر الخميس ٢٨ فبراير ٢٠١٣م، عن عمر يناهز الـ٩٠ عاما، وصلّي عليه بعد العصر في جامع الغفران بحلب الجديدة، ودفن في الجامع نفسه.

الهوامش

١ - كتاب معالم وأعلام في بلاد العرب: هو موسوعة تاريخية، جغرافية، أثرية، طبوغرافية، وتراجم للأشخاص، وضبط للأسماء والألفاظ، وشرح للتعابير والمصطلحات المتداولة، مرتبة بحسب الحروف الهجائية.

٢ - هو العقيد أديب بن حسن الشيشكلي (١٩٠٩م في حماة - ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤م في البرازيل) رئيس سورية بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٤م (ويكيبيديا).

المصادر

- رابطة العلماء السوريين.
- رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة التاريخية لعلماء حلب.
- موقع تراجم عبر التاريخ.

هشام الصباغ
باحث لغوي



حادي الصحوة الإسلامية

أحمد محمد الصديق

● بنفس راضية، وثغر باسم، وصبر جميل، تغرب عن أهله ووطنه، فارا من ذل الخضوع لسلطان الاحتلال، متجشما في سبيل ذلك وعثاء السفر، ووعورة الطريق، ومخاطر الحدود، بين الكيان الصهيوني ولبنان.

● بثبات شقت موهبته طريقها، وبقوة أثبتت وجودها، فشاعريته فياضة، وطبعه سخي، وقدرته على التحليق الروحي والإبداع الفني عالية.

● شاعر اقتاتت قضايا الأمة قلبه.. وبقلمه ووقته وعلمه حمل لواء الدفاع عنها في كل مكان، وامتزجت فيه الشخصيتان الدعوية والشعرية في آن.

● شعره -لا دراساته وشهاداته- يفضح سريرته، وسيرته كتاب مفتوح، يتسع باتساع جغرافيا جرحنا العربي والإسلامي الغائر، لأنه وضع أمته على منكبيه أنى حل أو ارتحل، يصوغها قصيدة فرح في لحظات صفائه، ويحيلها بركانا لا يعرف الخمود إذا استبدت به الأحزان.. ولذا فإنه يصدق فيه قول علي بن الجهم(١):

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ❖❖❖ ولكن أشعاري يسير بها ذكري

● تصاويره الشعرية تنساب في عبارات وجمل وألفاظ ليست من الوحشي الغريب، ولا السوقي المبتذل؛ فهو يحسن سبكها، ويجود نظمها، فتخرج كأنها حبات عقد لؤلؤي، نظمه جوهري خبير، أو قلادة ذهبية، أجاد صنعها صائغ قدير.

● حول محورين أساسيين يدور شعره: (دينه، ووطنه)؛ ودينه هو الإسلام، ووطنه هو فلسطين، فحولهما يدندن، ولهما أو عليهما يغني أو يبكي.. استطاع أن يحول الحزن من ذرف الدموع وإطلاق العويل، إلى ثورة على الباطل، ودعوة إلى الحق، يجتمع فيها الشتات، ويحيا الموات، وتعلو راية الله، يحملها رجال مؤمنون، يعيدون من جديد «صلاح الدين» ويحيون ذكرى «حطين».. إنه حادي الصحوة الإسلامية الشيخ الأستاذ الشاعر الفلسطيني: أحمد محمد الصديق (أبو رياض).

المولد والنشأة والتعليم

● قريبا من عكا في فلسطين الحبيبة، وفي (٧) ديسمبر (١٩٤١م)، ولد الشاعر أحمد محمد الصديق، في قرية شفا عمرو(٢) (قضاء حيفا)، التي قضى فيها طفولته وصباه وبداية شبابه، وكان الولد الوحيد لأهله بين ثلاث بنات، وأخ توفي قبل ولادته.

● نشأ في أسرة مسلمة محافظة ميسورة الحال، غلب عليها الفقر -بعد يسر سابق- بسبب الإجراءات التعسفية التي قام بها الإنجليز بعد ثورة: (٣٦) وما تبعها من نكبة وتشريد.

● لثماني سنوات درس الصديق المرحلة الابتدائية في مدرسة شفا عمرو.. وبمنحة حكومية انتقل بعدها إلى حيفا ودرس في مدرستها الأرثوذكسية الثانوية سنتين بعد الابتدائية (وفق النظام التعليمي المعمول به ذاك الوقت)، لكنه لقي أثناء دراسته فيها عنتا شديدا بسبب حواجز الاحتلال الصهيوني.. وبعدها ولسنة واحدة درس في مدرسة كفر ياسيف الثانوية غير أنه لم يكمل دراسته فيها حيث خرج من فلسطين المحتلة أيام العدوان الثلاثي على مصر عام: (١٩٥٦م)، مهاجرا إلى لبنان.

● في عام: (١٩٦٠م)، غادر لبنان إلى قطر، وهناك التحق بمعهدها الديني الثانوي بالدوحة عام: (١٩٦٣م)، والتقى فيه بخيرة الأساتذة والعلماء، وتخرج منه عام: (١٩٦٦م).

● بعد أن تخرج من معهد قطر الديني، سافر إلى السودان، ودرس فيه الشريعة في جامعة أم درمان الإسلامية حتى حصل على شهادة الليسانس عام: (١٩٧٠م)، ثم اتجه إلى مصر لإكمال دراسته العليا، ومن جامعة الأزهر العريقة تحصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية، ثم آب قافلا إلى قطر مرة أخرى ليحصل فيها على الدبلوم العام في

التربية من جامعة قطر، التي حصل على جنسيتها عام: (١٩٩٦م).

حياته العملية

● باكرا، وفي فلسطين المحتلة، بدأ حياته العملية، تحديدا وهو في السنة الثامنة الابتدائية، حيث شارك بشعره في مهرجانات ومناسبات فلسطينية عديدة، وحين سافر إلى السودان لم تشغله دراسته عن نشاطه الدعوي وإلقاء قصائده في مختلف المناسبات والندوات وفي الصحف والمجلات، وأشهرها مجلة الميثاق الإسلامي.

● الندوات الشعرية في قطر والإمارات والكويت والبحرين شهدت حضوره شاعرا محلقا مجليا أصيلا، والكثير من قصائده الملقاة فيها أنشدت وانتشرت على نطاق واسع، وقد نشرت له مجلة: «الأمة» و«الحق» القطريتان، و«المجتمع» و«الوعي الإسلامي» الكويتيتان، و«الإصلاح» و«منار الإسلام» الإماراتيتان، و«الفيصل» و«المسلمون» السعوديتان، و«البعث الإسلامي» الهندية، و«الشهاب» اللبنانية.. وغيرها من المجلات والصحف.. كما أن بعض قصائده دخلت ضمن مقررات مناهج اللغة العربية في بعض البلاد العربية.

● لثماني سنوات عمل مدرسا في قطر، ثم انتقل للعمل رئيسا لأحد أقسام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ولعشرين عاما كان عريفا لمواسمها الثقافية، ثم عمل خبيرا شرعيا أول بإدارة الشؤون الاسلامية، ولخمس وعشرين عاما تولى خطابة الجمعة في قطر ثم اعتزل إثر مرض ألم به.

نموذج من شعره

● إسلاميات الصديق في دواوينه تستغرق معظم قصائده، فقد آمن بالإسلام، عقيدة وشريعة، عبادة وقيادة، دينا ودولة، حضارة وأمة، مصحفا وسيفا، أخلاقا وجهادا، وهذا الإيمان الواعي الشامل، نجد صورته ماثلة في شعره: من قصائد تتغلغل في أعماق النفس، أو تسبح في آفاق الوجود، إلى أخرى تبين محاسن الشريعة أو تذود عنها، إلى ثالثة تتحدث عن قضايا الإسلام من المحيط إلى المحيط، إلى رابعة تحيي ذكريات الإسلام وبطولاته وأمجاده على امتداد أربعة عشر قرنا.

عودي إلى الإسلام عودي
وتنسمي عرش الوجود
عودي إلى النبع الأصيل
إلى نبوغك من جديد
عودي إلى الأمجاد بعد
متاهة الفكر الشرود
بعد ارتحال لاهث
خلف السراب بلا ورود
لك صبغة الرحمن أشرف
ما اكتسيت من البرود
وشريعة غراء واضحة المعالم والحدود
هلا اهتديت بهديها
إن شئت حقا أو تسودي

إنتاجه الأدبي

● حمل الصديق بين جوانحه عالمه الإسلامي المنشود، فأثرى المكتبة العربية والإسلامية بما يرمم ما تهدم من ذلك العالم ويزين جنباته بشعره الأخاذ، فأطلق: «نداء الحق»، وقدم رؤيته لـ «الإيمان والتحدي»، ذلك التحدي الذي جعله يسطر أنشودة الظفر في «ملحمة الشيشان»، وينادي بحرقة المؤمن الملتاع «يا سراييفو الحبيبة» غير ناس أن يكتب في هدوء الداعية ووقار المربي «قصائد للفتاة المسلمة»، مسرجا حصان الروح ليغرد مع «طيور الجنة».. وهي كلها عناوين لدواوين شعرية أصدرها، وكثير غيرها، شاعرنا الفريد.

مساهمته مع «الوعي»

● للأستاذ الشاعر الشيخ أحمد محمد الصديق ثلاث مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «صراع» (قصة) (ع:٥١)، «صيحة فدائي» (قصيدة) (ع:٥٨)، «يا مسلمون» (قصيدة) (ع: ٦١).

وفاته

● عن عمر يبلغ (٧٦) عاما، وبعد رحلة طويلة مع الفكر والأدب الإسلامي، فقدت أمتنا الإسلامية والعربية الشاعر الكبير الشيخ أحمد محمد الصديق يوم الأحد (١٤) مايو (٢٠١٧م).

الهوامش

١- علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد القرشي، كنيته «أبو الحسن»، أحد شعراء الدولة العباسية، ولد سنة: (١٨٨هـ)، ومات سنة: (٢٤٩هـ).

٢- يقال إن الصحابي الجليل عمرو بن العاص مر بها زمن الفتوح مريضا وشرب من نبعها المعروف بـ«عين عافية» فتعافى من مرضه ونادى أصحابه: «شفي عمرو» فسميت بهذا الاسم.

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي»، (ج١).
- موقع إسلام أونلاين.
- موقع إسلام ويب.
- رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



عميد أدب «المقاومة»

إسحق موسى الحسيني

■ لا معلومات عن معين استقائه الصلابة والعناد في المواقف، رغم وافر ما لديه من الأدب الجم ودماثة الخلق واللين والتواضع وعفة اللسان والهدوء التي ورثها من جوّ أسرته الاجتماعي.

■ أمام محنة سرقة الأرض ونهب الخيرات وإبادة التراث ومحو التاريخ وقلب الحقيقة وتشويهها؛ حتى تصير الأكاذيب حقائق والسلب حقا والعدوان دفاعا والأرض العربية صهيونية، أمضى أكثر من خمسة وستين عاما من حياته في العناية بالقدس، حاملا راية الجهاد بالكلمة التي تخلق الوعي، وتنشط الذاكرة، وتحمس النفس، وتجعل التاريخ حيا في القلوب، وتشعل جذوة اليقظة، وتمد الأمة بزاد من التجارب التي تجعلها أكثر قدرة على المقاومة ودفع الواقع المفروض، وإن طال الزمان وكثر الخائنون وتربصوا بها الدوائر.

■كان يعمل بالقاهرة وقت سقوط مدينة القدس الشرقية في يد الصهاينة سنة: (١٩٦٧م)، فأهمَّه الأمر، ونذر نفسه للتوعية بقضية القدس؛ محاولا إحياء تراثها، وجمع مآثرها، وتدوين أخبارها، والدعوة للعودة إليها، فكتب عن عروبتها، وعرف بفضائل بيت المقدس، باعتباره من المقدسات التي تصان ولا يجوز التفريط فيها، وقاد قسم فلسطين في معهد البحوث والدراسات العربية؛ ليسهم في تخريج متخصصين يعملون على تعبئة طاقة أمتهم، كما اتصل بعدد من المفكرين، وأسس معهم في القاهرة هيئة القدس العلمية.

■ إنه العالم المقدسي وشيخ أدباء فلسطين: سنّا، ومعرفة بالأدب القديم، وإحاطة بالأدب الحديث، وإدراكا لدوره من حيث إنه مدرس لهذا الأدب وباحث فيه وفي غيره من الموضوعات التي تَمُتُّ إلى الثقافة العربية الإسلامية بأدنى صلة.. الأستاذ الدكتور الشاعر الصحافي الكاتب الأديب: إسحاق موسى الحسيني.

النشأة والتعليم

■ في مدينة القدس، وفي حارة السعدية، ولد إسحاق موسى الحسيني عام: (١٩٠٣م)، لأسرة عريقة ذات حضور وطني وديني بارز وفي بيت تقوى وعلم وأدب، وكانت أسرته تنتمي إلى الدوحة الحسينية الطيبة التي كان لها في المدينة المقدسة دور كبير، إذ زودتها بفئة من علماء الدين والقضاة ونيابة الأشراف، فضلا عن الذين عملوا في السياسة، وهي الأسرة نفسها التي أنجبت الشيخ أمين الحسيني وعبد القادر الحسيني وغيرهما من قادة الجهاد في فلسطين.

■ في سن مبكرة أرسله والده إلى الكتاتيب ليتعلّم القرآن ومبادئ القراءة والحساب، لكن والده توفي وهو ما زال في السابعة من عمره، فتولت والدته مسؤولية تعليمه غير أنها نقلته إلى التعليم النظامي.

■ تنقّل الحسيني بين مدارس عدّة في القدس، فالتحق بـ«المدرسة الرشيديّة» وعمره لم يتجاوز العاشرة، ثم انتقل إلى «مدرسة السلطان سليم» حيث تعلّم اللغتين العربية والتركيّة.

■ بعدها وفي عام: (١٩١٥م)، التحق بـ«الكلّية الصلاحيّة» (أنشأتها الدولة العثمانية في القدس لتكون مثل الأزهر في مصر)، ودرس فيها التربية الإسلاميّة واللغة العربيّة وبعض مبادئ اللغة الفارسيّة، وبقي فيها حتى أغلقتها سلطات الاحتلال البريطاني سنة: (١٩١٧م)، ثم انتقل إلى «مدرسة الفرير»، حيث أمضى فيها سنتين ليلتحق بعد ذلك بالكلّية الإنكليزيّة المعروفة باسم «كلّية الشباب»، وفيها أنهى تعليمه الثانوي، وفيها درس اللغة العربية على الأستاذ نخلة زريق الذي شجّعه على التخصّص بدراستها.

■ بعدما أنهى تعليمه الثانوي في «كلية الشباب»، توجه إلى القاهرة ليستكمل دراسته الجامعية، فالتحق بالجامعة الأميركية بالقاهرة ودرس في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

حياته العملية

■ بعدما أتم دراسته في القاهرة عاد إلى القدس ليعمل معلما في الكلية الرشيدية، لكن نفسه نازعته إلى القاهرة مرة ثانية، فعاد إليها والتحق بكلية الآداب، وتخرج فيها عام: (١٩٣٠م)، ثم شد الرحال إلى لندن،

والتحق بمعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن، ومكث به أربع سنوات توَّجَهَا بحصوله على درجة «الدكتوراه» في الآداب عام: (١٩٣٤م).

■ عاد الحسيني إلى القدس، وعمل مدرسا للأدب العربي بـ «الكلية العربية» (كانت وقتذاك أعلى مؤسسة تعليمية في فلسطين)، وظل يعمل فيها حتى عام: (١٩٤٦م)، وبعد تركه «الكلية العربية» عمل مفتشًا أول للغة العربية في حكومة فلسطين حتى عام: (١٩٤٨م)، ثم غادر فلسطين بعد نكبتها إلى لبنان، وعُيِّن أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأميركية ببيروت عام: (١٩٤٩م).

■ بعد (٦) سنوات قضاها أستاذا في بيروت، رحل مرة أخرى إلى القاهرة، لكن هذه المرة استقر بها نحو (١٨) عاما.. وفي أثناء هذه المدة كان يعمل أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأميركية بالقاهرة إلى جانب قيامه بالتدريس في معهد «البحوث والدراسات العربية» التابع لجامعة الدول العربية.

القاهرة تشكل تكوينه الفكري

■ الأعوام التي أمضاها إسحق موسى الحسيني في القاهرة كان لها الأثر الأول والأكبر في تكوينه الفكري، وقد ظلت لها في نفسه ذكرى وفي قلبه شوق، لعلهما هما السببان الأساسيان في انتقاله سنة: (١٩٥٧م) من بيروت إلى القاهرة.

■ في عام: (١٩٢٣م)، رحل الحسيني أول مرة إلى القاهرة، والتحق بالجامعة الأميركية، وظل بها ثلاث سنوات حصل في نهايتها عام: (١٩٢٥م)، على دبلوم في الصحافة، وفي أثناء هذه المدة كان يحضر دروس الجامعة المصرية الأهلية (جامعة القاهرة اليوم) وفيها تتلمذ على فئة من أهل المعرفة والعلم كانت مصر يومها تُحسد عليهم أمثال: طه حسين، والشيخ مصطفى عبدالرازق (الذي كان يدرِّس الفلسفة الإسلامية)، وأحمد أمين، وجوزيف شاخت (الذي كان يحاضر في فقه اللغة العربية)، فضلا عن آخرين كانت تزخر بهم القاهرة، ومنهم الذين أنشأوا لجنة التأليف والترجمة والنشر فيما بعد.. وفي الوقت نفسه حرص على توثيق صلاته بعدد من أعلام الفكر والأدب الذين كانت تزدان بهم القاهرة كأحمد زكي باشا (شيخ العروبة) ومحمد توفيق دياب وغيرهما.

العودة إلى القدس

■ كان الحسيني لا يعدل بالقدس مكانا آخر، لذلك اهتبل الفرصة وعاد إلى مدينته، وهناك عمل لها ومن أجلها: فـ«عروبة بيت المقدس» كُتب في القدس (رغم أنه نُشر في بيروت سنة: ١٩٦٩م)؛ وفي القدس أيضا جمّع مقالاته في «قضايا عربية معاصرة».

مؤلفاته ونشاطه العلمي

■ كان الحسيني باحثا دقيقا، ومفكرا يتصيّد الأمور والمشكلات المتعلقة بأمته وجيله، ويعالجها معالجة الطبيب الأديب.. ومن هنا جاء هذا التنوع في تراثه الذي خلّفه، فقد امتدت الحياة به، وقضى معظمها في التأليف والتدريس والكتابة، إذ صدر له نحو (٢٣) كتابا ما بين تأليف وترجمة وتحقيق في اللغة والأدب والفكر والتاريخ.

■ من أشهر مؤلفاته أطروحته لنيل «الدكتوراه» وكانت عن «ابن قتيبة حياته وآثاره»، وكانت بإشراف المستشرق الإنجليزي المعروف هاملتون جب، وله أيضا: «أزمة الفكر العربي»، و«أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم» و«عروبة بيت المقدس»، و«معالم القضية الفلسطينية». وله كتب في تدريس اللغة العربية، ومؤلفات عن الاستشراق، والإسلام، والقومية العربية، والقدس، بالإضافة إلى روايته الشهيرة «مذكرات دجاجة».. وغيرها الكثير غير المنشور والذي ينتظر من يجمعه ويرتبه وينسقه.

■ وإلى جانب تلك المؤلفات له مئات المقالات والبحوث التي نشرها في كبريات الصحف والمجلات مثل: الرسالة والثقافة، ومجلة «الوعي الإسلامي» ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجلة الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأميركية ببيروت.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور الأديب الباحث إسحاق موسى الحسيني مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «المجتمع الإسلامي بين الواقع والمثال»، ع:١٠.

وفاته

■ في عام: (١٩٧٣م)، ترك الحسيني الإقامة في القاهرة، وعاد إلى القدس، ورغم ما واجهه فيها من صعاب بسبب المحتل اليهودي فقد عزم على الثبات فيها، وبنى بيتًا على أرض كانت له هناك، وظل هناك حتى وافاه الأجل المحتوم عن عمر ناهز: ستة وثمانين عاما، يوم الإثنين (١٧ ديسمبر ١٩٩٠م).

المصادر

– كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
– مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
– الموسوعة الفلسطينية
– موقع «السارد الزمني».
– موقع «إسلام أون لاين».
– مجمع اللغة العربية بالقاهرة –مجلة مجمع اللغة العربية – الجزء الثاني والسبعون (١٤١٣هـ=١٩٩٣م).
– الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



رائد الأدب الإسلامي الأردني

أمين شنار

■ شاعر قاص لا تخلو آراؤه من تفلسف ومن نقد لبعض الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، نظم في الإطارين: العمودي والتفعيلة، تجلت في شعره نبرة غنائية ذات مذاق خاص من العذوبة والصفاء، وظهرت فيه نزعة تأملية عميقة ذات نفس إسلامي، وهو ما انعكس على أسلوبه الشعري لغة وتصويرا:

راضون نحن
بالذي كان وما يكون
راضون قبل أن نعيش
بارتشاف جرعة المنون
راضون قبل أن نحبّ بالفراق
لأنه مسطّر على الجبين

■ لمفردات الرحلة في قصائده حضور واضح يؤكد طابع الغربة والتساؤل والرغبة في الاكتشاف، والقارئ لشعره يلمس نفسا وجوديا ونزعة تأملية ذات رؤية سوداوية، فقد نظم أشعارا عن الوجود والموت والعدم والفناء والحب، ودارت قصائده حول مضمون الوحدة والقلق والألم والمعاناة والضياع والحزن والاغتراب.

■ من الرعيل الأول من أدباء الضفتين، وأحد بنائي الحياة الإبداعية فيهما الذين أسهموا في إيجاد حركة شعرية وأدبية وإبرازها إلى حيز الوجود، وأدبه يمثل أدب جيل الستينيات، وهو أحد رواد الأدبين الأردني والفلسطيني الذين شاركوا في إثراء الحركة الأدبية في المملكة وفلسطين معا.

■ متحرر فكريا، ومتقبل لدعوات الحداثة وأصوات التغيير والتجديد، جعل التسامح والتعايش أساسا للتعامل مع ما يحيط به قبولا ورفضا سلبا وإيجابا، عرف بمواقفه المتشددة الصارمة، لكن الواعية، من قضية التعصب الفكري، لذلك فلا غرابة في اعتباره أستاذا لجيل بأكمله؛ جيل من الأدباء المتعددي الجنسيات والنزعات وذوي التوجهات المختلفة الذين ينتمون إلى بيئات عربية متعددة، فتح لهم جميعا المجال في مجلة «الأفق الجديد» المقدسية التي كان يرأس تحريرها.. إنه المعلم الكاتب الأديب الشاعر الصحافي المفكر ذي التوجه الإسلامي أمين شنار صالح عطا الله.

المولد والتكوين الأول

■ ولد في مدينة البيرة -إحدى مدن فلسطين المحتلة التي تقع في الضفة الغربية إلى الشمال من القدس- عام: (١٩٣٣م)، نشأ بها، وفي مدارسها ومدارس رام الله تعلم، ونشر أول قصيدة له وهو في السادسة عشرة من عمره.

■ في عام: (١٩٥١م)، أتم شنار دراسته الثانوية، ثم جرى تعيينه مدرسا للغة العربية في الكلية الإبراهيمية في القدس لمدة: (١٠) سنوات، ثم انتقل للتدريس في ثانوية بير زيت، ثم خاض انتخابات المجلس البلدي في البيرة، وفاز فيها، كما تم اختياره نائبا لرئيس المجلس البلدي عام: (١٩٦٣م)، وفي هذه الأثناء برزت مواهبه الشعرية.. وفي عام: (١٩٦٧م)، نزح إلى عمان، وفيها كتب أولى رواياته «الكابوس» التي فازت بجائزة صحيفة النهار اللبنانية مناصفة مع تيسير سبول على روايته «أنت منذ اليوم».

الحياة العملية

■ كتب خلال فترة شبابه ديوانه «المشعل الخالد» الذي كان مشبعا بالالتزام بالتوجه الإسلامي، ثم أخذ يكتب قصائده الحديثة، مجاراة لجيل الحداثة الشعرية.

■ أحب شنار الأدب والفن والصحافة، وبدأ بنشر شعره مبكرا وعمره (١٩) عاما في جريدة «الصريح» عام: (١٩٤٩م)، واشتغل صحافيا في «جريدة المنار»، كما عمل كاتبا ومحررا في مجلة «المنار» المقدسية، ثم محررا في مجلة «الافق الجديد» المقدسية ومديرا لتحريرها منذ تأسيسها عام: (١٩٦١م)، كما اشترك في تحرير جريدة الدستور الأردنية.

■ لمدة تزيد على الثلاثين عاما، ظل شنار يكتب زاوية يومية ثابتة في «جريدة الدستور» الأردنية بعنوان: «لحظات»، ولكن تحت اسم مستعار (جهينة)، وزاوية أخرى لكن أسبوعية تحت اسم «مع الحياة والناس»، كما عمل مديرا لبرامج التلفزيون الأردني حتى عام: (١٩٧١م).

شنار متبعا.. ثم مبدعا

■ أصدر شنار ديوانه الأول والوحيد في البيرة عام: (١٩٥٧م) بعنوان: «المشعل الخالد»، محافظا فيه على شكل القصيدة التقليدية، من خلال: اتكاء قصيدته على مناسبة كما نرى في عناوين قصائده: «ليلة القدر»، و«إسراء»، و«في ذكرى الهجرة» و«رمضان»، و«صور من العيد»، و«إلى عرفات»، وإخضاع قصائده للسمات التراثية من بحور ووزن وقافية والسمة الغنائية العالية، كما في قوله:

ليلة القدر بأعماقي رجاء
أن يرى نورك عمي وظماء

■ لكنه سرعان ما تحول إلى مواكبة الحداثة الشعرية، مواصلا نشر قصائده على النهج الحديث، منتقلا إلى قصيدة التفعيلة والنثر، ومتقبلا تقنيات القصيدة الحديثة، من تكسير للنموذج التقليدي، من حيث تحررها من القافية وتوظيف التناص والقناع والرمز والأساطير.

سمة شعره المأساة

■ الملاحظ على مجمل قصائد شنار اتخاذها المأساة محورا أساسيا تدور معه وعليه في التعامل الشعري، فقد تركت المعاناة والحزن بصماتهما وأثرهما العميق على الشاعر، وهما باديان للعيان لا يحتاجان من القارئ إلى كبير عناء لكي يلمسهما ويستظهرهما، وهو ما تفصح عنه عناوين قصائده، كل على حدة أو مجتمعة، من مثل: «السأم»، «معبد الألم»، «مدينة بلا ضباب»، «هاتف الرحيل»، «مرثية للألم»، «السراب»، يقول شنار:

وماتت فراشة حقل كئيبة
وظل الغريب ينادي الغريبة

■ ويحاول شنار في معظم نصوصه الشعرية نقل تجربة الحزن والاغتراب إلى المتلقي، معتمدا على اللغة والعاطفة، فنراه يقول:

«حدق، فأنت زائغ العينين، أيها الغريب في مدينة الضباب»

أعماله

■ لم يترك شنار تراثا مكتوبا كبيرا، ربما لأنه أدرك مبكرا عدم جدوى الكتابة، سوى تلك الزاوية في جريدة الدستور التي كان يوقعها باسم جهينة، ومع ذلك فإن بصماته لا تزال موضع اعتزاز من جيل أدبي كامل هو جيل «الأفق الجديد».

■ أصدر شنار ديوان شعر واحدا هو: «المشعل الخالد» عام: (١٩٥٧م)، وأذيعت كل قصائده عبر إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية في القدس، كما أصدر رواية «الكابوس» التي فازت بالجائزة الأولى مناصفة في مسابقة عربية عام: (١٩٦٧م)، وله أيضا من الأعمال: «سما» (رواية) - «الكابوس» (رواية) - «مجموعة قصصية».

■ قدم للتلفزيون الأردني برنامجا علميا دينيا بعنوان «سبحان الله».. كما قام بكتابة عدة برامج إذاعية هادفة، من أشهرها برنامج «لمحات» و«حبات قلب»، وكتب عدة مسرحيات رائعة أشهرها: «قرية الشيخ حماد»، و«ظلام في عين الشمس»، و«الليلة يطلع القمر»، و«السد».

■ عمل مدرسا ومربيا في «مدارس الأقصى» الثانوية في عمان حتى تقاعد في أواخر التسعينيات.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الصحافي المفكر الشاعر الأديب الباحث أمين شنار مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «طريق الإيمان»، ع: (٩٢).

وفاته

■ باع شنار دنياه في أواخر عمره، وزهد فيها، ولزم بيته، وعزل نفسه عن الناس، ونذر نفسه لله، حابسا إياها في سجون القلق والعزلة؛ رغبة في أن تكون أقواله وأعماله خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، وودع الحياة بصمت، منسلا منها دون صخب أو ضجيج، وانتقل إلى جوار ربه في الثامن عشر من سبتمبر في عمان عام: (٢٠٠٥م)، عن عمر تجاوز الثانية والسبعين بقليل بعد رحلة حافلة بالعطاءات والإنجازات الإبداعية والصحفية.

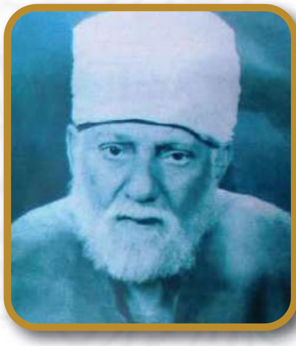
المصادر

- كتاب الكشاف مجلة الوعي الاسلامي، ج: (١).
- الدستور الأردنية.
- القدس العربي، إبراهيم خليل.
- جريدة الأيام، خليل السواحري.
-عربي: (٢١).
- معجم البابطين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

أبو حنيفة الصغير

الشيخ أمجد الزهاوي



■ صريح جدا، لا يعرف المداهنة ولا المجاملة.. لذا كان متبوعا لا تابعا؛ يؤيد ما هو حق ولا يكابر، يعمل مع كل من يعمل للإسلام، ويترفع عن القضايا الجزئية الخلافية، ويترك الأمر، فإذا سأله الناس أجاب بما هو حق.

■ يكره المتفرنجين ويضيق صدره بالحديث عنهم، لكنه يقرأ ما يصل إليه من كتبهم، ويروي النافع من أقوالهم، ويألف المشايخ وأهل الدين، يجلس حيث يجلسون، ويأكل معهم ما يأكلون.

■ استمر في تحصيله العلمي حتى غدا فقيها حنفيا متمكنا وبارزا بين علماء المسلمين في عصره، وأديبا لغويا بارعا له مشاركاته في كل علم.. قال عنه الشيخ علي الطنطاوي: «بقيت معه أكثر من ٧ أشهر، أجالسه كل يوم ٤ ساعات أو ٥ على الأقل، كان يتكلم فيها، على الغالب، وحده، فما سمعت منه من الأحاديث المعادة أو الآراء المكررة إلا القليل».

■ حديثه يحرك سواكن النفوس، ويبعث الهمة فيها، ويدفعها نحو الخير حيثما وجد وحيثما كان، إذ حباه الله بذهن عجيب نفاذ يخترق كل معضلة علمية، لا بالرأي المقول، بل برأيه هو.

■ كان رئيسا لمجلس التمييز الشرعي العراقي فصدر أمر وزاري بعدم جواز الجمع بين المجلس والتدريس، فترك الرئاسة من فوره واستقال، آثرا التدريس على المنصب؛ فالتدريس وتربية النشء على الفضيلة ومكارم الأخلاق كانا أحب إلى نفسه من سائر الوظائف والمناصب مهما علت.

■ أجمع الشعب العراقي، بمختلف فئاته ومذاهبه، على محبته، وبكى رحيله وبكى فيه الرجولة والعلم والجهاد حتى آخر نفس من أنفاسه الطاهرة.

■ لُقِّب بـ«أبي حنيفة الصغير»؛ لإحاطته بالمذهب، واستيعابه الواسع وإدراكه الذكي لدقائق المسائل الفقهية فيه، حتى قال قائلهم: «لو فقد المذهب الحنفي، واندثرت كتبه، لأملاه الشيخ عن ظهر قلب، من أول أبوابه حتى خواتيمها».. إنه الشيخ الأديب الفقيه العلامة: أبو سعيد أمجد بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد فيضي الزهاوي ابن الملا أحمد بن حسن بك بن رستم بن خسرو بن الأمير سليمان باشا.

المولد والنشأة

■ لأبوين كريمين، ولأسرة علم وفضل ودين وإفتاء، ولد الشيخ أمجد في مدينة بغداد في النصف الثاني من القرن الـ١٩ (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)؛ أبوه هو الشيخ محمد سعيد كان مفتي بغداد، وكذلك كان جده الشيخ محمد فيضي مفتي بغداد أيضا، وهو ابن الشيخ أحمد بن حسن بيك بن رستم ابن خسرو بن الأمير سليمان باشا (رئيس الأسرة البابانية).

■ أسرته البابانية تعود أصولها إلى أرومة عربية عريقة تتحدر من بني مخزوم، وهم من سلالة البطل العظيم خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله عنه.

■ وفي كردستان، التي استوطنتها الأسرة البابانية وكونت فيها إمارة حكمت زمنا طويلا، أنشأ إبراهيم باشا (حفيد رئيس الأسرة) مدينة «السليمانية» التي سماها على اسم جده الأمير سليمان باشا.. وإثر نزاع هاجر بعض أفرادها إلى مدينة «زهاوى» في منطقة كرمنشاه في إيران، وعندما عادوا إلى العراق مرة أخرى نسبوا إلى «زهاوى» فقيل لمنتسبهم «زهاوي».

■ لكن الأسرة الزهاوية سكنت في محلة عريقة من محلات بغداد تدعى «جديد حسن باشا» تقع قريبا من جامع السراي.. وتلك الأسرة أنجبت علماء فضلاء في الفكر والفلسفة والدين والشعر كانوا نجوم علم ومعرفة في سماء العراق كله.. وفي كنف هؤلاء وفي بيئة اجتماعية دينية نشأ الشيخ أمجد يرعاه جده الشيخ محمد فيضي.

■ تلقى الزهاوي بواكير تعليمه على يد والده وجده أولا.. وبالتوازي مع دراسته الابتدائية والإعدادية، انخرط في مجالس العلماء في

بغداد، ينهل من علمهم؛ يستمع إليهم ويحاورهم فيما يشكل عليه، وهم يلقون آذانهم إلى ذلك الفتى الذي غدا بعد ذلك لغويا أديبا وعالما فقيها في الشريعة، يقتنص الشوارد في الفتاوى والأحكام.

■ ثم رحل إلى الآستانة (إسطنبول) عاصمة الدولة العثمانية، ليكمل دراسته الأكاديمية فدرس في مدرسة الحقوق ومعهد القضاء العالي بإسطنبول وتخرج فيه بتفوق عام ١٩٠٦م، ومنحه السلطان عبدالحميد الثاني وسام الشرف، ليصبح قاضيا من الرعيل الأول، واشتغل حاكما في الموصل، ثم نقل إلى بغداد.

حياته العملية

■ بعد عودته من الآستانة عام ١٩٠٦م، عين مفتيا في الأحساء، ثم عضوا في محكمة استئناف بغداد، ثم رئيس محكمة حقوق الموصل، ثم اعتزل الوظيفة، وعمل محاميا، بعد دخول القوات الإنجليزية إلى بغداد، ثم عاد إلى الوظيفة وعمل مستشارا للحقوق في وزارة الأوقاف، وأستاذا في كلية الحقوق العراقية، ثم رئيس مجلس التمييز الشرعي، وكان في الوقت نفسه يدرس في المدرسة السليمانية في بغداد.

■ تجسد النشاط الدعوي للزهاوي بتأسيس الجمعيات الدينية، ويمكننا القول إن الشيخ ترأس كل جمعية خيرية وعلمية وتربوية في العراق، فقد انتخب رئيسا لرابطة علماء العراق، ورئيسا لجمعية إنقاذ فلسطين، ورئيسا لجمعية الآداب الإسلامية، ورئيسا لجمعية «الأخوة الإسلامية»، التي تفرعت منها جمعية «الأخت المسلمة» التي رأستها ابنته العالمة الفاضلة الأديبة نهال أمجد الزهاوي.

■ الإسلام والعروبة كانا على رأس اهتماماته، وقد بذل الزهاوي جهدا كبيرا في توجيه سياسة وزارة المعارف العراقية آنذاك، لجعل العقيدة الإسلامية الأساس الذي تبنى عليه فلسفة التعليم في العراق، كما كان له دور مهم في مساعدة الثورة الجزائرية، إذ استطاع إقناع الدولة العراقية بالوقوف مع الجزائريين.

رحلات الزهاوي

■ لم تكن رحلات الزهاوي يوما للراحة والاستجمام والسياحة، بل من أجل نصرة قضايا العرب عامة والمسلمين خاصة، لاسيما قضية فلسطين والجزائر، فقد سافر إلى بلاد الشام، والحجاز، ومصر وباكستان والهند، وشمال أفريقيا، وإندونيسيا، وماليزيا، يلتقي العلماء العاملين، والزعماء الصالحين، ويشرع لهم المهمات التي ارتحل من أجلها، ويحثهم على العمل الجاد لإصلاح أحوال المسلمين.

الزهاوي وفلسطين

■ في عام ١٩٤٧م مع بدايات القضية الفلسطينية، ذاع صيت الزهاوي كثيرا إذ أصبحت فلسطين همه الكبير، وشغله الشاغل، من أجلها أسس الجمعيات وحضر المؤتمرات، وجمع المعونات، وجند المجاهدين، وأرسلهم إليها من أجل استنقاذها من براثن اليهود المحتلين، وحاضر من أجلها في العديد من الدول والمدن والجمعيات، وبين خطورة هذه القضية على العرب والمسلمين، ما لم يبادروا إلى العمل الجاد المكافئ لأعمال اليهود ومن يقف وراءهم من دول الاستكبار العالمي المعادية للإسلام والمسلمين.

■ وكما نجح الزهاوي ورفاقه في تجميع الشباب وإرسالهم ضمن الجيوش العربية إلى فلسطين ليسطروا بطولات كبيرة، نجح في استنهاض حماسة النساء العراقيات اللائي توافدن إلى جمعية إنقاذ فلسطين للتبرع بذهبن وأموالهن، لنصرة القضية الفلسطينية.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ رحمه الله مشاركة وحيدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «فوائد الأموال المودعة في المصارف»، في العدد السابع.

وفاته

توفي الشيخ عصر الجمعة، الرابع عشر من شعبان ١٣٨٧هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٦٧م، وشيع جثمانه من داره في حي الوزيرية ببغداد، إلى مثواه الأخير في مقبرة الإمام الأعظم في حي الأعظمية في بغداد، بعد تشييع مهيب حضره أعلام بغداد ووزراؤها ووفود من مختلف طبقات المجتمع العراقي وكل من تناهى إليه خبر نعيه.

المصادر

- كتاب «الكشاف» (ج٢)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- موقع «إضاءات»، محمد السيد أبو ريان.
- كتاب علماء أعلام عرفتهم العراق، عبدالله العقيل.
- مجلة التربية الإسلامية، ع:٢، بغداد، (محرم ١٤٢٥هـ/مارس ٢٠٠٤م)، ص:٥٤.
- موقع «الجزيرة»، طه العاني.
- موقع «مجلس علماء العراق».
- موقع «رابطة أدباء الشام».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

أشبه الشعراء بالبحتري

أنور العطار



■ شاعر سوري، أحب العزلة وآثر البعد عن السياسة فتعرض للإهمال والنسيان، من القريب والبعيد، ومن العدو والصديق، ولفه التغافل، وخيم النسيان في ركابه، ولم يسمع عنه إلا القليل من مثقفي الأمة، بينما لو قيض له أن يكون عضوا في حزب سياسي، أو قريبا على نحو ما من أي بوابة سلطة لكان له شأن آخر، لكنه لم يكن.

■ اقترب في نفسيته وفي شعره من الرومانسيين، يعزف بينهم على أوتار الشعر الغنائي الذاتي، ويغني معهم أعذب الأشعار.. مقطوعاته الشعرية تنساب كترقرق الماء في الجدول الهادئ، يغلفها هدوء حزين.

■ قصائده صدحت بوصف الجمال والافتتان بجمال خلق الله.. وأسلوبه جول أنيق مشرق، فيه عذوبة ولين، وتدفق ومضاء، وهو ذو إيقاع موسيقي واضح.

■ إلى جانب عنايته بالكلمة والجملة يعنى بالفكرة.. وقد تطغى عنايته بسحر الكلمة على جمال الفكرة.. وهو في ذلك ذو شاعرية قوية، وقريحة فياضة، ولا غرو، فقد أسعفته موهبته الشعرية، وذائقته الفنية، وما حفظه في مطلع حياته من جيد أشعار العرب (زاد على عشرة آلاف بيت) فانصهر ذلك كله شعرا رقيق الديباجة.

■ شاعر الحياة التي نعرفها في الآلام والمسرات، في الحظوظ اللامعة والباكية في آن، بل لا نبالغ إن وصفناه بالقيثارة، بعض أوتارها للغناء، والأخرى للبكاء.

■ مثل صادق للأدب السوري الحديث، غير أنه ظل محافظا -كما أهله وتربيتهم- يسفر ولا يغيم، ويجدد ولا يشتط، ويستقيم ولا ينحرف.. وهو من حيث رقة الأسلوب والميل إلى الوصف أشبه الشعراء بالبحتري (كما وصفه النقاد).. إنه الشاعر الأستاذ المربي أنور بن سعيد أنيس العطار.

المولد والنشأة

■ ولد العطار سنة: (١٩١٣م)- (ويقال ١٩٠٨م) في دمشق من أسرة بعلبكية عريقة.. نشأ يتيما فقيرا فكفله أخوه الأكبر.. دراسته الابتدائية تلقاها وأكملها في مدرسة البحصة، ثم انتقل إلى مكتب عنبر (كبرى مدارس دمشق آنئذ) لإكمال دراسته الثانوية.

■ بعد الثانوية انتسب إلى دار المعلمين، حيث نال شهادة أهلية التعليم الثانوي التي أهلته للعمل مديرا لمدرسة منين الابتدائية في ريف دمشق، ثم جمع بين العمل والدراسة ليتخرج عام: (١٩٣٥م)، من كلية الآداب من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته هذه خامس شهادة تعطى من كلية الآداب بدمشق.

■ إبان نشأة العطار شهد حياة دمشق في عهد الدولة العثمانية ثم عاصر فترة الانتداب الفرنسي التي كانت فيها سورية متأثرة بثقافته، فأعجب بكتابات لامارتين وألفرد دو موسه، وترجم الكثير من قصائدهما نظما إلى اللغة العربية، كما أحب الشاعر أحمد شوقي وحفظ الكثير من شعره.

حياته العملية

■ صرف الشاعر أنور العطار جزءا كبيرا من اهتمامه للتربية والتعليم، فكان أول عمل له بعد تخرجه هو إدارته مدرسة ابتدائية في ريف دمشق، ثم عمل معلما ومدرسا للغة العربية وآدابها في مدارس حلب ودمشق، ثم انتدب لتدريس اللغة العربية في العراق لمدة خمس سنوات.

■ بعد انتهاء فترة انتدابه في العراق، عاد إلى دمشق وزاول التدريس والإدارة، ثم عمل مفتشا للأدب العربي بوزارة التربية في سورية.. بعدها سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث درّس الأدب العربي في كلية اللغة العربية في جامعة الرياض، بين عامي: (١٩٦٤م و١٩٦٦م).

■ في عام: (١٩٣٤م)، شارك العطار في تأسيس المجمع الأدبي في دمشق، وكان له شرف الانتماء إليه والإسهام في لجنته الإدارية.. كما تولى رئاسة

ديوان الإنشاء في وزارة المعارف مدة قصيرة.

■ اتصل العطار بالكاتب والمفكر محمد كرد علي، ومعروف الأرناؤوط، ومجلة الزهراء التي كان يرأس تحريرها العلامة محب الدين الخطيب، ورافق علي الطنطاوي في دمشق وفي بغداد أثناء التدريس؛ أحدهما يكتب والثاني ينظم.

علاقته بالطنطاوي

■ علاقة مميزة ربطته بالشيخ علي الطنطاوي، ففضلا عما كان من تآلف الأرواح بينهما، كانت هناك عوامل واقعية دعمت تلك الألفة؛ منها أنهما كانا طالبين في المدرسة نفسها (مكتب عنبر)، وأن ظروفهما الاجتماعية كانت على قدر كبير من التشابه فكلاهما كانا من العوائل الكريمة المعروفة وكلاهما عانيا من اليتم ورقة الحال، بل إن من تصاريف القدر أن كان والداهما يرقدان في المقبرة نفسها (مقبرة الدحداح).

■ رغم ما سبق من روابط، فإنهما لم يركنا إليها، بل تكفلا بعد ذلك بتوجيه تلك العلاقة لتزداد ترابطا يوما بعد يوم، حتى صار لا يذكر أحدهما إلا ويذكر الآخر معه، فعملا مدرسين في المدرسة نفسها، وكتبا في المجلة نفسها، واستمتعا معا بجلسات أدبية ودية.. ثم جمعتهما الغربة عندما رحلا معا ليعملا مدرسين في بغداد، وإذا كان الشيخ الطنطاوي بعد ذلك سلك دروبا في الحياة متشعبة، حتى صار أشهر من نار على علم، لم يترك بيتا إلا دخله، إما فوق صفحة كتاب أو مجلة، وإما مطلا عبر الشاشة الصغيرة، أما أنور العطار فقد ظل وفيا لأسلوبه في الحياة لم يفارقه حبه للعزلة، وعشقه لمهنة التدريس وتربية النشء حتى آخر حياته.

الاتجاه الإسلامي في شعره

■ العطار شاعر إسلامي، نشأ في أسرة متدينة، ورافق العلماء، وتربى في مساجد دمشق، فلا عجب أن تشغل الموضوعات الإسلامية مساحة واسعة من شعره، ومن ذلك: تصويره آفاق البعثة المحمدية في ديوانه «ظلال الأيام» وقد عطرت بها السماء، وأمرعت الصحراء، وأزهر القفر:

الصحارى تفتحت أحلاما
كرياض تفتحت أكماما
عبقت هذه السموات بالعطر
ورف السنا عليها وحاما
أزهر القفر وازدهى الصخر الصلد
وفاضت منه العيون سجاما
نضرته خلال أحمد فاهتز
ربيعا مزوقا بساما

■ وغمس العطار ريشة فنه ليصور لنا قيم البعثة المحمدية الإنسانية؛ فيفضي إلى بعثة الرسول ﷺ من خلال إطار من الأطياف، والرؤى العذبة، فيجدها قد فتحت العقول والبصائر، ومسحت عن القلوب الأحقاد ونوازع الشرور، وسمت بالنفوس صعدا حتى باتت أشف من النقاء، وأصفى من النور:

يا حبيب الأرواح أنت المرجى
أنت سر النجوى، وأنت الصفاء
شع منك الهدى ففاض على
الكون وضاءت بنورك الجوزاء
وصقلت العقول صقلا عجيبا
حار فيه الهداة والحكماء
وأعدت النفوس أصفى من النور
تباهى بها السنا والنقاء
رحمة تنعش القلوب ونعمى
بعثتها الرسالة الزهراء

مؤلفاته

■ كان العطار شاعرا غزير الإنتاج له الكثير من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية المخطوطة، منها: من دواوينه الشعرية: «ظلال الأيام»، و«ربيع بلا أحبة»، و«البواكير»، و«أشواق»، و«البلبل المسحور»، و«منعطف النهر»، و«وادي الأحلام».. وله في النثر: «الزاد» (في الأدب)، و«الوصف والتزويق عند البحتري»، و«أسرة الغزل في العصر الأموي»، و«شوقيات لم تنشرها الشوقيات».. وله دراستان: واحدة لنثر أحمد شوقي والثانية عن خير الدين الزركلي.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ المربي الشاعر أنور العطار ٣ مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «علمتني الحياة (رباعيات) (١ و٢)»، ع:٦١ و٩٠، و«شاعر الإسلام إقبال (قصيدة)»، ع: ٦.

وفاته

■ توفي الشاعر الكبير أنور العطار صباح: (الأحد ٢٣ يوليو عام: ١٩٧٢م)، عن عمر ناهز (٦٤ عاما) إثر عملية جراحية أجراها في مستشفى المواساة، ودفن، رحمه الله، في مقبرة الدحداح في دمشق.

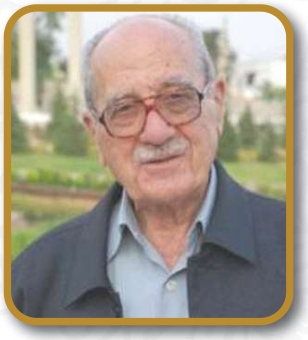
المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الإسلامي»، (ج١).
- موقع الموسوعة العربية.
- موقع بوابة الشعراء.
- موقع رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

فنان الخط العربي

أمين المؤذن



■ أحد فناني الخط العربي الأصيل الذي كان هواية له في مقتبل عمره ثم صار له حرفة وعملا.. استطاع أن يطوع جماليات الحروف العربية بروائع هندسية وأشكال سمترية، ويطور أسلوبه في مجال الألوان والزخارف المصاحبة كخلفية لعمله الفني، ليصنع تناغما جميلا في مفردات أعماله.

■ له تمكن غير محدود من أدواته التعبيرية في الخط العربي، إذ يجمع في إبداعه بين جمالية الخط العربي من ناحية وجمالية الفنون التطبيقية الإسلامية من ناحية أخرى، وقد استخدم الخط وطوعه لخدمة أفقه التشكيلي.

■ هو أول من عمل إعلانات بالطرق في الكويت في طريقي الجهراء والأحمدي وغيرهما، كما أنه أول من زخرف الإعلانات بالألوان.. وكان زبائنه من كبار تجار الكويت.

■ من المجددين للقوالب التراثية لأنواع الخط العربي من حيث الإلمام التام بالقواعد المتعارف عليها فيرسم الخطوط ومن ثم تطويعها لتناسب تكوين اللوحة.

■ يمزج بين جماليات الحروف والرؤية البصرية.. وأعماله تنهل من فنون الزخرفة الإسلامية والخط العربي والتشكيل، مستلهما محتواها من الآيات القرآنية والحكم المأثورة والشعر، ومجسدا رؤيته الشخصية عبر شكل فني يخدم فكرته.. إنه الخطاط الفنان والرسام التشكيلي: أمين حسين المؤذن.

المولد والنشأة

■ المؤذن من جنوب لبنان، وتحديدا من بلدة النميرية التي تقع في قضاء النبطية.. غير أنه ولد في بيروت عام: (١٩٣٥م)، وفيها قضى السنوات الخمس الأولى من عمره، إذ كان والده يعمل هناك، لكن نار الحرب العالمية الثانية أعادته إلى جذوره الجنوبية ثلاث سنوات حتى إذا صار في الثامنة من عمره عاد ثانية إلى بيروت.

■ وفي بيروت عاش في منطقة الأشرفية ودرس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية (مدرسة علي بن أبي طالب)، وكانت حصة الرسم تستهويه في ذلك الوقت بشكل كبير.

■ استمر في الدراسة إلى مرحلة المتوسطة ولم يكمل تعليمه واتجه من فوره إلى سوق العمل.. وبين عامي: (١٩٥٣ و١٩٥٥م)، تتلمذ على يد خبير الخطوط الفنان جوزيف شاهين لطيف ودرس في معهد سامي صليبا.

موهبة لافتة

■ مقومات موهبته تتمثل في صبره وإتقانه وشدة تركيزه وطول باله وكثرة تكراره للعمل ذاته حتى يصل به إلى أبهى صورة.. ويجمع في إنتاجه بين جماليات الخط العربي وتفرد الفنون الإسلامية التطبيقية، خصوصا في طريقة تطويعه الحرف لخدمة أفقه التشكيلي الرحب.

■ يتميز بموهبة فريدة ومعرفة فائقة بقواعد رسم الخط العربي وأنواعه المتعددة، ويظهر ذلك جليا في لوحاته التي تعتبر كل واحدة منها عملا فنيا متكاملا على حدة.

■ متميز في اختيار العبارات أو الآيات المقتبسة من القرآن الكريم ثم وضعها في القالب الخطي المراد، ودقيق في تطويعه القاعدة لرسم العبارة في قالب فني له كل مقومات اللوحة من جمال التكوين والاتزان والتنوع.

■ مبدع في استخدام «السمترية» (تماثل الشكل من الجانبين) وفي ملء فراغات المشهد الخلفي بالقباب والمآذن والحليات الزخرفية لعمل اتزان في اللوحة.

(١٩٥٢م)

■ في البداية، مارس أعمالا وحرفا مختلفة، لكن هواية الرسم بداخله لم يستطع مقاومتها، فظل يمارسها إلى جانب ما يعمل، وكان كلما رآه أحد الرسامين أو الفنانين أثنى على موهبته وحضه على امتهانها وضرورة صقلها بالتعليم.

■ كان (١٩٥٢م)، عاما فارقا في

حياة المؤذن، إذ بدأ فيه تحصيل أجر لقاء موهبته، وفي العام نفسه أيضا، تلقى عرضا من أحد أصحاب محال الخطوط للعمل معه في محله، يقول المؤذن عن ذاك العرض: «جاءني أحد الأفراد وقال لي: هناك خطاط له محل يريدك أن تشتغل معه؛ يعلمك الخط وترسم أنت له ما يُطلب منه. فكنت أساعده وأتعلم منه في الوقت نفسه الخط وأصوله وقواعده.. بعد ذلك وفي عام: (١٩٥٣م)، انتقلت للعمل في شركة كبيرة متخصصة في الإعلانات، ثم تركتها إلى مكتب صاحبه خبير خطوط ومحلف لدى المحاكم اللبنانية وقد تعلمت منه الكثير عن قواعد الخط وأصوله، ويعد ذلك الرجل إلى جانب آخر فلسطيني هما أستاذاي في فن الخط».

العراق أولا ثم الكويت مستقرا

■ في أواخر عام: (١٩٥٧م)، وبعدما رأى المؤذن أقارب له تركوا لبنان في: (١٩٥٢م)، قاصدين العراق والكويت، ونجحوا بمشاريعهم فيهما، داعبه حلم السفر وأغراه، فتكلم مع أحد أصدقائه وتواعدا على السفر معا إلى العراق، حيث كان لصاحبه تجارب في العراق إذ كان يسوق أعمالا له هناك.

■ وفي العراق، قصد بغداد أولا ثم البصرة، ولم يمكث بهما طويلا (ظل في البصرة عشرة أيام فقط)، ثم طرح على صديقه رأيا يحكي عنه بنفسه: «قلت لصديقي ما رأيك لو أكملنا رحلتنا إلى الكويت فلنا فيها معارف وأقارب وأخي محمد هناك، فركبنا تاكسي من البصرة يوم: (١٢ يناير ١٩٥٨م)، ودخلنا الكويت في اليوم نفسه من بوابة الجهراء بختم للعمل لثلاثة أشهر، إذ كان التنقل بين الدول وقتها سهلا جدا عكس الآن».



■ يكمل المؤذن: «مرت بنا السيارة من تحت (قوس البوابة) إلى أن وصلنا لساحة الصفا ونزلنا هناك، وكانت الساحة ترابية في ذلك الوقت والمباني لا تتعدى الطابق الواحد، وذهبنا للمبيت عند أخي في المرقاب.. لكن العجيب هو ذاك الشعور بالارتياح الذي تملكني لدى وصولي الكويت وإحساسي بأن وجوه الناس مألوفة لي وليست غريبة».

التوهج في الكويت

■ وفي الكويت، أصدر المؤذن عام: (١٩٥٩م) جريدة إخبارية وإعلانية على واجهة سطح إحدى العمارات المطلة على ساحة الصفاة.. ثم في عام: (١٩٦٠م)، توظف في جيشها الوطني (الفرع الثقافي العسكري) خطاطا ورساما في مجلة: «حماة الوطن»، وبدأ الدوام في قصر نايف، ثم انتقل إلى مقر وزارة الدفاع بساحة الصفا آنذاك، حيث تم تكليفه وقتها بعمل تصميم أوسمة وأنواط وشعارات (ما زالت مستمرة إلى يومنا ويمنحها الديوان) لتصنع في لندن، وكذلك صمم مجموعة كبيرة من الطوابع البريدية للاتحاد الرياضي العسكري.. ثم عمل بعدها في عدد من الجرائد والمجلات؛ منها: «الرأي العام» و«السياسة» و«الأنباء»، و«الخفجي» و«الوعي الإسلامي» و«التقدم العلمي»..

■ نتيجة ظروف المعيشة وضغط العمل، تأخر كثيرا في عمل اللوحات إلى أن وجد وقتا فرسم بعض اللوحات والخطوط، وكان أول معرض له عام: (٢٠٠٠م)، في قاعة الفنون (ضاحية عبد الله السالم) عبر المجلس الوطني للفنون والآداب وأمينه العام د. محمد الرميحي وكان به حوالي: (٧٢) لوحة.. أما معرضه الثاني فقد جاء نتيجة لنجاح المعرض الأول وكان لمناسبة الكويت عاصمة للثقافة العربية.. ثم توالت معارضه.

مساهمته مع «الوعي»

■ ساهم الفنان أمين المؤذن بلوحاته وصوره ورسومه في العديد من أعداد المجلة.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الإسلامي»، (ج١).
- جرائد: «الرأي العام» و«الجريدة» و«الأنباء» و«الوطن».

هشام الصباغ
باحث لغوي

محدث المغرب

الرحالي الفاروقي



■ على عهده صرف الوجوه إليه لدراسة علوم الشريعة من تفسير للقرآن ومن علوم في الحديث ومصطلحه ومعرفة بالتاريخ والسير.. وفي زمنه انتهت إليه مختلف علوم اللغة من نحو وتركيب وإسناد وتصريف وإعراب.

■ اهتمامه شديد بالجانب الفقهي واللغوي من المعرفة والاستدلال.. وفصاحته في خطبه وعلمه في محاضراته ودروسه جذبا كثيرا من الأتباع.. وعقله المتوهج العالم بالقرآن والسنة والبصير بالعربية وآدابها والخبير بأحوال الناس وقضاياهم، صاغه شخصا قوي الرأي نابه القياس.

■ نجابته لفتت أنظار معاصريه من العلماء، وبلغ من اجتهاده في طلب العلم أن شيوخه أجازوه بالفتوى وهو لا يزال صغيرا.. ولغته تعتبر -في معظمها- لغة تأمل، سليمة، صافية من المبالغات، خالية من الغريب.

■ تحققت فيه صفات العالمية الفذة بأصدق مدلولاتها مما يعز له النظير ويتعذر تعويضه ولو بالعدد الكثير؛ فلا يخلط علمه بالغيبيات التي لا ثبوت لها ولا يجعله مطية التدجيل وفتنة الناس.. إنه أحد أبرز علماء المغرب ومحدثيه الأفذاذ في العقود الأخيرة من هذا العصر، وعلم من أعلام اللغة العربية، وعالم زمانه في العلوم الشرعية الفقيه المحدث الرحالي بن رحال بن العربي الحمومي السرغيني، الشهير بالرحالي الفاروقي.

المولد والنشأة

■ محل مولد الشيخ لا خلاف عليه، فقد ولد في إقليم سوس (أحواز مدينة مراكش) جنوب المغرب، لكن تاريخ ميلاده يكتنفه اضطراب كبير، ففي حين يقول في ترجمته الصغرى إنه ولد عام: (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، نجده يذكر في ترجمته الوسطى إنه ولد عام: (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م).. لكن على الأغلب أنه ولد عام: (١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، وفق ما وجد في بطاقة تعريف قديمة له بتاريخ: (٢٨ يناير ١٩٣٣م)، ترجع إلى أيام الحماية الفرنسية.

■ وفي إقليم سوس نشأ الشيخ في قبائل السراغنة، ولازم شيوخها وعلماءها وفقهاءها، وتدرج في مدارسها، وكان لتلك الملازمة أثر كبير على فصاحته وبلاغته وتضلعه في اللغة والأدب والنحو فيما يقول ويكتب، حتى أصبح يرجع إليه بعد ذلك في اللغة وعلوم البيان والبلاغة والبديع.

■ لكن الشيخ بدأ دراسته قبل ذلك طفلا، إذ عمل والداه على تنشئته على أحسن ما تكون التنشئة، فعمدا إلى تحفيظه: «القرآن» منذ نعومة أظفاره حتى أتقنه بقراءة نافع ثم بقراءة حمزة ثم رسمه بالقراءات السبع، وكتاب «الموطأ» للإمام مالك، وكان أستاذه في كل ذلك الشيخ أحمد بن المختار الرحالي (ت:١٣٤٥هـ).

■ بعدها أقبل الشيخ على المتون الأساسية والعلوم الأولية يلتهمها التهاما على يد العلامة السيد محمد أجسيم السوسي، الذي استدعاه والده (الذي كان من أهل الفضل والخير والفراسة، واسع الفلاحة كثير الماشية معدودا من أعيان السراغنة ووجهائها) من مراكش، فمكث في ضيافة الأسرة بالسراغنة ثلاثة أعوام بأجرة شهرية لتربية ذلك البرعم الناشئ علميا.

■ في أواخر عام: (١٣٤١هـ)، ولما أحس الشيخ تقدمه في طلب العلم والمعرفة، بدأت مرحلة علمية جديدة من حياته، إذ تاقت نفسه إلى الاغتراف من حياض جامعة ابن يوسف بمدينة مراكش (وهي يومئذ جامعة جنوب المغرب كله)، فدرس بمراكش والقرويين، وخطب في جامع الكتبية، كما ألقى دروسا بمختلف مساجد مراكش، قبل أن يتولى رئاسة الجامعة اليوسفية بها، كما أسند إليه الملك الحسن الثاني، عمادة كلية اللغة العربية في مراكش، وتدريس مادة الحديث بدار الحديث الحسنية، ورئاسة المجلس العلمي بتانسيفت.

شيوخه بمراكش

■ تتلمذ الشيخ في مراكش على يد نخبة من علماء عصره، وقرأ عليهم عددا من أمهات الكتب ونفائسها، فعلى

سبيل المثال قرأ على العلامة محمد بن التاودي السرغيني (ت:١٣٤٧هـ) كتاب (المنهج للزقاق في قواعد المذهب ومقدمة جمع الجوامع لابن السبكي)، وقرأ على العلامة أبو شعيب الشاوي البهلولي (المعروف بابن الرامي، وهو عمدته وسنده، ت:١٣٤٩هـ) مختصر خليل بالزرقاني والرهوني وبناني وألفية ابن مالك بالأشموني والصبان، ومفتاح الأقفال في تصريف الأفعال، وصحيح الإمام البخاري بإرشاد الساري للقسطلاني، والتلخيص للقزويني بمختصر السعد التفتزاني، ونظم العمريطي ورقات إمام الحرمين بشرح الشيخ نفسه.. وغيرهما الكثير.

شيوخه بفاس

■ وبعد أن صال وجال في رياض مراكش العلمية، تاقت نفسه للرحيل إلى مدينة فاس لإرواء ظمئه من معينها، فاستأذن شيخه وعمدته أبا شعيب ابن الرامي للذهاب، فأذن له، فرحل إليها رفقة والده، وعندما وصلا إلى العاصمة الإدريسية العريقة وجداها تغص بأفواج لا تعد ولا تحصى من الطلبة الوافدين عليها، حتى إنهما لم يجدا بمدارس سكنى الطلبة محلا إلا بعد جهد جهيد، حيث انتهى بالشيخ المطاف إلى بيت بالمدرسة الرشيدية قال عنه: «إنه سافل مظلم ثافل، فكان المصباح ليلا ونهارا».

■ وفي جامعة القرويين (أخت جامعة ابن يوسف الكبرى وإحدى أعرق الجامعات في العالم) جلس الرحالي للأخذ عن نخبة من علمائها الأجلاء، فقرأ على العلامة القاضي عبدالرحمن بن محمد بن القرشي الإمامي (ت:١٣٥٨هـ) صحيح الإمام مسلم وجمع الجوامع في أصول الفقه، وقرأ على العلامة محمد بن أحمد بن الحاج السلمي (عمدته وسنده بمدينة فاس وكان يزلفه ويقربه، ت:١٣٦٤هـ)، مختصر خليل بشروحه المختلفة، والموطأ للإمام مالك.

■ وبعد أن تمكن الرحالي من الفقه وأصوله وألم إلماما واسعا بشتى العلوم والمعارف الإسلامية، وجد نفسه منجذبا إلى الحديث النبوي الشريف، وإلى إمامه الحافظ أبي شعيب الدكالي، الذي أشار عليه بملازمة دروسه بمدينة الرباط، لما رأى من نجابته وقوة حافظته ومتانة تكوينه، فذهب الرحالي إليه في الرباط، وظل هناك نحو ثلاث سنوات عاد بعدها وقد علا سنده واكتمل تكوينه، وغدا طاقة عظيمة قابلة للعطاء الثر السخي.

■ بعد إتمام دراسته عاد الرحالي إلى مسقط رأسه وتراب نعله، وبدأ يتهيأ لتحقيق الحلم الذي ظل يراوده ويتمناه أبوه وأهله وهو أن يصبح قاضيا في بلده، غير أنه عدل عن ذلك وقرر إنشاء مدرسة لنشر العلم وتوجيه الناس، يكون عليه إرشاد طلبتها، وعلى أبيه نفقتهم.

■ وفعلا لبى الوالد المستهام بحب ابنه الطلب، وبنى المدرسة المذكورة بمدينة قلعة السراغنة، التي كانت إذ ذاك مركزا سياسيا واقتصاديا مهما في تلك الناحية من المملكة المغربية.

من وصاياه لطلابه

■ كان مما نص عليه، رحمه الله، في إجازاته لطلابه قوله: «وخير الثقافة ثقافة الدين، وخير الحضارة حضارة الروح، ثم الشرط الأكيد الذي ليس عليه من مزيد هو: الإقامة على التقوى والبراءة من الدعوى، والسلامة من تزكية النفس، فإن الظهور يقصم الظهور، وإن الرضا عن النفس من أمارات السقوط والهبوط، ومن علامات الاستدراج والخذلان ونعوذ بالله أن نكون من المستدرجين ومن الساقطين».

سنده عال لصحيح البخاري

■ عند إجازة الرحالي الفاروق، رحمه الله، لأحد طلابه كان يذكر في نص إجازته: «.. ومن كمال العناية بموضوع إجازتك، أنني أهدي إليك سندا عاليا لصحيح البخاري وهو: عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي عن الشيخ سليم البشري عن الشيخ منة الله عن الشيخ الأمير، عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الشيخ حسن العجيمي عن أحمد بن العجل اليمني عن الشيخ ابراهيم ابن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالأول الفرغاني عن أبي عبدالرحمن محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن يحيى بن عمار الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ورضي عنه وأرضاه».

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ رحمه الله مشاركة وحيدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «المؤتمر الرابع لعلماء المغرب»، في العدد: (٨٦).

وفاته

■ بعد عمر طويل جاوز المئة، توفي العالم الحافظ الفاروقي الرحالي، رحمه الله، (يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة عام: ١٤٠٥هـ الموافق ١١ مارس ١٩٨٥م)، وحضرت جنازته بمراكش، جحافل من الناس، وجموع غفيرة.

المصادر
- موقع «هاسبريس» (محمد القنور).
- المكتبة الشاملة الحديثة (عزالدين المعيار الإدريسي).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الشاعر والروائي والصحافي

تيسير علي الظبيان



■ عاش في سورية والأردن وزار مصر، وهو شخصية كثيرة المواهب والإبداعات، متعددة الاتجاهات، تجده: كاتبا، صحافيا، مبدعا، سياسيا محنكا، مناضلا، مفكرا، مكتشفا، شاعرا، أديبا مميزا، مربيا وتربويا.

■ من الرعيل الأول ومن أبرز رموز الحركة الثقافية والأدبية التي فاءت ظلالها على الأرض الأردنية الطيبة والدول العربية كافة.

■ على يديه نشأت ثلة من رجالات الأردن الأشاوس الذين تقلدوا مناصب قيادية مهمة في المملكة الأردنية، سواء في الدوائر العسكرية والأمنية والدبلوماسية والثقافية والتربوية والأدبية.

■ شعره في جملته شعر مناسبات؛ وطنية أو قومية أو دينية أو اجتماعية، غير أن الدافع الروحي لديه، الممتزج بالوعي التاريخي والمتعلق بالمثال، يضخ في هذه الأغراض التقليدية قدرا من الحرارة والجدة يتجاوز المعهود لدى شعراء التقليد.. إنه الأستاذ الشاعر الأديب المفكر المربي الفاضل تيسير محمد علي شريف ظبيان.

المولد والنشأة والتعليم

■ العلامة الظبيان من آل الكيلاني، ولد مع بداية القرن العشرين عام: (١٩٠١م الموافق ١٣١٩هـ)، في بلدة «مصياف» التي تقع في محافظة حماة في الجمهورية العربية السورية لأب من أصل دمشقي.

■ والده كان في طليعة رجال القضاء والعلم في الشام.. ونظرا لطبيعة عمله في القضاء وما تقتضيه لوائح النظام العثماني المطبقة في ذاك الوقت، كان دائم التنقل والترحال من منطقة لأخرى؛ فانتقل في بداية الأمر إلى «حاصبيا» ثم بعدها إلى «الزبداني» ثم إلى «النبك»، التي شهدت تعليم الظبيان الأولي، فتلقى في مدرستها، التي كان يرأسها آنذاك الشيخ كامل القصاب، علومه الابتدائية الأولى لمدة أربع سنوات.

■ تهيأت الظروف للظبيان بعدها وانتقل إلى مدينة القدس (الوجهة التي كانت مقصدا للطلبة من مختلف المناطق للالتحاق بمدارسها وكلياتها)، فتابع دراسته في الكلية الصلاحية التي أمضى فيها ثلاث سنوات تلقى فيها تعليمه على أيدي ثلة من أعمدة الفكر والأدب العربي أمثال: إسعاف النشاشيبي والشيخ عبدالقادر المغربي والشيخ أمين الغوري والشيخ حسام جار الله.

■ خلال فترة دراسته هذه تفتحت ميوله الأدبية فأقدم على حفظ الشعر ونظمه وكان يحرص على حضور ندوات الأدب والشعر التي يعقدها الأساتذة لتنمية ميول الطلاب الأدبية والفكرية والدينية.

■ بعدها عاد الظبيان إلى دمشق، وعزم على مواصلة الدراسة، فالتحق بالمدرسة السلطانية هناك وانتظم بالدراسة فيها ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب عنبر (مدرسة التجهيز).

■ في مكتب عنبر صُقلت شخصيته السياسية وتعمقت أفكاره ومبادئه وآراؤه ليقرر بعد ذلك إكمال مشوار دراسته في المدرسة الحربية التي تخرج فيها عام: (١٩١٩م) وقد نال رتبة ملازم ثان في الجيش العربي.

حياته العملية

■ بعد أن حصل الظبيان على رتبة مـ زم ثان في الجيش العربي في دمشق عين مرافقا لرئيس أركان حرب الوزارة (الشهيد يوسف العظمة) ثم لياسين الهاشمي رئيس الأركان اللاحق.

■ بعد استشهاد البطل يوسف العظمة في معركة ميسلون واجتياح الجيوش الفرنسية سورية، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام، فهرب إلى شرقي الأردن، وعمل بالتدريس، وتنقل معلما بين مدارس الأردن وفلسطين فعمل في إربد والقدس

وبئر السبع.

■ خلال تنقله وترحاله كان على الدوام يعمد إلى نشر أفكاره وشحذ الهمم وبث الروح العربية الأصيلة.. فما كان من السلطات البريطانية إلا أن اعتقلته لـ٣ سنوات ثم بعدها نفته إلى الطفيلة.

■ بعدها أسس أول مدرسة إسلامية أهلية في عمّان (مدرسة العلوم الإسلامية الدينية)، ثم أسس الكلية العلمية الإسلامية، وعاد لإصدار جريدة «الأقصى» التي توقفت عام: (١٩٤٥م).. بعدها عُين مديرا لمدرسة كلية الشريعة ثم قرر إصدار مجلة تحمل اسمها (الشريعة) وهي لا تزال تصدر حتى الآن.

■ كان الظبيان قد عاد فترة إلى سورية ومارس فيها هوايته الصحفية، فقام بإصدار جريدة «الناشئة العربية»، ثم جريدة «الجزيرة».

إنتاجه الأدبي

■ برزت الميول الأدبية والثقافية عند الظبيان في وقت مبكر من عمره، وقد ارتبط بعلاقات صداقة مع العديد من المؤلفين والكتّاب في مختلف أنحاء الوطن العربي، وخلال فترة عمله وخلال حياته الحافلة بالعديد من النجاحات ترك مؤلفات مهمة أغنت المكتبة العربية، ومن أبرز مؤلفاته: «الفردوس في الأدب العربي»، «فيصل بن الحسين» (١٩٣٣م)، «الحبشة المسلمة» (١٩٣م)، «فلسطين الدامية» (١٩٣م)، «مقام المرأة في الإسلام»، «الملك عبد الله كما عرفته» (١٩٦٧م)، «الملك طلال» (١٩٧٢م)، «أسرار الحركة الماسونية» (١٩٦٤م)، «ثورة سورية الكبرى»، «موقع أهل الكهف» (١٩٧٨م) وغيرها الكثير من المؤلفات.

■ الظبيان كاتب روائي من الدرجة الأولى أول رواية ألفها كانت تحمل اسم «مذكرات طالب ثانوي» قام بنشرها في جريدة الجزيرة، بعدها أصدر رواية «مذكرات فتاة شاردة» أو «مذكرات الآنسة أ. ب. ج. د.»، وقد كانت أول رواية نشرت في الأردن ليتم إدراج اسم محمد تيسير ظبيان على رأس قائمة الروائيين الأردنيين.

إنتاجه الشعري

■ كان الظبيان شاعرا مرهفا له العديد من القصائد نشر بعضها في أعداد من جريدة «الجزيرة»، ومجلة «الشريعة»، وله قصائد مطبوعة في كتاب «ديوان الثورة السورية» (جمع: محمود عرفة، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٦م)، كما له أناشيد وطنية ودينية نشرت في كتيب بعنوان: «أناشيد الفتيان».

أعمال أخرى

■ كتب الظبيان الرواية الشعرية: «شهيد الغدر الصهيوني»، كما لم تفته الكتابة للمسرح فكانت له مسرحيتان هما: «خالد بن الوليد» و«الثورة العربية الكبرى»، وله تراجم ودراسات ذات طابع تاريخي قومي، وإسلامي، كما شارك الظبيان في أدب الرحلات وله فيه: «جولة في ربوع الباكستان» (١٩٧٣م) و«مشاهداتي في ديار الإسلام»، وكلها مخطوطة، فضلا عن مقالات وخطب كثيرة في مناسبات دينية وقومية واجتماعية.

أوسمة

■ نتيجة لجهوده وآثاره الطيبة فقد نال المرحوم الظبيان العديد من الأوسمة تقديرا له ولأعماله منها: «وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثالثة» (١٩٥٨م)، و«وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الثانية» (١٩٦٢م)، و«وسام التربية من الدرجة الثانية» (١٩٧١م)، و«درع كلية الشرطة الملكية».

مساهماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الأديب الشاعر تيسير علي الظبيان مساهمة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان: «هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن»، (ع:٤٧).

وفاته

■ عاش العلاّمة محمد تيسير ظبيان حياة ممتلئة بالنضال والعطاء والجهاد وقد رحل عن دنيانا وانتقل إلى رحاب بارئه في عمان يوم الخميس (٧ سبتمبر ١٩٧٨م)، لتطوى صفحة في تاريخ الأدب العربي والثقافة العربية المشرفة لكن ذكراه باقية لا تطوى نظرا للآثار التي تركها في مكتبات الدول العربية فأحيت ذكراه إلى الأبد.

المصادر والمراجع

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي» (الجزء الأول).
- معجم البابطين.
- موقع «دار الوثائق الرقمية».
- موقع «جريدة الرأي» (الأردن).
- موقع «دليل الفتيان».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

ذو العمادتين صاحب أيسر تفسيرين للقرآن

العلامة عبدالجليل عيسى أبو النصر

■ ظل طيلة حياته رمزا عاليا للإباء والكرامة والعزة، وأنموذجا عمليا للإيجابية والتقدم إضافة إلى العلم والمرجعية.

■ عرف على نطاق جماهيري واسع بسبب مشاركاته المبكرة في الأحاديث الدينية من خلال الإذاعة.. هو أحد علماء الأزهر المرموقين، الذين كانوا مرشحين في وقت لمنصب الإمام الأكبر لمشيخة الأزهر.

■ عاش حياته نضالا ورأيا وعملا من أجل أن يكون للعالم صوت في مجتمعه، وعمل دائب في خدمة وطنه، وجهاد متصل من أجل كلمة الحق، تقال في كل وقت وأي مكان.

■ رغم أنه من أعلام علماء المالكية في عصره، فإنه كان من كبار المجددين؛ خلع عن عنقه ربقة التقليد وتوسع في دراسة المذاهب.. وقد عزز انتماؤه العربي والإسلامي في نفسه الشعور بأصالة تراثنا، وبعظمة الماضي وجلاله، وبمجد الأزهر العلمي العريق وكانت هذه الانتماءات كلها هي مكونات شخصيته.

■ جلس تحت أقدام مشايخ كثر، أبرزهم الشيخ المراغي، ومنه تلقى حب مدرسة التجديد والإصلاح.. كما جلس تحت قدميه كثيرون، أبرزهم الإمام محمد متولي الشعراوي، وكان الشيخ هو الذي بصره بالتفسير وحببه اليه.

■ في منتصف أربعينيات القرن المنصرم تولى عمادة كلية أصول الدين، وفي نهاية أربعينيات القرن نفسه عين عميدا لكلية اللغة العربية وعلى مدى السنوات الأخيرة من خدمته.. ولذا لقب بـ «ذي العمادتين».. إنه الشيخ العلم العلامة عبدالجليل عيسى أبو النصر المالكي.

نشأته وتكوينه

■ ولد عبدالجليل عيسى في عزبة الرملة بمديرية البحيرة عام: (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) (بعض المصادر تذكر أنه ولد عام: ١٨٨٩م).. تلقى تعليما دينيا بدأه في الكتاب، فحفظ القرآن الكريم صبيا، ثم أخذ علومه الأولى في الجامع الأحمدي في طنطا، ثم انتقل إلى الأزهر وحصل على عالميته (أو العالمية القديمة) عام: (١٩١٤م)، وكانت سنه آنئذ الخامسة والعشرين، وفي العام نفسه عين مدرسا بمعهد طنطا الديني.

حياته العملية

■ عاش عيسى العصر الذهبي له في عهد الإمام المراغي فقد كان لأسباب كثيرة محل ثقته واعتماده، ففي منتصف ثلاثينيات القرن الماضي (١٩٣٧م) صدر أمر ملكي بتعيينه شيخا لمعهد دسوق الديني، ولما أسس الشيخ المراغي معهد شبين الكوم الأزهري في العام التالي (١٩٣٧/١٩٣٨م)، رشح عيسى ليكون أول عميد لهذا المعهد فصدر أمر ملكي ثان بذلك؛ وقد كان الشيخ على العهد من حسن الظن به، ففرض روح العلم والبحث والاجتهاد والالتزام الشديد والانضباط المتصل على هذا المعهد مما أهله لأن يحتل بسرعة مكانة متقدمة بين المعاهد الأزهرية على مستوى القطر المصري.

■ في عام: (١٩٤٦م)، صدر أمر ملكي ثالث بتعيينه عميدا لكلية أصول الدين، وفي العام التالي (١٩٤٧م) صدر أمر ملكي رابع بتعيينه عميدا لكلية اللغة العربية.

عمله الوطني

■ ظل عيسى معتزا بالحق والخلق القويم، ثائرا على الدوام للحق ضد الباطل، وكان واحدا من كبار العلماء الذين بدأوا ثورة الأزهر في الثلاثينيات؛ وهي ثورة متعددة التوجهات والأهداف، إذ كان من أهدافها: مجابهة الاحتلال البريطاني لمصر ومكافحته، والمطالبة بعودة الشيخ المراغي لمنصبه شيخا للأزهر، لكن أنبل أهدافها كان تأييد الزعيم الليبي الشيخ عمر المختار في ثورته ضد المحتل الإيطالي.

■ تولى عيسى أمر تجميع العلماء من أجل هذه الأهداف النبيلة، التي تحققت جميعها؛ إذ ائتلفت الأحزاب وتفاوضت مع المحتل البريطاني ووصلت إلى معاهدة: (١٩٣٦م)،

وعاد الشيخ المراغي إلى منصبه، وأزعج تأييد الليبيين المحتل الإيطالي؛ فكان اسم الشيخ في مقدمة أسماء قائمة شهيرة من (٢٠٠) عالم أزهري فصلتهم وزارة إسماعيل صدقي باشا بدعم من الملك فؤاد في مطلع الثلاثينيات.

■ لكن الشيخ عرف بتحديه للظلم والطغيان فرفع قضية ضد حكومة صدقي (في عهد الملك فؤاد)، وبعد ٤ سنوات كفاحا في أروقة المحاكم كسبها وأعيد إلى عمله وكان هذا إنجازا غير متصور في ذلك العهد.

■ ظل الشيخ جاهرا بالحق متحديا للقرارات والأحكام الجائرة حتى أصدر الملك فاروق مرسوما ملكيا بإحالته إلى المعاش قبل السن القانونية، لكن الشيخ عاد سيرته الأولى ولجأ إلى القضاء، الذي أعاده عميدا للكلية عام: (١٩٥٥م) مع تعويضه ماليا والثناء على علمه وفضله.

وكان له آراء لافتة للنظر أثارت انتقاد علماء عصره له رحمه الله.

آثاره العلمية

■ عرف عيسى بقدراته الفذة مفسرا للقرآن الكريم في الإذاعة وعلى صفحات أبرز المجلات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي. وإلى جانب بحوثه في علوم الدين فقد قدم الشيخ للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات القيمة؛ منها:

■ هو العالم الوحيد الذي له تفسيران للقرآن الكريم، هما: «تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم» و«المصحف الميسر»:

(الأول هو تفسير كامل نفيس، احتوى على نظرات الشيخ الفريدة في القرآن، وبدا تأثر الشيخ فيه جليا بمدرسة الإصلاح والتجديد، وسار فيه على منهج الإمام محمد عبده؛ من موضوعية ونفاذ بصيرة، وعقلية أصيلة تزن كل شيء وتحكم في عمق على الآثار والمرويات والمأثورات).

(والثاني هو مختصر على هامش المصحف، وهو أقرب إلى بيان مفردات القرآن) - و«ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين» (وهو كتاب شهير ظهر في ستينيات القرن الماضي، ويعد من الكتب الرائدة في علم الاختلاف الفقهي) - و«صفوة صحيح البخاري» (في ٤ أجزاء وهو عبارة عن ٧٠٠ حديث مختارة من صحيح البخاري مع الشرح اليسير الواضح، وعلى هذا الكتاب نشأت أجيال عدة من طلبة المرحلة الثانوية بالأزهر) - و«اجتهاد الرسول» (وهو يحمل فيه طابع الإمام محمد عبده العقلي في كتابه المشهور «رسالة التوحيد»؛ فهو قبس من جذوة الفكر العلمي التي أنار بها الإمام الطريق لجيله وللأجيال التي خلفته).

عضويات وجوائز

■ انتخب عيسى عضوا في مجمع البحوث الإسلامية في مطلع السبعينيات، وقبلها اختير عضوا في لجنة الفتوى بالأزهر، كما كان عضوا في لجان المجلس الأعلى للثقافة.

■ كان عيسى ثاني من نال جائزة الدولة التقديرية من العلماء المرتبطين بالأزهر لم يسبقه إليها إلا الشيخ علي الخفيف (١٩٧٦م) الذي لم يتخرج في الأزهر وإنما تخرج في مدرسة القضاء الشرعي وعمل أستاذا بكلية الحقوق، وقد نال عيسى هذه الجائزة عام: (١٩٨٠م)، في أول أعوام منحها لأكثر من فائز، واشترك معه في الفوز بها الدكاترة: عبدالعزيز القوصي ومحمد محمود الصياد ورفعت المحبوب.

■ كما منح وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، وتخليدا لذكره أطلقت كلية اللغة العربية اسمه الكريم على إحدى قاعاتها الكبرى.

مساهماته مع «الوعي»

■ للشيخ العلامة الفاضل عبدالجليل عيسى، رحمة الله عليه، عشرون مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «جرائم بني إسرائيل» (٤-٤)، ع:٤ و١٤ و٢٠ و٢٤ - و«تحويل القبلة»، ع:٨ - و«لماذا اختلف الأئمة؟» (٣-٣)، ع:٢٢ و٢٦ و٢٨ - و«متى يكون نصر الله؟»، ع:٣٥ - و«لمن يكون نصر الله؟» (٢-٢)، ع:٤٠ و٤٢ - و«متى نستحق النصر؟»، ع:٥١، و«مصايد الشيطان الثمانية»، ع:١٢٧، و«التمييز بين الأولاد في العطية»، ع:١٣٥، و«بين الذكر والرحمة»، ع:١٤٨، و«عدم انتفاع الإنسان بعمل غيره»، ع:١٦٣، و«مجالس الذكر (٢-٢)»، ع:١٧٠ و١٨٨، و«مع آية من كتاب الله»، ع:١٧٤، و«القضاء والقدر»، ع:١٨٥.

وفاته

■ عمر الشيخ عبدالجليل عيسى؛ فعاش ما يقرب من قرن من الزمان (اثنتين وتسعين سنة) باذلا وقته وجهده في خدمة الإسلام والمسلمين، وقد أصيب الشيخ بالشلل سنة: (١٩٧٩م)، وظل طريح الفراش إلى أن توفاه الله يوم الجمعة غرة رمضان: (١٤٠١هـ) الموافق: (٢) يوليو عام: (١٩٨١م).

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- رابطة العلماء السوريين.
- الأزهر في ألف عام.
- جمهرة أعلام الأزهر الشريف.
- موقع «الجزيرة» (د. محمد الجوادي).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

المؤرخ الأديب

حسين مؤنس

■ حين يتحدث تدفعه نفس سمحة وعقل راجح؛ وكلمات تغوص إلى بواطن الأمور؛ محللة ومنقبة، فتلقى حديثه نافذا القلوب والعقول بالرأي السديد والحجة البينة، والحقيقة الساطعة.

■ كتب في عصور مختلفة وحقب متنوعة امتدت لتشمل أربعة عشر قرنا من الزمان، وتحيط بأرض الإسلام من الصين حتى المغرب، ومن جنوبي أوروبا حتى وسط إفريقيا.

■ تجده في كل ما يكتب غزير المادة، عميق النظر والتأمل، موضوعي القلم، لا يشتط فيغرق في المدح والثناء، أو يسرف في النقد والذم، هو وسط بين ذلك.

■ هو مؤرخ سار على خطى الطبري والمسعودي وابن الأثير والمقريزي، وعلى دربهم نهج وكتب.. لذا تجده يقف أمة وحده بين مؤرخي العرب المحدثين.

■ لم يترك كتابا أو اثنين، بل ترك تراثا ضخما، وإنتاجا ثرا، يكفي بضعة منه ليجعل صاحبه يتبوأ مكانة عالية بين كبار المؤرخين.. إنه الأستاذ والمؤرخ العظيم حسين مؤنس.

المولد والنشأة

■ ولد حسين مؤنس في مدينة السويس في (٤) رمضان (١٣٢٩هـ)، الموافق (٢٨) أغسطس (١٩١١م)، ونشأ في أسرة كريمة، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم، فشب محبا للعلم، مفطورا على التفوق والصدارة.

■ في التاسعة عشرة من عمره نال الشهادة الثانوية، ثم جذبته إليها كلية الآداب بمن كان فيها من أعلام النهضة الأدبية والفكرية، فالتحق بقسم التاريخ، ولفت بجده ودأبه في البحث أساتذته.

■ في عام: (١٩٣٤م)، تخرج مؤنس متفوقا على أقرانه وزملائه، لكنه لم يعين بعد تخرجه في الكلية؛ لأنها لم تكن قد أخذت بعد بنظام المعيدين، فعمل مترجما عن الفرنسية ببنك التسليف.

«الجامعيين لنشر العلم»

■ أثناء عمله مترجما في «التسليف»، اشترك مؤنس مع جماعة من زملائه في تأليف لجنة أطلقوا عليها «لجنة الجامعيين لنشر العلم»، بهدف نشر بعض ذخائر الفكر الإنساني، فترجمت كتاب «تراث الإسلام» الذي وضعه مجموعة من المستشرقين، وكان نصيب مؤنس ترجمة الفصل الخاص بإسبانيا والبرتغال.

■ في تلك الفترة أيضا، نشر مؤنس كتاب «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (أول مؤلفاته التاريخية)، عرض فيه لتاريخ العالم الإسلامي من القرن السابع عشر الميلادي إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ثم حصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها «فتح العرب للمغرب» عام: (١٩٣٧م).

في الجامعة

■ بعد حصوله على الماجستير عين في الجامعة، ثم لم يلبث أن ابتعث إلى فرنسا لاستكمال دراسته العليا، فالتحق بجامعة باريس، وحصل منها عام: (١٩٣٨م) على دبلوم دراسات العصور الوسطى، وفي السنة التالية حصل على دبلوم في الدراسات التاريخية من مدرسة الدراسات العليا.

■ حالت الحرب العالمية الثانية بينه وبين إكمال دراسته في فرنسا، فغادرها متجها إلى سويسرا، وأكمل دراسته في جامعة زيورخ، ونجح في الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ سنة: (١٩٤٣م)، وعين مدرسا بها في معهد الأبحاث الخارجية الذي كان يتبع الجامعة.

■ لما انتهت الحرب العالمية الثانية ووضعت أوزارها عاد إلى مصر عام: (١٩٤٥م)، وعين مدرسا بقسم التاريخ بكلية الآداب، وأخذ يرقى في وظائفه العلمية حتى عين أستاذا للتاريخ الإسلامي عام: (١٩٥٤م).

«الألف كتاب»

■ إلى جانب عمله بالجامعة انتدبته وزارة التربية والتعليم عام: (١٩٥٥م)، ليتولى إدارة الثقافة بها، وكانت إدارة كبيرة تتبعها إدارات مختلفة للنشر والترجمة والتعاون العربي، والعلاقات الثقافية الخارجية، فنهض بها، وبث فيها حركة ونشاطا، وشرع في إنشاء مشروع ثقافي، عرف بمشروع «الألف كتاب»، ليزود طلاب المعرفة بما ينفعهم ويجعلهم يواكبون الحضارة، وكانت الكتب التي تنشر بعضها مترجم والآخر مؤلف وتباع بأسعار زهيدة.

«الدراسات الإسلامية» بمدريد

■ في عام: (١٩٥٤م)، تولى مؤنس إدارة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد لمدة عام، نهض به، واستكمل مكتبته حتى أصبحت من أغنى المكتبات العربية في إسبانيا، وأشرف على مجلته، وأرسى قواعد النشر بها في

قسميها العربي والأوربي، ثم عاد إلى القاهرة.

■ عام: (١٩٥٧م)، وأثناء وجود مؤنس بالقاهرة كلفته مصلحة الاستعلامات القيام برحلة طويلة إلى دول أميركا اللاتينية، الناطقة بالإسبانية، لتوثيق الروابط بينها وبين مصر، والعمل على إنشاء عدد من المراكز الثقافية بها، فنجح في مهمته وأصبحت تلك المراكز تاليا على صلة بالمعهد المصري في مدريد.

■ في عام: (١٩٥٨م)، عاد مؤنس مرة أخرى إلى إسبانيا لتولي إدارة المعهد، وظل هناك حتى بلوغه سن التقاعد (١٩٦٩م)، وتعد هذه الفترة من أزهى عصور المعهد، إذ أصبح ملتقى للمستشرقين وأساتذة الجامعة المهتمين بتاريخ المسلمين في الأندلس، وأقبل عدد كبير من الطلاب على دروس اللغة العربية التي ينظمها المعهد، وتردد الجمهور على المحاضرات والندوات التي تعقد به، وصارت مجلته معرضا لما حفلت به من أبحاث عميقة، ونشطت مطبوعاته، سواء العربية أو الإسبانية.

■ كما أن تلك الفترة تعد أخصب فترات حياة مؤنس العلمية إنتاجا، إذ أخرج عددا كبيرا من مؤلفاته ومترجماته، وحقق بعض النصوص العربية.

في الكويت

■ بعد بلوغ مؤنس سن التقاعد عاد إلى مصر، لكنه لم يستقر فيها طويلا، إذ دعته جامعة الكويت ليعمل بها أستاذا للتاريخ، فمكث هناك ثماني سنوات حفلت بمختلف النشاط العلمي، ونشر فيها بعض مؤلفاته، وأعاد نشر ما سبق له من إنتاج، ولم يكف عن إمداد الصحف بمقالاته المتنوعة في التاريخ والأدب والاجتماع، وكان له عمود يومي في صحيفة القبس الكويتية بعنوان «كلمة طيبة»، يسجل فيه ما يعن له من خواطر وأفكار.

العودة إلى الوطن

■ بعد أن قضى مؤنس بالكويت ثماني سنوات عاد إلى أرض الوطن عام: (١٩٧٧م)، واشتغل أستاذا غير متفرغ بجامعة القاهرة في قسم التاريخ، وفي الوقت نفسه دعته مؤسسة الهلال الصحيفة، ليتولى رئاسة تحرير مجلة الهلال (أقدم المجلات الأدبية في العالم العربي).

■ نهض مؤنس بالمجلة في الفترة التي تولى فيها رئاسة تحرير «الهلال»، وطور في شكلها ونظام إخراجها وجدد في تبويبها، وكانت افتتاحياته لها قطعا أدبية رائعة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مجلة أكتوبر الأسبوعية، وظل يكتب بها حتى وفاته، وكانت مقالاته بالمجلة من أروع وأجمل ما ازدانت به هذه الصحيفة.

إنتاج غزير ومتنوع

■ تقلب مؤنس في وظائف مختلفة، وشد رحاله إلى بلاد متعددة، ولكن ذلك كله لم يشغله عن التأليف والتصنيف الكثير في عدده، الغزير في مادته، العميق في تناوله، المتنوع في موضوعاته، فألف في ميدان الكتابة التاريخية، وله كتب متنوعة في الحضارة الإسلامية وفلسفة التاريخ، وكتب في ميدان تحقيق التراث وفي مجال الترجمة عن اللغات، إذ كان يجيد الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية.

■ لم يكن مؤنس مؤرخا فذا فحسب، بل كان أديبا موهوبا، صاحب بيان وأسلوب، ولو تفرغ للأدب لكان له شأن كبير، وما تركه من إبداع في ميدان الكتابة الأدبية شاهد على ملكاته الأدبية في الرواية والقصة القصيرة والأدب المسرحي، فمن أعماله القصصية «إدارة عموم الزير» تدور حول البيروقراطية المصرية، وبلغ من شهرة هذا القصة، أن سارت مثلا سائرا بين الناس، و«أهلا وسهلا» و«الجارية والشاعر» وحكايات «خيرستان»، و«قصة أبو عوف» و«غدا تولد شمس أخرى».

تقديرات وأوسمة

■ لقي مؤنس تقدير الهيئات العلمية، فدعي أستاذا زائرا في كثير من جامعات العالم، فحاضر في جامعة الرباط ولندن، ودرهام، وأندرو، وكمبردج، وأدنبره، وهامبورج، وبون.

■ اختير عضوا في كثير من المجامع العلمية، مثل الجمعية المصرية التاريخية، والمجمع العلمي المصري، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجالس القومية المتخصصة، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام: (١٩٨٥م).

■ في عام: (١٩٦٥م)، نال جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. كما حصل على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام: (١٩٦٦م).. ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة، عام: (١٩٨٦م).. كما نال عدة أوسمة من دول مختلفة.

وفاته

■ ظل مؤنس وافر النشاط متوقد الذهن على الرغم من كبر سنه، وضعف قدرته على الحركة، وملازمته للمنزل حتى لقي الله في (١٧) مارس (١٩٩٦م).

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للأستاذ الأديب المؤرخ حسين مؤنس مشاركة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «دور المساجد في بناء الجماعة الإسلامية» (ع:١٠٢).

المصادر

- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- موقع إسلام أونلاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «رشف».



هشام الصباغ
باحث لغوي

المربي الأديب والشاعر الناقد

زكي المحاسني

■ من أخصب شعراء الشام قريحة وإنتاجا، يرتجل الشعر أحيانا، ويقوله على البديهة والموهبة، فإذا واتاه الإلهام فاضت على لسانه قصائد بديعة، تتدفق بالمعاني والصور التي تموج بالألوان والظلال، بلغة فصيحة تضاهي قديم الشعر العربي.

■ قامة اتسمت بالتواضع والنقاء والاعتزاز بالنفس، مع ميل إلى الطرافة والتواصل الاجتماعي.. حديثه جذاب ينم عن أفق واسع، وثقافة عريضة أصيلة، واطلاع كبير على الثقافات والآداب العالمية.

■ أحب القراءة، وشغف بمطالعة الكتب، وكان كثير الذهاب إلى دار الكتب الظاهرية بدمشق لينهل مما تضمنته من كتب في الأدب والشعر.. وكان في أثناء دراسته يبحث عن المعرفة، ويقرأ حتى يرتوي ويتبع هذا بكتابة بعض الخواطر.

■ ذو شخصية سمحة انعكست على أدبه وكتاباته، فلا تجد أي أثر لطعم الهجاء، بمعناه الفني، فيما خط؛ نثرا وشعرا.. وفي مطلع حياته العملية امتهن المحاماة بعد تخرجه في كلية الحقوق لكن حبه للأدب دفعه إلى الانصراف إلى التدريس الجامعي والتأليف.

■ لغته في التعبير الأدبي تنم عن امتلاكه موهبة الكتابة، وتمسكه باللغة العربية الفصحى.. ورسائله نمت عن جمال في اللفظ، وغنى في اللغة، وقدرة في التعبير بصدق وأمانة.. إنه الأستاذ المربي الأديب والشعر الناقد زكي المحاسني.

النشأة والتعليم

■ ولد زكي محاسني (أو محاسن) عام ١٩٠٩م، لأسرة دمشقية عريقة، عمل أبناؤها في التجارة، وتولى الكثير منهم مناصب دينية رفيعة في العهد العثماني.. والده (شكري المحاسني) كان من كتّاب المحكمة الشرعية بدمشق، وقد توفي وعمر زكي سنتان.

■ بعد وفاة والده، بقي زكي مع أمه (سارة البحيري) في دار أهلها إلى أن بلغ الرابعة من عمره، ثم جيء به إلى دار عمه (رفيق المحاسني)، الذي كفله ورباه لفترة إلى أن سعت زوجته لحرمانه من التعليم وإلحاقه بالعمل لدى أحد تجار الشام، فلجأت أمه إلى عمه الثاني (محمد المحاسني) وكان يعمل قاضيا بدمشق، وشكت له أمر الفتى، فطيب خاطرها، وأمر بإدخاله مدرسة التجهيز التي كانت تسمى «مكتب عنبر».

■ انتظم المحاسني في الدراسة في الصف السابع (أول الصفوف الثانوية في مكتب عنبر) ومضت سنوات دراسته ولم يعرف فيها تقاعسا، فكان يرتقي من صف إلى صف أعلى بدرجات متفوقة، حتى اجتاز امتحان الباكالوريا سنة ١٩٢٨م، وكان الأول على البلاد السورية جمعاء، وتهيأ على إثرها لدخول المرحلة الجامعية.

■ اختار المحاسني كلية الحقوق، فقد كان الكثيرون من أسرته من القضاة والمحامين، وحصل على الإجازة الجامعية من كلية الحقوق بدمشق عام ١٩٣٦م، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة، ثم تابع تحصيله العلمي، فحصل على شهادة الماجستير في الآداب من الجامعة المصرية. وكان أول سوري يحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة القاهرة (فؤاد الأول آنذاك) وكانت أطروحته بعنوان «شعر الحرب في أدب العرب» سنة ١٩٤٧م.

■ في تلك الاثناء فوجئ بوفاة أمه ولم تتجاوز الخمسين إلا بقليل، وتأثر لذلك تأثرا شديدا، وظل وفيا لذكراها، إذ يقول: «عشت بعدها باكيا عليها في شعري، وكانت حنونا رؤوما، ولن أستطيع أن أنساها حتى أموت، وإني لأحيا كل يوم ناظرا إلى محياها الباسم من وراء الغروب».

الحياة المهنية

■ بدأ المحاسني عمله استاذا لمادة اللغة العربية في مدينة أنطاكية ومن ثم في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق.. ثم عينته الحكومة السورية ملحقا ثقافيا في القاهرة سنة ١٩٤٦، حيث أكمل دراسته في جامعة الملك فؤاد الأول، ووضع رسالة ماجستير عن «أبي العلاء المعري»، ورسالة دكتوراه عن «شعر الحرب في العصر الأموي».

■ في عام ١٩٤٧م، عين أستاذا مساعدا في كلية الآداب في الجامعة السورية، وبقي فيها حتى سنة ١٩٥٢م، حين عين ملحقا ثقافيا في

السفارة السورية في مصر، ومندوبا في الجامعة العربية للشؤون الثقافية.

■ عاد إلى دمشق سنة ١٩٥٦م وشغل منصب مدير إدارة التراث القديم والمخطوطات بوزارة الثقافة والإرشاد القومي حتى عام ١٩٦٥م، بعدها غادر إلى السعودية للتدريس في في جامعة مكة حتى عام ١٩٦٦م، ومن ثم إلى بيروت للعمل في الجامعة اللبنانية حتى عام ١٩٦٩م.

■ انتخب عضوا مراسلا في المجمع الملكي الإسباني عام ١٩٧١م، وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتزكية من الدكتور طه حسين.

أسلوبه ولغته

■ أسلوبه في الكتابة جمع بين الجزالة وقوة التعبير والبلاغة العربية، والتفنن في الأسلوب والمعنى، وقد ظهرت نفسيته الشفافة النقية على أسلوبه الذي اتسم بالوضوح في كل مؤلفاته، وابتعد عن التصنع والتكلف في شعره ونثره.

■ وصف الأستاذ ظافر القاسمي أسلوبه قائلا: «أقبل على الشعر فجود فيه، وكان من فرسانه، وأقبل على النثر فإذا هو من فحوله: أسلوب قرشي صاف مشرق، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا». وقال عنه الأستاذ أنور الجندي صاحب «الموسوعة الكبرى في الأدب المعاصر» عن لغته: «شاعر بكل معنى الكلمة، حتى لو كتب النثر أو ألف في الدراسات العقلية».

المحاسني شاعرا

■ امتاز شعره بالنبرة الصادقة، والصدق في التعبير دونما تكلف أو تصنع في صياغة العبارة واختيار الألفاظ، وشعره يكشف عن أسلوب مشرق؛ ينم عن رصانة الطبع وصفاء النفس وشرف الخلق، فضلا عن الرزانة.

■ بدأ المحاسني في نظم الشعر وهو طالب في مدرسة التجهيز بدمشق، وكان قد حفظ الكثير من القصائد لشعراء قدماء ومعاصرين، فأخذت تدفعه إلى الكتابة الشعرية تأملات فكرية وسوانح عاطفية، كانت تنبع من داخله، ومؤثرات خارجية تركت في نفسه أثرا.

■ يعبر هو عن رأيه في الشعر فيقول: «إن الشعور ذو عمر يرافق صاحبه، فما كنت أحس به وأنا في ميعة الصبا هو غير ما أحس به الآن، ووفاق ذلك يكون دافع الشعر، وقد أراني مؤمنا بالتطور الذاتي، فالشاعر مثل النبات؛ ينمو ثم يزدهر ويثمر خلال هذا العمر في الصبا والكهولة، ويجود بما يجود به الزهر في الربيع..».

.. وناثرا

■ بدأ المحاسني بكتابة المقال منذ أن كان مدرسا في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق، وفازت إحدى مقالاته حينئذ بالجائزة الأولى في مسابقة نظمتها مجلة (الحديث) السورية سنة ١٩٣٦م، وكانت بعنوان «من هو أكبر أديب عربي معاصر».

■ استمر المحاسني في كتابة المقال وهو يدرس في كلية الآداب بالجامعة السورية، وقد نشرت مقالاته في عدد من المجلات والصحف العربية، منها: «الأمالي» و«الأديب» و«الرسالة» و«الصباح» و«الأحد» اللبنانية، «المجلة» و«الكتاب» المصريتان، «المعلم العربي» و«المعرفة» السوريتان، «قافلة الزيت» و«المدينة المنورة» السعوديتان، «دعوة الحق» المغربية، «الأقلام» العراقية، «رابطة العالم الإسلامي» التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

مؤلفاته

■ وضع المحاسني عددا من الدراسات الأدبية، كان أشهرها كتابا عن المُتنبي، صدر في بيروت سنة ١٩٥٦م. ومن مؤلفاته كتاب: «نظرات في أدبنا المعاصر»، «أساطير ملهمة»، «شعر العرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى سيف الدولة» (وهي رسالة الدكتوراه التي كان قد قدّمها في مصر)، أما رسالة الماجستير فكانت عن «أبي العلاء» فقد صدرت في كتاب بعد وفاته.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الصحافي الشاعر الأديب المربي زكي المحاسني ثلاث مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي» ع:٥، و«سيرة النبي» (قصيدة) ع:١٥، و«السيرة النبوية والملحمة الإسلامية»، ع:٦٣.

وفاته

■ توفي المحاسني الخميس ٢٣ مارس ١٩٧٢م، وهو لم يتجاوز الثالثة والستين من عمره، وقد رثاه الأدباء والشعراء ورجال العلم والفكر، وعبروا عن حزنهم لفقد علم من أعلام الأدب المعاصر في الوطن العربي. وتقديرا لفضله على الجيل كأديب ومرب، سميت الساحة المجاورة لجامع الإيمان في حي المزرعة بدمشق باسمه.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة الوعي الاسلامي.
- موقع «الموسوعة الدمشقية».
- موقع «الألوكة» (أحمد بن محمود الداهن)
- موقع «تراجم».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

«صاحب صوت «العلم والحياة»

زهير الكرمي

■ موسوعي في ثقافته، وذو اهتمامات متعددة وواسعة ومتشعبة، ويملك ثقافة جاوزت كل الحدود والمواقع فكان حائطا ثقافيا عربيا أحبه الأجنبي قبل العربي.

■ صاحب خلق رفيع وأدب جم، ويتمتع بشخصية مرموقة، متوقدة الذهن، تلمس فيها القيم العربية الأصيلة، وهو ذوعطاء متدفق بغية تعليم الأجيال وتنشئتهم وإفادتهم لبناء حياتهم المستقبلية وإثراء ثقافتهم وتميزهم في العلوم.

■ اهتم بتبسيط العلوم ونشرها وإنشاء مؤسسات تعليمية حديثة قادرة على النهوض بالوطن العربي، وارتكزت حياته المهنية على مسارين أساسيين، هما: تبسيط العلوم ونشرها لأوسع فئات المجتمع، والإيمان بضرورة بناء مؤسسات تعليمية وعلمية حديثة قادرة على النهوض بالواقع العربي.

■ أحد أبرز أعلام الفكر وأساطين العلم والثقافة العربية المعاصرة، الذين تركوا بصمات شاهدة على الجهود الضخمة التي تتردد على الألسنة وتحكي نماذج تحتذى وقدرات عز نظيرها وثروات علمية قل أن يجود الزمان بمثلها.

■ أحد أكبر خبراء التربية في العالم العربي الذين اعتمدتهم «اليونسكو» في عدد من برامجها، إذ تميز بفكر ناقد، وتفكير عميق، ورأي مستنير يبعث على التفكير.

■ متعة شائقة أن تستمع إليه وهو يوفر لك في برنامجه «العلم والحياة» معرفة واسعة بالحياة في خبايا المحيطات والبحار وقيعانها، وبالطيور في فضاءات وسماوات الدنيا، وبالحيوانات في الغابات والسهول والصحارى.. يشرح عن ذلك كله وغيره بنبرة الجليس والصديق، وفي صوته هدوء ولطف، فتتعلم وتبتهج، ثم تنتظر بشوق إطلالته المقبلة.

■ باكرا.. أدرك بفكره الباحث وحسه الإعلامي ودوره التربوي أهمية العلم في تغير المجتمعات وقدرته على تمكين أفرادها من مواجهة الظلم والاحتلال، ما دفعه إلى تأسيس «المعهد العربي» في أبوديس بالقرب من القدس سنة ١٩٥٧م، وإنشاء «كلية العلوم والتكنولوجيا» بجوار المعهد، حيث تولى إدارتها وساهم في تحويلها إلى «جامعة القدس» بعد دمج كليات إضافية ضمنها.. إنه العالم والباحث والكاتب والإعلامي الفلسطيني زهير الكرمي.

النشأة والتحصيل العلمي

■ من عائلة «الكرمي» المعروفة بمدينة طولكرم؛ والده هو الأديب محمود الكرمي، وأعمامه هم: الشاعر عبدالكريم الكرمي، والسياسي عبدالغني الكرمي، والأديب أحمد شاكر الكرمي، والعالم اللغوي حسن الكرمي. وجده هو العالم الوزير سعيد الكرمي. أما والد جده فهو الشيخ الفقيه علي بن منصور الكرمي.

■ ولد زهير محمود سعيد علي منصور الكرمي (صاحب كتاب «الطبيعة الإنسانية») في دمشق في (٧ ديسمبر ١٩٢١م)، إذ كان والده يعمل فيها مديرا لمدرسة الملك الظاهر، لكنه عاش طفولته في مدن: طولكرم والخليل والسلط الفلسطينية، وهو من عائلة «الكرمي» المعروفة بطولكرم؛ فوالده هو الأديب المربي محمود الكرمي.

■ تلقى الكرمي تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدارس فلسطين، حيث التحق عام: (١٩٣٦م) بالكلية العربية في القدس، وحصل على الثانوية العامة عام: (١٩٣٧م)، ثم سافر إلى بيروت والتحق بالجامعة الأميركية هناك.

■ وفي لبنان التحق بكلية الطب، غير أن اغتيال والده عام: (١٩٣٩م) دفعه لترك الطب ودراسة العلوم حتى يتسنى له إنهاء دراسته مبكرا لإعالة إخوته.. فحصل على درجة البكالوريوس في العلوم من الجامعة الأميركية عام: (١٩٤١م)، وعاد إلى طولكرم ليعمل معلما في المدرسة الفاضلية.

■ بعد ذلك انتقل الكرمي إلى مصر لدراسة المصطلحات العلمية العربية، ومن القاهرة توجه إلى لندن حيث حاز درجة الماجستير في علم الأحياء من «الكلية الإمبراطورية» بلندن عام: (١٩٤٨م،) وعقب عودته، شارك في تأسيس مستشفى الجهاد، كما عمل

مدرسا للغة الإنكليزية في «معهد خضوري الزراعي» في مدينته.

حياته العملية

■ عمل الكرمي في بداية حياته ١٩٤١م، معلما للعلوم في المدرسة الفاضلية بطولكرم حتى ١٩٤٥م، ثم أصبح رئيسا لقسم الامتحانات العامة في وزارة المعارف بالقدس، وبعد عودته عام: (١٩٤٨م) من لندن إلى طولكرم، شارك في تأسيس مستشفى الجهاد بالمدينة، كما عمل مدرسا للغة الإنجليزية في معهد خضوري بها.

■ في عام: (١٩٥١م) كلفته معارف الكويت بالعمل لديها معلما في مدارسها، وأصبح بعد ذلك مفتشا للعلوم هناك، ثم رئيسا لمفتشي العلوم في الوزارة، حيث أشرف على مناهج العلوم أكثر من مرة.. بعدها استقال من عمله في «تربية» الكويت ليتولى منصب المدير العام لإحدى المؤسسات الصناعية.

■ وفي أثناء وجوده في الكويت، ساهم الكرمي في الإذاعة والتلفزة الكويتية عبر تقديم البرامج العلمية، كما أسس المتحف العلمي الكويتي عام: (١٩٧٢م)، واعتبر أحد خبراء اليونسكو لهذا المتحف.

«المعهد العربي» بتمويل كويتي

■ في عام: (١٩٥٧م)، أسس الكرمي المعهد العربي في «أبو ديس» بجوار القدس بتمويل كويتي، وقد وضع حجره الأساس كل من الأمير الكويتي جابر الصباح والملك الأردني الحسين بن طلال، وعقب عودته من الكويت إلى فلسطين، قام الكرمي عام: (١٩٧٩م) بتأسيس «كلية العلوم والتكنولوجيا» بجانب المعهد العربي، وقد تولى إدارة الكلية.

■ وفي عام: (١٩٨٤م،) أسس الكرمي جامعة القدس؛ وذلك بعد أن حول كلية العلوم والتكنولوجيا إلى جامعة مع دمج كليات إضافية ضمنها، وقد تولى رئاسة الجامعة، وأسهم في تطويرها.

إرثه العلمي

■ للكرمي مؤلفات علمية مهمة، من أبرزها: «علم الحياة» (ثلاثة أجزاء)، «العلوم العامة» (تسعة أجزاء)، «الكويت والماء في القرن الحادي والعشرين»، «الكويت والصناعة في القرن الحادي والعشرين»، «الأطلس العلمي: عالم النبات»، «معالم صورة العالم في القرن الحادي والعشرين»، «العلم مشكلات الإنسان المعاصر» (من سلسلة عالم المعرفة)، «الأطلس العلمي: عالم الحيوان»، «الأطلس العلمي: فيزيولوجيا الإنسان»، «مرجع اليونسكو في تعليم الجغرافيا»، «الأطلس العلمي: فيزيولوجيا الإنسان» (الجزء الثاني)، «عود على بدء: قصة طويلة»، «الطبيعة الإنسانية»، «موسوعة الأطلس العلمية»، راجع الترجمة لكتاب «الكون والثقوب السوداء» لرؤوف وصفي (من سلسلة عالم المعرفة)، وراجع الترجمة لكتاب «ارتقاء الإنسان» لجاكوب برونوفسكي (من سلسلة عالم المعرفة)، وترجم كتاب «بنو الإنسان» لبيتر فارب.

أوسمة وتكريم

■ في (٣ سبتمبر ١٩٦٧م)، منح الملك الأردني الحسين بن طلال الكرمي وسام الاستقلال الأردني وذلك تقديرا لجهوده، وفي (٢٣ يناير ٢٠٠٣م)، حاز الكرمي جائزة «فيلادلفيا لأحسن كتاب لعام: ٢٠٠٢»، وذلك خلال حفل نظم خصيصا لذلك في المركز الثقافي الملكي في العاصمة الأردنية عمان بحضور عدد من الوزراء والشخصيات.

■ تقديرا لمجهودات الكرمي، أطلقت جامعة القدس اسمه على إحدى القاعات الكبيرة بها، وفي (٢٤ يوليو ٢٠١١م)، أطلقت وزارة الشباب والرياضة الفلسطينية «جائزة زهير الكرمي للإبداع العلمي» وذلك تكريما لإسهامات الكرمي العلمية.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الإعلامي الأديب المربي زهير الكرمي مساهمتان مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءتا تحت عناوني: «المسلم في القمر»، ع:٥٦، و«نقل مناسك الحج»، ع:٦٠.

وفاته

■ توفي الكرمي، رحمه الله، في العاصمة الأردنية عمان عام: (٢٠٠٩م)، عن عمر ناهز الـ(٨٧) عام، وأقام له اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين حفل تأبين في العاصمة عمان يليق بمسيرته العلمية والتعليمية والإعلامية ولدوره في إنشاء عدة مؤسسات أكاديمية فلسطينية.. وفي (٧ ديسمبر ٢٠٠٩م)، أبنت وزارة التربية والتعليم الكويتية الكرمي.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الاسلامي».
- موقع «عربي ٢١» (علي سعادة).
- موقع «العربي الجديد» (أحمد بن محمود الداهن)
- موقع «الدستور» (عمر أبو الهيجاء - الأردن).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

مكافح الشبهات والتبشير

الدكتور عبدالجليل شلبي

■ أزهرى من طراز رفيع، تميز بالحضور المجتمعي النشط، وهو نموذج رائع لرجل الدين المسلم فى سماحته وبساطته وتواضعه.

■ كاتب وفقيه ومرب ومعلم وصاحب قلم سيال.. اشتهر بردوده على أصحاب الشبهات على مدى ١٣ عاما عبر مقاله اليومي في جريدة الجمهورية المصرية بعنوان «قرآن وسنة» خلال ثمانينيات القرن العشرين.

■ بفضل إسهاماته الإعلامية عرفت كتاباته في الصحف وأحاديثه الإذاعية (التي تركزت على التصدي لمفتريات المستشرقين على الإسلام وقضايا الاستشراق والتنصير) على نطاق واسع.

■ كان ممن مثلوا مصر والأزهر في المجتمع البريطاني بنشاط وذكاء، ثم كان من الذين أداروا منظومة العمل في مجمع البحوث الإسلامية في بريطانيا (أعرق مركز إسلامي مصري في الخارج) بهمة واقتدار.

■ في حياته ملأ مجلة الأزهر والصحف والإذاعة بكلمات كان يحدث بها أو يسطرها لها جميعا من علم الله فيضا من هدى ورحمة ينزلها على قلوب قرائه ومستمعيه سكينة ورشادا.

■ وبغيابه افتقد فتاواه رجال ونساء، شيب وشباب، كانوا يحملون همومهم، ويجيئون بها إليه في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، فيحمل أثقالها من على ظهورهم ويخرجهم جميعا مستبشرين بفتوى مستقيمة على هدي من الكتاب والسنة.

■ اختير، ضمن كوكبة من العلماء، من شيخ الأزهر الشيخ عبدالحليم محمود للمشاركة في لجنة لوضع مشروع دستور إسلامي ليكون تحت طلب أي دولة تريد أن تأخذ الشريعة الإسلامية منهاجا لحياتها.. إنه الشيخ العلم العلامة الدكتور عبدالجليل عبده شلبي.

نشأته وتكوينه الفريد

■ في قرية غرب الوقف البحري بمركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ، ولد شلبي لأسرة علمية دينية في ٢ مايو ١٩١٥م.

■ توفي والده (الشيخ عبده شلبي)، الذي كان له مجلس يرتاده العلماء، وابنه في السادسة من عمره، فكفله أخوه الأكبر ورعاه ونمى فيه نبوغه، وألحقه بكتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، فأتم حفظ القرآن وتجويده وهو في الثانية عشرة من عمره.

■ بعدها دخل مدرسة رشيد الابتدائية التي كانت أقرب المدن من قريته، وبعد أن أتم تعليمه فيها التحق بالمعهد الأزهري في الإسكندرية بعد أن تقدم لمسابقة نجح فيها بتفوق فأدخلته اللجنة الصف الثاني مباشرة، وواصل دراسته حتى حصل على الثانوية الأزهرية.

■ بعد الثانوية تقدم شلبي لكلية اللغة العربية التي تناسب ميوله، حيث كان يقرض الشعر وينظمه ويلقي أشعاره في المناسبات، وفي الكلية ظهر نبوغه وتفوقه في موادها، لاسيما الأدب والبلاغة والنقد، وواصل دراسته حتى حصل على الشهادة «العالية» عام ١٩٤١م، ثم «العالمية» مع الإجازة في التدريس بعدها بعامين.

■ في فترة من الأربعينيات توقف العمل في الدراسات العليا بالأزهر، فلجأ شلبي للمدارس المدنية، حيث حصل على الابتدائية والثقافة (وهو مدرس)، والتحق بجامعة الإسكندرية (قسم اللغة العربية بكلية الآداب)، ثم فرع الخرطوم جامعة القاهرة حيث كان يعمل في السودان، ثم عاد للعمل في مصر، وأكمل تعليمه الجامعي، وحصل على الليسانس ثم الماجستير.

حياته العملية

■ في بداية حياته العملية، عين شلبي كاتبا في معهد الإسكندرية الديني في عهد الشيخ محمود أبو العيون، الذي تعهده لنبوغه وجودة خطه الذي كان يتميز به، ولما أقيمت مسابقة للتدريس تقدم لها فنجح فيها، وعُين في المعهد

نفسه مدرسا للبلاغة والأدب، فذلل الصعاب وسهل للطلاب علم البلاغة وقربه إليهم بأسلوبه الناضج المشوق في عرض المادة، ثم نقل إلى معهد قنا، ثم عاد مرة أخرى إلى معهد الإسكندرية، ثم سافر إلى السودان أستاذا للغة العربية في مدرسة الأحفاد الثانوية بأم درمان لمدة ثماني سنوات، ثم عاد للعمل في مصر وأكمل تعليمه الجامعي وحصل على الليسانس عام ١٩٥٨م ثم الماجستير.

دأبه في تحصيل العلم

■ كان شلبي طموحا لاستكمال دراساته العليا، لكنه فوجئ بتوقف التسجيل في الدراسات العليا بالأزهر في الوقت الذي تخرج فيه، ولم يجد أمامه بدا من أن يلجأ إلى طريق آخر، فرأى أن يبدأ الدراسة في التعليم المدني من بداية خطواته، فحصل على شهادتي الابتدائية والثانوية (بعد أن تخرج وتوظف)، والتحق بجامعة الإسكندرية (قسم اللغة العربية بكلية الآداب)، ثم انتقل إلى فرع الخرطوم من جامعة القاهرة حين عمل بالسودان، ثم عاد للعمل في مصر وأكمل تعليمه الجامعي، وحصل على درجة الليسانس، ثم على درجة الماجستير.

■ توج د.عبدالجليل شلبي هذا التعليم المتعدد الروافد بأن حصل على درجة الدكتوراه في المقارنة بين الأديان من جامعة لندن بعد أن التحق بإحدى كلياتها، ثم طلبت منه اللجنة رسالة باللغة العربية فحقق كتاب «معاني القرآن وإعرابه»، وهو ما هيأ له أن اختير إماما للمركز الإسلامي بها وظل يشغل هذا المنصب ١٣ عاما متتاليا.

مناصبه

■ عين شلبي أستاذا بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ثم أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أستاذا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

■ ولما عاد شلبي إلى مصر عين خبيرا فنيا في مجمع البحوث الإسلامية، ثم أمينا عاما مساعدا، ثم أصبح أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، فكان واحدا من سلسلة الأعلام الذين تعاقبوا على هذا المنصب، وبعد إحالته للتقاعد عين عضوا في لجنة الفتوى، كما اختير عميدا لمعهد إعداد الدعاة في مصر التابع لوزارة الأوقاف.

آثاره

■ لشلبي مؤلفات عديدة بلغت نحو اثنين وعشرين كتابا، بدأها بتأليف كتاب «عبارات السعد»، الذي ذلل من خلاله للطلبة الصعوبات التي يواجهونها في البلاغة، وأنهاها بكتاب «اليهود واليهودية».. غير أن غالبية مؤلفاته تركزت على مناقشة الأفكار الغربية المشوهة عن الإسلام، أو ما يطلق عليه «المفتريات على الإسلام»، كما أنه تصدى لقضايا الاستشراق والتنصير.

■ ومما خلفه من آثار: «رد مفتريات المبشرين على الإسلام»، و«رد مفتريات على الإسلام»، و«الإرساليات التبشيرية: نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات»، و«الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام»، و«معركة التبشير والإسلام: حركات التبشير والإسلام في آسيا وإفريقيا وأوروبا».

■ أما في الدعوة فله: «الخطابة وإعداد الخطيب»، و«عظماء قادة الأديان».. وفي الفقه: «في فقه العبادات»، و«مختصر أصول الفقه».. وفي البلاغة له: «عبارات السعد» وشرح وتحقيق «معاني القرآن الكريم وإعرابه».. وغيرها كثير، فضلا عن مئات المقالات والخطب والأحاديث الإذاعية.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للدكتور عبدالجليل شلبي مساهمتان مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءتا تحت عناوين: «أبو بكر وعمر» ع:٥، و«القرآن معجزة خالدة لرسالة خالدة» ع: ١١.

وفاته

■ بعد حياة طويلة استمرت ما يقرب من اثنين وثمانين عاما قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين في مصر والسودان، وإنجلترا، والسعودية، وقطر، والنيجر، انتقل شلبي إلى جوار ربه في شهر رمضان ١٤١٥هـ/ فبراير ١٩٩٥م.

المصادر

- كتاب «الكشاف» (مجلة «الوعي الاسلامي»).
- موقع «الجزيرة» (د. محمد الجوادي).
- موقع «المكتبة الشاملة».
- موقع «جامع الكتب الإسلامية».
- ويكي وحدات.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي

الشيخ الأستاذ سعد المرصفي

■ من أهل القرآن، فكان طبيعيا أن يكون ضمن اللجنة العلمية التي راجعت وأشرفت على طبع مصحف الملك فهد في السعودية.. كما أنه من أهل السنة؛ فهو صاحب سلسلة مباركة للدفاع عن الحديث الشريف، بدأها بإلقاء الضوء على الاستشراق والمستشرقين، وتحدث عن تعريف الاستشراق وتتبع نشأته ومراحله، مبينا أنها بدأت بمرحلة الطلائع، ثم مرحلة ما بعد سقوط غرناطة، ثم مرحلة ما بعد سقوط الخلافة..كما لم يترك خلال تلك السلسلة شبهات المستشرقين حول السنة وتدوينها، مبرزا جهالاتهم حول السند والمتن ومفندها.

■ لا يألف المتفرنجين، وصدره يضيق بالحديث عنهم، ورغم ذلك يقرأ ما يصل إليه من منتوجهم، يؤيد النافع من أقوالهم، بل يتبناه ويرويه.. وعلى الجانب الآخر، يألف أهل العلم والدين، يجلس حيث يجلسون، ويأكل معهم ما يأكلون.

■ صريح جدا، لا المداهنة يعرفها ولا المجاملة يجيدها، يؤيد ما هو حق ولا يكابر، يعمل مع كل من يعمل للإسلام، وفي القضايا الجزئية الخلافية يترفع، ويترك الأمر.. لكن إذا سأله أحد أجاب بما يعتقده حقا.. لذا كان متبوعا لا تابعا.

■ إذا تكلم حرك سواكن النفوس، وبعث الهمم في مستمعيه، ودفعهم نحو الخير حيثما وجد وكان، إذ حباه الله بذهن عجيب نفاذ يخترق كل معضلة علمية، ما جعله يترك وراءه مكتبة ثرة غنية، أغلبها ردّ فيها على المستشرقين والعلمانيين ردا علميا رصينا، فضلا عن العديد من الأبحاث الفكرية والسياسية عن أسطورة الوطن اليهودي.

■ هو أحد رواد الحركة الإسلامية الراشدة في مصر، الذين نهلوا من صنوف المعرفة والعلم حتى غدا فقيها متمكنا وبارزا بين علماء عصره، ما أهله للجلوس بين الناس بالعلم وأن يصبح أحد المشايخ الذين يلتف حولهم الطلاب.. إنه العالم العامل العلم المربي الداعية الشيخ سعد المرصفي، أستاذ الحديث وعلومه في جامعتي الأزهر والكويت.

النشأة والتعليم

■ على أرض مصر، وفي قرية المرصفى، التي ينسب إليها؛ تلك القرية التي أخرجت لمصر وللعالم عشرات من حملة ألوية الدين والعلم والعربية والأدب والفضل، التابعة لمركز بنها بمحافظة القليوبية، ولد الشيخ سعد محمد محمد في ٢٧ مارس ١٩٣٣م في بيت علم ودين، وقيل: إن أسرته تنسب إلى الإمام الحسين رضي الله عنه.. والمرء بعمله لا بنسبه.

■ وهو دون التاسعة حفظ المرصفي القرآن الكريم، وبعد أن أتم حفظه وتجويده التحق بمعهد القاهرة الديني في منتصف أربعينيات القرن الماضي، ثم درس في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، وحصل على الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في موضوع «النقد ومراحله في السُّنة»، ثم حصل على الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبعها على نفقة جامعة الأزهر وتداولها بين الجامعات في موضوع «السُّنة بين أنصارها وخصومها» عام ١٩٧٦م.

■ خلال فترات تحصيله العلمي، تأثر المرصفي بالعديد من العلماء والمصلحين، واقتفى أثرهم ونهل من علمهم، لكن بعضهم ترك كبير الأثر في حياته؛ منهم: الإمام أمين محمود خطاب السبكي (في معهد القاهرة الديني)، والدكتور محمد أبو شهبة (في كلية أصول الدين).

أكثر من ٤٠ عاما بالكويت

■ بدأ المرصفي حياته العملية في مصر خطيبا في بعض مساجدها (أحمد بن طولون والحسين)، وعضوا في المكتب الفني لنشر الدعوة الإسلامية، ثم مر الشيخ بمحنة شديدة، لكنه لم يلن أو يبدل، بل خرج منها أصلب عودا وأمضى عزما على الاستمرار في النهج الذي رآه خيرا وارتضاه لنفسه.

■ وكعادتها في التنقيب والبحث والتقصي عمن تراه إضافة لنهضتها ونهضة المسلمين، لم تتوان الكويت في اجتذاب المرصفي، فكان إحدى مناراتها.. وعلى أرضها التي هاجر إليها عام ١٩٧٣م، وعاش بها أكثر من أربعين عاما، بلغ المرصفي العالمية، وجمع خبراته الاستثنائية، فعمل المرصفي في العديد من المراكز، وأصبح عضوا في العديد من المحافل العلمية، منها:

■ (في الموسوعة الفقهية) اختير «عضوا» للجنة إعدادها، و«باحثا» فيها، و«عضو» لجنة المراجعة والإخراج بها... (وفي الهيئة الخيرية الإسلامية

العالمية) كان «عضوا مؤسسا» فيها، و«مستشارا» لها... (وفي المعهد الديني) اختير «عضو» لجنة تطوير مناهج العلوم الشرعية فيه، و«عضو» لجنة تقويم المناهج، و«عضو» لجنة التأليف، و«عضو» لجنة وضع المحتوى العلمي لمقرر الثقافة الإسلامية... (وفي الديوان الأميري) كان «مقررا» للجنة إعداد القانون الجنائي المقدَّم إلى اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

■ كما اختير «عضو» لجنة مشروع مدونة قانون العقوبات، و«عضو» اللجنة المشتركة من وزارتي الأوقاف والداخلية لتحديد الجهة المنوط بها مسؤولية دور العبادات لغير المسلمين... ولا ننسى أن الشيخ رحمه الله كان من أهل القرآن، وكان من اللجنة العلمية التي راجعت، وأشرفت على طبع مصحف الملك فهد في السعودية.

■ وفي جامعة الكويت اختير «عضوا» للمجلس العلمي الاستشاري لها.. (وفي كلية الحقوق) عمل «مدرسا» فيها، وكان «محكما» في بعض بحوث مجلتها، و«عضو» اللجنة المشتركة بينها وبين كلية التربية للنظر في المقررات الإلزامية والاختيارية لمدرسي التربية الإسلامية.

■ (وفي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية) كان «عضوا» في الهيئة التدريسية العليا، و«قائما» بأعمال عميد الكلية، و«أستاذ» الحديث وعلومه فيها، و«عضو» لجنة النظر في مناهج الحديث وعلومه، و«عضو» لجنة التعيين في قسم التفسير والحديث، و«عضو» لجنة الدراسات العليا وتطوير المناهج، و«عضو» اللجنة الثقافية، و«عضو» لجنة المكتبات، و«عضو» لجنة إبداء الرأي حول مقررات التربية الأساسية وأهداف كلية أصول الدين ومقررات قسم الحديث فيها، و«عضو» لجنة التعيين في قسم الفقه المقارن بها، و«عضو» لجنة الترقية في قسم التفسير والحديث، و«عضو» لجنة التعيين في قسم العقيدة والدعوة، و«عضو» لجنة الأبحاث، و«منسق» الأبحاث، و«عضو» دورة طرق العرض الفعال، و«عضو» مجلس إدارة مجلتها، و«عضو» هيئة تحريرها، و«محكما» في بعض بحوثها.

مشاركاته الإعلامية

■ لم ينسَ الشيخ عمله التربوي وسط الناس، فحرص على الخطابة في مساجد الكويت، يرسي في الناس قبسات من نور النبوة، فعمل خطيبا في مساجد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت منذ أن وطئت قدماه أرضها، كما كانت له دروس علمية مفيدة تحت عنوان «ملتقى الجمعة»، فضلا عن أنه كان يقدم برنامج «حديث الروح» في رمضان في «إذاعة الكويت»، هذا بخلاف عشرات الأحاديث الصوتية المسجلة والفيديوهات.

إرثه العلمي

■ كما ذكرنا آنفا، عاش الشيخ على أرض الكويت ما يزيد على أربعين عاما، ترك خلالها ما يزيد على ٢٠٠ مؤلف في الشريعة والسُّنة النبوية، ردّ فيها على المستشرقين ردا علميا رصينا، فضلا عن العديد من الأبحاث الفكرية والسياسية، التي أثرت جميعها المكتبة الكويتية خاصة والعربية والإسلامية عامة، نذكر منها: «المستشرقون والسُنّة»، و«الجامع الصحيح للسيرة النبوية»، و«الرسول ﷺ واليهود وجها لوجه» (١٠ أجزاء)، و«شبهات حول أحاديث الرجم وردها»، و«أحاديث حد السرقة في ضوء أصول التحديث دراية ورواية»، و«أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، و«الخطر اليهودي»، و«موسوعة الوسطية» (٢٣ جزءا).

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور الشيخ المربي سعد المرصفي مساهمات عدة مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين مختلفة، نذكر منها: «الأسرة الإنسانية بين البناء والفناء»(ع:٩٥)، و«معالم الطريق لإسعاد الإنسانية» (ع:١٠٤)، و«الأسرة في المنهج الرباني (٢-٢)» (ع:١٢١ و١٢٢)، و«يوصيكم الله في أولادكم» (ع:١٢٣)، و«الزواج عماد الأسرة» (ع:١٢٤)، و«المجتمع المثالي للأسرة الإنسانية» (ع:١٥١)، و«قسم وعهد (قصيدة)» (ع:١٦٥).

الوفاة

■ بعد رحلة طويلة عاشها بين العلم والعمل الخيري على أرض مصر والكويت، مخلفا أثرا طيبا في نفوس كل من عرفه أو تعامل معه، رحل عن عالمنا الأستاذ الدكتور سعد المرصفي، رحمه الله، عن عمر زاد على الخامسة والثمانين عاما، يوم الثلاثاء ١٧ يوليو ٢٠١٨م، الموافق ٤ ذي القعدة ١٤٣٩هـ، حيث دُفن بمقابر الصليبخات في الكويت.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الاسلامي».
- المكتبة الشاملة.
- مجلة المجتمع (عبده دسوقي).
- رابطة أدباء الشام (عمر العبسو).
- موقع رشف.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي

أول من أبعد عن وطنه بعد احتلال ٦٧

عبدالحميد السائح



■ جذوره تعود إلى إحدى عشائر الخليل التي ارتحلت إلى جبل نابلس، وعائلته تتحدر من ربع الجريرات السواركة أهل الطيبة والكرم والجود المتصفين بالتقوى والصلاح.

■ كان دائما في مقدمة علماء فلسطين الذين اعتقلهم الإنجليز في فترات مختلفة لدورهم في توعية الجماهير وتحريضهم على الجهاد ضد الإنجليز وعصابات اليهود المدعومة منهم.

■ اختير عضوا في أول مجلس وطني فلسطيني عقد في مدينة القدس، في أواخر مايو ١٩٦٤م، والذي انبثقت عنه منظمة التحرير الفلسطينية.

■ بعد هزيمة ١٩٦٧م، واحتلال اليهود لبيت المقدس والضفة الغربية وغزة، كان في مقدمة القيادات التي تصدَّت للاحتلال ومخططاته لتهويد بيت المقدس، وبلغ من شدَّة ضيق قوات الاحتلال به وبنشاطاته المقاومة لها أن قررت إبعاده إلى الضفة الشرقية، ليكون أول فلسطيني يبعد عن وطنه بعد احتلال ١٩٦٧م.

■ والده كان عضوا منتخبا عن نابلس في مجلس «المبعوثان العثماني» (البرلمان)، أطلق عليه عند ولادته اسم عبدالحميد تيمنا باسم السلطان عبدالحميد الثاني الذي سجلّ له التاريخ أنه رفض السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين.

■ أول من شغل وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن عند استحداثها لأول مرة بعد أن أصبحت وزارة مستقلة عن دائرة قاضي القضاة.

■ كان صاحب فكر ثاقب ومواقف مبدئية، حظي باحترام الأوساط الوطنية الفلسطينية والأردنية على السواء، كما اشتهر بلقب «الشيخ الأحمر» بسبب مواقفه التقدمية.. إنه الشيخ المناضل العلم عبدالحميد السائح.

النشأة والتكوين

■ ولد السائح في مدينة نابلس عام ١٩٠٧م، وبدأ دراسته وحفظه القرآن الكريم وتلاوته في سن مبكرة، وقد أتمَّ ختم القرآن الكريم عندما كان عمره ١١ عاما.

■ درس السائح جزءا من المرحلة الابتدائية في «مدرسة الخان» في نابلس، وتابع دراسته الثانوية، التي كانت مدتها ثلاث سنوات، في «المدرسة الرشادية الشرقية»، التي صارت تُعرف فيما بعد بـ«الصلاحية»، وفي الوقت نفسه كان يتابع دروس الشيخ سليمان الشرابي الذي وجَّهه فيما بعد للدراسة في الأزهر.

■ بعد أن أنهى السائح دراسته الثانوية، عمل بنصيحة شيخه فانتقل للدراسة في الأزهر ، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات، فدرس الفقه والعلوم الإسلامية وحصل عام ١٩٢٣م على شهادة «الأهلية»، ثم نال عام ١٩٢٥م شهادة «العالمية».

■ خلال دراسته في الأزهر، التحق بمدرسة القضاء الشرعي التابعة لوزارة المعارف المصرية، وحصل فيها عام ١٩٢٧م على شهادة التخصُّص في القضاء الشرعي.

■ بعدما حصل السائح على شهادة «العالمية» من الأزهر أوجد لنفسه حلقة علمية في الجامع الأزهر درّس فيها العلوم الفقهية واللغوية والعقائد والمنطق.

العودة إلى فلسطين

■ بعدما أكمل السائح دراسته في مصر، عاد إلى فلسطين ليؤدي رسالة الإصلاح الاجتماعي ويسهم في النشاط العام، فأعطى دروسا وحلقات علمية في عدة مساجد في فلسطين ونشر معالجات قيمة في الصحف والمجلات الفلسطينية، وخطب في المساجد والنوادي والجمعيات، وأسهم في الحركة الوطنية وتوجيهها، وتقدم بطلب تعيين إلى مدير المعارف في شرقي الأردن وعمل مدرسا للغة العربية والدين في ثانوية «إربد»، ثم انتقل للتدريس في فلسطين.

■ بعد ذلك بعام واحد استدعاه المجلس الإسلامي الأعلى ليعمل كاتبا في المحكمة الشرعية.. وفي الأول من يوليو ١٩٣٢م، عُيِّن السائح قاضيا شرعيا بالوكالة لمحكمة نابلس، وفي الأول من مايو ١٩٣٥م عُيِّن قاضيا بالأصالة لمحكمة نابلس الشرعية، ثمَّ عمل سكرتيرا للمجلس الإسلامي الأعلى، ولكنه عاد للعمل في القضاء، حيث تم تعيينه قاضيا شرعيا لمحكمة

القدس الشرعية.

كفاح وطني بارز

■ شارك السائح، بعد «انتفاضة البراق» في أغسطس ١٩٢٩م، في تأسيس جمعية سرّية في نابلس هدفها توعية الناس بمخاطر الأطماع الصهيونية في فلسطين وحضهم على النضال ضد الاستعمار البريطاني.

■ كما كان من أعضاء المؤتمر الذي عُقد في نابلس مطلع أغسطس ١٩٣١م للاحتجاج على تسليح اليهود، ولدى تأسيس «حزب الاستقلال العربي» صار من أنصاره ومن خطباء اجتماعاته، من دون أن ينضم إليه رسميا.. وفي أكتوبر ١٩٣٢م، شارك في تأسيس «جمعية الشبان المسلمين» في نابلس.

«إعمار المسجد الأقصى»

■ في يونيو ١٩٦٧م، وبعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية، ومن ضمنها القدس الشرقية، بادر السائح، بالتعاون مع بعض وجهاء القدس المحتلة، إلى تشكيل «الهيئة الإسلامية العليا في القدس» التي فوضته كي يمارس صلاحية قاضي القضاة في الضفة الغربية، كما فوّضته محكمة الاستئناف الشرعية في القدس بممارسة صلاحية مجلس الأوقاف ولجنة إعمار المسجد الأقصى.

■ ونتيجة لوقوفه في مقدمة المناهضين للاحتلال الإسرائيلي، وبدعوة المواطنين إلى مقاومته من خلال الخطب والدروس التي كان يلقيها في المسجد الأقصى، قررت سلطات الاحتلال، في سبتمبر ١٩٦٧م إبعاده إلى الأردن، فكان أول فلسطيني تبعده إسرائيل من الأراضي الفلسطينية التي احتلت في حرب يونيو.

اعتقال أعقبه نفي

■ بعد إعلان الإضراب العام في أبريل ١٩٣٦م، وتأليف اللجان القومية في المدن الفلسطينية، اختارت اللجنة القومية في نابلس السائح رئيسا للجنة التبرعات فيها.. وفي سبتمبر من العام التالي، اعتقلته السلطات البريطانية واحتجزته لتسعة أشهر في معتقل «مزرعة عكا»، وبعد إطلاق سراحه، نفته سلطات الانتداب إلى مدينة البيرة، حيث أمضى عاما كاملا.

المجلس الوطني الفلسطيني

■ انتخب السائح رئيسا للمجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة عشرة التي عقدت في عمّان نوفمبر ١٩٨٤م، واستمر رئيسا له حتى اعتزاله العمل السياسي واستقالته ١٩٩٣م، بسبب قرار منظمة التحرير الفلسطينية الدخول في عملية السلام مع الكيان الصهيوني، فعارض السائح هذا النهج وقدم استقالته من المجلس الوطني ومن رئاسته.

أوسمة وتكريمات

■ حصل السائح على «وسام النهضة من الدرجة الأولى» من الأردن في ١٩٦٧م، وعلى «وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة» في ١٩٦م، من المغرب.. وفي ٢٠١٣م، منحه رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية «وسام نجمة الشرف من الدرجة العليا».

■ اختاره الملك الأردني حسين من بين الأعضاء المؤسسين لـ«المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» (مؤسسة آل البيت) الذي أُعلن عن قيامه رسميا في عمّان ١٩٨٠م.

من آثاره

■ كما جاهد السائح الاحتلال ببدنه جاهده بقلمه ولسانه، فشارك في كثير من الندوات والفعاليات، وعني في كتاباته بإثارة اهتمام العرب والمسلمين بقضية وطنه، ونشر العديد من الكتب والمقالات، منها: «ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى»، و«أثر الإسلام في الحضارة الغربية»، و«الإسلام بين القديم والجديد»، و«واجب المسلمين نحو الاحتلال الصهيوني»، و«عدوان اليهود على المقدسات الدينية»، و«الفتاوى» (جزآن)، و«فلسطين.. لا صلاة تحت الحراب» (سيرة ذاتية).

إسهاماته مع «الوعي»

كان للشيخ عبدالحميد السائح ما يربو على ٢٥ مساهمة مع المجلة، نذكر منها: «حقوق الإنسان، ع:٤»، و«أحسن المذاهب، ع:٨»، و«لماذا هاجر الرسول وأصحابه، ع:١٣»، و«القوانين المدنية في البلاد العربية، ع:١٥»، و«الشورى في الإسلام، ع:٢٥»، و«فتنة لا يجوز إقرارها أو السكوت عليها، ع:٤٢»، و«الجزائر المسلمة، ع:٤٨»، و«القدس مركز المقدسات العالمية، ع:٥٥»، و«حطين أخرى في القرن العشرين، ع:٦٠»، و«الغزو الثقافي ضد المسلمين والعرب، ع:٢٢٩».

الوفاة

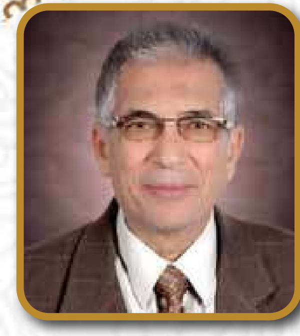
■ عاش السائح مناضلا وطنيا، وشارك في جميع مراحل النضال الفلسطيني، وكرس حياته من أجل نصرة الحق الفلسطيني، وحماية القدس الشريف من عبث المحتلين، توفي، رحمه الله، في عمان يناير ٢٠٠١م، ودفن في القدس بناء على وصيته.

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- موقع «دنيا الوطن» (أوس داود يعقوب).
- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية (إبراهيم الدقاق).
- القدس العربي.
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



صاحب الموسوعات

عبدالحليم عويس

■ أحد أبرز مفكري العصر الحديث، تعددت مجالات عطائه الفكرية والعلمية ووضع بصماته في مجالات عدة، فأثرى المكتبة الإسلامية (المسموعة والمقروءة والمرئية) بزاد زاخر من العلوم والمعارف التي تتلمذ عليها رواد الفكر والثقافة.. ولا يزالون.

■ إذا ذكر التاريخ الإسلامي، ذكر اسمه، فهو أحد أعلام رصده وتوثيقه وتنقيته.. ودوره الجهادي في إبراز ملامح الحضارة الإسلامية وتميزها، وإخلاص وإتقان أسفاره التاريخية، التي أماط فيها اللثام عن كثير من المطاعن وأزال بها الغبار والتزييف والتشويه الذي لحق بتاريخنا الإسلامي.. كل هذا وغيره لا تخطئه عين باحث.

■ باحث منصف، ومفكر ملم بالعلوم والفنون، فكتب في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، والفلسفة التاريخية، والفقه الإسلامي، وحقوق الإنسان، وحماية المرأة في الإسلام والاقتصاد الإسلامي.

■ له «ستون كتابا في التاريخ الإسلامي والفقه والسيرة والتراجم» ولو لم يكن له إلا كتاب «صفحات من جهود المسلمين في الحضارة الهندية» لكان كافيا لتقديره واحترامه.

■ ابن للمدرسة الوسطية الإسلامية، اجتهد في خدمة دينه وأمته، بالعمل الأكاديمي، والتدريس الجامعي، وتأليف الكتب والرسائل، وإلقاء المحاضرات.. إنه الدكتور عبدالحليم عويس.

النشأة والتعليم

■ ولد الشيخ الدكتور عبدالحليم عبدالفتاح محمد عويس في ١٢ يوليو ١٩٤٣م، في قرية «سند سيس» مركز المحلة الكبرى في محافظة الغربية (شمالي القاهرة)، وهي قرية تحمل خصائص الريف المصري بامتياز.

■ وفي كُتّاب قريته تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وأتم حفظ القرآن الكريم مع تجويده، وتخطى مراحل التعليم الأساسي حتى حصل على الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الديني.

■ بعد الثانوية قصد الشيخ العاصمة لاستكمال دراسته الجامعية، فالتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وحصل فيها على شهادة ليسانس الدراسات العربية والإسلامية (١٩٦٨م) بمرتبة الشرف الثانية.

■ وفي ١٩٧٧م، حصل على درجة الماجستير في الحضارة والتاريخ عن دراسته: «دولة بني حماد في الجزائر».. وبعدها بعام واحد (١٩٧٨م) حصل على درجة الدكتوراه عن أطروحته: «ابن حزم الأندلسي مؤرخا» بمرتبة الشرف.

حياته العملية

■ شغل عويس رئاسة تحرير مجلة «التبيان» المصرية، وكان عضو اتحاد الكتاب في مصر، وعضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب، وعضو المجالس القومية المتخصصة.

■ في ١٩٧١م، سافر إلى الكويت وعمل فيها باحثا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية حتى ١٩٧٥م.. بعدها سافر إلى السعودية ليعمل محاضرا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حتى ١٩٧٧م.

■ بعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى جامعة الإمام مرة أخرى وعمل بها لـ١٥ عاما متتالية، بدأها أستاذا مساعدا، ثم مشاركا، ثم أستاذا، وخلال هذه الفترة اتخذ مستشارا لرئيس الجامعة ومتعاونا في تسيير أعمال رابطة الجامعات الإسلامية.

■ أوفدته الجامعة نفسها أستاذا زائرا لعدد كبير من الجامعات في الهند، وباكستان، وماليزيا، والجزائر، وتونس، والسودان، وتركيا.. وغيرها.

■ كما درّس لأربع سنوات في معهد الدراسات الآسيوية بجامعة الزقازيق في مصر، وعمل نائبا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية بهولندا ومستشارا لرابطة الجامعات الإسلامية.

■ كان عضوا مؤسسا لـ«رابطة الأدب الإسلامي» (القاهرة)، وعضو مجلس أمناء «رابطة الأدب الإسلامي العالمية».. ورئس تحرير مجلة «كلية العلوم الاجتماعية» (جامعة الإمام)، ومجلة «التاريخ الإسلامي» في دلهي بالهند.

حراك علمي متقد

■ قام عويس بزيارات علمية وثقافية للولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا، وبلجيكا، وهولندا،

ودول الخليج.. كما حضر أكثر من مئة مؤتمر عالمي، ومؤتمرات أخرى إقليمية.

■ أشرف عويس على نحو ٢٠ رسالة ماجستير ودكتوراه خلال عمله في جامعة الإمام، وناقش أكثر من هذا العدد في جامعات سعودية أخرى، وناقش في مصر رسالة دكتوراه في جامعة عين شمس (كلية البنات) في فلسفة الحضارة، وأشرف على رسالة دكتوراه في كلية الآداب بجامعة الزقازيق (قسم التاريخ).

■ شارك في الإعداد لعدد من المؤتمرات والندوات من خلال رابطة الجامعات الإسلامية، بعضها في الخليج، وبعضها في مصر.. كما أسهم في الدعم العلمي والتربوي لإنشاء الجامعة الإسلامية بروتردام في هولندا، وأنشأ المكتبة العربية لها إذ كانت مكتبتها باللغات الأجنبية.

تكريمات

■ في ٢٠٠٩م، حاز عويس درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية بأميركا اللاتينية.. وفي ٢٠١١م، نال الوسام الذهبي للعلم والآداب والفنون من السودان، وهو أرفع وسام في السودان، ولا يعطى إلا للشخصيات التي أثرت الحضارة الإنسانية.

موسوعات

■ أنجز الكثير من الموسوعات العلمية؛ منها: موسوعة في الفقه الإسلامي، وتفسير القرآن للناشئين، كما أشرف وأسهم في كتابة موسوعات في التاريخ، وتاريخ الإدارة، والحضارة الإسلامية، وهو صاحب أكثر من مئة مرجع وكتاب وبحث علمي في التاريخ والحضارة والثقافة والعلوم الإسلامية، إضافة إلى مئات المقالات والبحوث المنشورة.

■ أشرف على عمل موسوعة في نحو ١٠ آلاف صفحة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأنجز أخرى في حدود ٨٠ صفحة للجامعة الأميركية المفتوحة، وأشرف (مع غيره) على «موسوعة الإدارة العربية الإسلامية» (٧ مجلدات).. كما أشرف على إنجاز معجم «مصطلحات علوم القرآن».

الديمقراطية في فكر عويس

■ الديمقراطية لديه وافدة من حضارة أخرى وظروف مختلفة، وتتجاوز في امتدادها الإشعاعي أمورا لا يقبلها الإسلام.. ويعتبرها عويس مفتاح كل شر إذا لم ترتبط بالدين؛ لأنها وقتئذ -برأيه- ستفرز مللا ونحلا بعيدة عن جوهر الإسلام وحقيقة الإيمان.

■ يعتبر الشورى أصل الديمقراطية، تحوي كل ما فيها من خير وفي الوقت نفسه تتجنب كل ما فيها من شرور أو ما يخالف الشرع.

مراجعات ومقدمات علمية

■ راجع عويس وقدم لبعض الكتابات المترجمة إلى العربية، ومنها: «بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي» و«سنن الله في الرقي والانحطاط» للمفكر الهندي: محمد تقي الأميني، «الدين في مواجهة العلم» و«رسالة برنامج جديد للعمل الإسلامي» و«قضية البعث الإسلامي» للمفكر الهندي وحيد الدين خان، تقديم علمي لكتاب «صيحة تحذير من دعاة التنصير» للشيخ محمد الغزالي.

مؤلفات وتحقيقات

■ للدكتور عويس مكتبة كبيرة تتجاوز الـ٧٠ مؤلفا لم يقف فيها عند حد تخصصه في التاريخ والحضارة، لكنه تبحر في العلوم الشرعية وكانت له إسهامات متميزة في التفسير أضاف فيها معاني راشدة عمّقت العلاقة في فهم النصوص، نذكر منها: «تفسير القرآن للناشئين» (٣٠ جزءا)، و«في ظلال الرسول ﷺ»، و«الإسلام كما أؤمن به»، و«فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية»، و«الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس».

■ بالإضافة إلى عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية ومئات المقالات في الصحف والمجلات العربية والإسلامية، فضلا عن تسجيله مئات الأحاديث بإذاعة القرآن الكريم بمصر وغيرها.

إسهاماته في «الوعي»

■ للدكتور عويس ١٧ مساهمة مع المجلة، نذكر منها: «القومية والغزو الفكري، ع:٤٤»، «مستقبل الإسلام، ع:٥٤»، «ابن باديس والإنسان العربي، ع:٦٧»، «الرسالة أول كتاب في علم الأصول»، ع:١٠٦، «مؤتمر القمة الإسلامي في لاهور»، ع:١١١، «مع الأمين العام لمنظمة العالم الإسلامي»، ع: ١١٤، «التعليم الإسلامي في الكويت»، ع:١١٥، «طبيعة منهج الإسلام لعلاج المسألة الاجتماعية»، ع:١٤٠، «الإسلام والأنظمة المعاصرة»، ع:١٦٦، «الدم الإسلامي أرخص الدماء في الأرض»، ع:١٦٩ .

الوفاة

■ توفي العالم المصري الجليل والمؤرخ والمفكر الإسلامي الكبير الدكتور عبدالحليم عويس يوم الجمعة ٩ ديسمبر ٢٠١١م، عن عمر يناهز ٦٨ عاما بعد مرض ألم به، ووري جثمانه الثرى في قريته عقب صلاة عصر السبت.

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- موقع «جريدة الجزيرة».
- موقع «الرابطة المحمدية للعلماء».
- موقع «الألوكة».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

هشام الصباغ
باحث لغوي



الداعية المهاجر

عبدالبديع صقر

■ عالم، داعية، مرب، محب لإخوانه، بار بهم... يحمل الدعوة فكرة في رأسه، وعقيدة في قلبه، وسلوكا في حياته.

■ عاش للإسلام، فسكن قلوب المسلمين، وتجرد لله فأحبه الناس من أعماق قلوبهم، وعمل لله ولمصلحة المسلمين وخدمة الدين الحنيف، فبارك الله عمله وأتت أعماله الصالحة أكلها ضعفين.

■ هو عنوان للصفاء؛ مظهرا ومخبرا، سريع التأثر بالخير، مبادر إلى فعل المكرمات، وفي بالوعد، صدوق في القول، باذل لما في يده مع زهد وورع وحسن عبادة، ندي في تلاوة القرآن، رجاع للحق من غير مكابرة، أمين تقي ناصح لنفسه كما لغيره.

■ نشأته الريفية غلبت عليه ولم تفارقه طيلة حياته، فشب شديد التواضع لا يحب التكلف؛ لا بالقول ولا بالعمل، ميال إلى الصراحة والنصح بكلمة الحق دونما تهيب أو وجل، مغلفا كل ذلك بأدب الإسلام في بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

■ وكان -رحمه الله- داعية موفقا يحسن التودد إلى المدعو.. وبأسلوب حكيم وعبارات رقيقة وطريقته المقنعة، يصل إلى قلب من يحدثه وعقله.

■ عندما يحاورك يورد بعض النكات والطرائف حتى يزيل الوحشة، ويتدرج معك إلى أن يأخذ بمجامع مسامعك ويشدك إليه، فلا تملك إلا أن تتقبل نصيحته وتوجيهه، ثم يجعلك تشاركه هموم المسلمين فسرعان ما تبدي استعدادك للسير معه في طريق الدعوة إلى الله.. إنه الأستاذ الشيخ عبدالبديع صقر.

النشأة والتكوين

■ لعائلة عربية معروفة (كان جده إبراهيم أفندي صقر لواء في جيش محمد علي باشا)، ولد الشيخ أبو إبراهيم عبدالبديع السيد صقر أواخر الحرب العالمية الأولى، وتحديدا أول يناير ١٩١٥م، في عزبة صقر (قرية بني عياض) التابعة لبلدة كفر صقر التابعة بدورها لمركز أبو كبير في محافظة الشرقية بمصر، وكان متأثرا بوالده ورجال قريته من الفلاحين الذين عركتهم التجارب.

■ والده ألحقه بالمدارس الحكومية الأولية حتى حصل على «البكالوريا» عام ١٩٣٥م.. بعدها قصد سوق العمل، لكن شهادته لم تشفع له أن يحصل على وظيفة في مركز بلدته، فاضطر أن يشتغل عاملا بأحد المحال التجارية إلى أن قرر الانتقال إلى القاهرة ليستكمل دراسته، فالتحق بجامعة الملك فؤاد الأول وتخرج في كلية الآداب.

الخليج مستهل حياته العملية

■ لوحة صقر العملية الكبيرة رسمت في الخليج، وآثاره كانت واضحة جلية في تلك المنطقة عامة، وفي قطر على وجه الخصوص منذ أن قدم إليها من مصر عام ١٩٥٤م، إذ عمل فيها مديرا لمعارفها، ثم مديرا لدار كتبها، ثم مستشارا ثقافيا لحاكمها.

■ وعن تلك الفترة الممتلئة بالنشاط الدعوي والتربوي، يروي بداية تفاصيلها الشيخ محمد بن علي المحمود فيقول: «كانت وزارة معارف قطر محدودة في تلك الفترة، وكان المسؤول عنها الشيخ قاسم درويش فخرو، رحمه الله، وأرادت قطر مديرا لمعارفها، فطلب فخرو من الأستاذ محب الدين الخطيب ترشيح شاب نابه، يقوم بتوجيه المعارف في قطر وإدارتها.

■ بدأ الخطيب البحث عن مدير لمعارف قطر، فاتصل بوكيل الحكومة السعودية في القاهرة الذي كان معنيا بالتعاقد مع المدرسين للسعودية، وتشاورا ووقع نظرهما على صقر، وما أن تم اختياره حتى بعثا به إلى قطر وبيده رسالة من الخطيب إلى فخرو يقول فيها: «إن هذا الأستاذ (يعني صقر) رجل فاضل ومرب، وهو الذي يصلح لقطر ونفضله على غيره».

■ وصل صقر قطر، وتسلم الإدارة في المدرسة الابتدائية على أن يتولى بعد ذلك وظيفة مدير التربية والتعليم، ويسعى إلى فتح المدارس في القرى وينظمها تنظيما حديثا. وفعلا بذل

صقر جهدا كبيرا وجال من قرية إلى قرية ومن بر إلى بر، وببركة جهوده وجهود إخوانه انتشرت المدارس في قطر، وشاعت الثقافة وتطورت بشكل ملحوظ».

■ لم يقصر صقر تركيزه في قطر على النهوض بالتربية والتعليم فقط، لكنه بذل قصارى جهده لنشر التراث الإسلامي وأمهات الكتب الفقهية وغيرها، فكان يشير على حاكم قطر السابق علي بن عبدالله آل ثاني، ثم من بعده ابنه أحمد، بطباعة تلك الكتب القيمة التي عز وجودها بين أيدي الناس فيستجيب الحاكم لطباعتها على نفقته حسبة لله تعالى.

.. وفي الإمارات

■ وبحكم صلة صقر الجيدة بحكام قطر، أصبحت له علاقات قوية وحسنة بحكام الإمارات، التي عمل فيها لفترة زمنية طويلة بدعوة من حاكم دبي الشيخ راشد المكتوم وحاكم الشارقة.

■ ومن إيمانه الراسخ بأن الدعوة إلى الله يجب أن تبدأ مع الأطفال حتى ينشأوا تنشئة دينية في محاضن إسلامية تحت إشراف مخلصين، عرض مشروع إنشاء «روضات إسلامية» على حكام الإمارات عام ١٩٦٩م فرحبوا بالفكرة.

■ ورغم ضعف إمكانات صقر المادية فإنها لم تقف حجر عثرة أمام مشروعه الطموح وقال: «إن ما لا يدرك كله لا يترك جله»؛ فاستأجر بناء في عجمان وأنشأ فيه روضة صغيرة من صف وحضانة واحدة، وبعدد مقاعد لم يتجاوز العشرة.. ثم أتبع ذلك بإنشاء روضة أطفال أخرى في دبي، ثم ثالثة في الشارقة، حتى وصل إلى أبو ظبي والعين ورأس الخيمة.

«الدعوة» لدى صقر

■ يرى أن بذل الجهد واستفراغ الوسع في دعوة الفرد والمجتمع إسلاميا، رغم الحظر والتحدي السافر والعقبات والعراقيل، «أشبه ما تكون بقطرة الماء التي تسيل أبدا من منبعها، فهي لا بد ملاقية أرضا صالحة ومنبتة نباتا صالحا، وماذا يمنع القطرة -في هدوئها واستمرارها وإصرارها على أن تغادر منبعها- من أن تمضي في طريقها وتجرف بنفس الهدوء والإصرار والثبات أعتى العقبات وأشد الحواجز؟».

.. و«التربية» لديه

■ والتربية لدى صقر «يجب أن تتبع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتستعين بسير الصحابة والتابعين، وتستهدي بالقدوة المعصوم، وسير المجددين من أئمة الهدى على مر التاريخ الإسلامي كله، وتتخذ من أولئك الرجال الذين بايعوا على العمل للإسلام في ظل أركان البيعة المحفوظة لديهم، المحفورة في نفوسهم وسلوكهم: فهما وإخلاصا وعملا وتضحية وجهادا وطاعة وثباتا وتجردا وأخوة وثقة.

■ وأن تتخذ من أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى في هذه الدعوة نحبه، ومنهم من لا يزال فيها ينتظر وما بدلوا تبديلا».

مؤلفاته

■ ترك الأستاذ الداعية عبدالبديع صقر عدة مؤلفات نذكر منها: «الأخلاق للبنات»! و«التجويد»، و«علوم القرآن»، و«رحلة الحج»، و«الوصايا الخالدة»، و«شاعرات العرب»، و«مختارات الحسن والصحيح من الحديث الشريف»، و«رسالة الإيمان»، و«نقد البردة»، و«نساء فاضلات»، و«التربية الأساسية للفرد المسلم»، و«حديث إلى دعاة الإسلام».

وفاته

■ عاش صقر لدينه، وفيا أصدق الوفاء للدعوة التي خالطت بشاشة قلبه، ومنحها كل نشاطه، ولحق بركب الشهداء وهو في طريقه إلى بيته بعد محاضرة أدى فيها واجب الدعوة التي كانت أحب الأعمال إليه، مساء السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٠٧هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٨٦م.

«المجتمع» الكويتية في نعيه

■ بعد وفاة صقر كتبت مجلة المجتمع عنه: «نرى لزاما علينا أن نؤدي الشهادة فيما تيقناه عنه بعد خبرة وتجربة، فقد عرفنا فيه نزاهة اليد والتعفف عن جر المنفعة لنفسه أو أخذ شيء مما كان يوكل إليه إنفاقه، بل زهد في الأموال فعوضه الله بالحلال الطيب، ونشهد أنه طالما أنفق من ماله الخاص -على قلته- كلما رأى حاجة للإنفاق في موطن شحت عن البذل فيه أيدي الأغنياء».

مساهمته مع «الوعي»

■ كانت للأستاذ الشيخ المربي عبدالبديع صقر مشاركة واحدة مع المجلة جاءت تحت عنوان: «حبل المسد» (قصيدة)، ع:٧٩.

المصادر

- كتاب الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي، ج١.
- موقع «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين».
- رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



الدكتور الفيلسوف

سليمان دنيا

■ توسل في حياته نهجا قل نظيره؛ علما وعملا، وأفنى عمره حارسا لثغرات عظيمة في مجتمعه، مرشدا إياه بحكمة ونظر بعيد إلى رؤية حضارية واسعة وآفاق إيمانية مؤثرة ولحمة جامعة.

■ منفتح على الأفكار المعاصرة التي لا تصطدم بعقيدة الإسلام ولا بنصوص الكتاب وصحيح السنة، مع الالتزام الواضح بأخلاق الإسلام وسلوكياته، وواجب المسلم نحو عقيدته ومجتمعه وعدم التفريط بمقتضيات الإخوة الإسلامية والتكافل الاجتماعي.

■ رائد لإسـ م يتفاعل مع المكان والزمان، إسلام يعطي بثقة ما عنده في الدين والسياسة والفكر والمجتمع، إسـ لا يستسلم انبهارا بما عند الآخرين، أو يتوارى منهم خوفا وانغلاقا وارتدادا.. إنه الشيخ الدكتور الفيلسوف المفكر الإسلامي سليمان دنيا.

المولد والنشأة والتعليم

■ في ١٨ فبراير من عام ١٩١٠م، وفي قرية «سدود» التابعة لمركز منوف بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية، ولد سليمان سيد أحمد دنيا.

■ التحق بكتاب القرية في سن صغيرة فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ القرآن الكريم، بعدها التحق بالأزهر الشريف، حتى تخرج في كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر.

■ في عام ١٩٣٨م، حصل على الشهادة العالية، ثم واصل دراساته العليا وحصل على الشهادة العالية من درجة أستاذ عام ١٩٤٥م.

■ بعدها بخمس سنوات (١٩٥٠م) سافر إلى إنجلترا مبعوثا من الأزهر لدراسة الفلسفة، ثم عاد إلى مصر.

حياته العملية

■ بعد عودته من إنجلترا، انتدب للعمل بالمؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وعمل مدرسا بكلية أصول الدين، وتدرج في سلك التدريس إلى أن صار أستاذا ورئيسا لقسم العقيدة والفلسفة ووكيلا لكلية أصول الدين.

■ في الستينيات والسبعينيات أعير للتدريس في العديد من جامعات الدول العربية.. كما عمل لبضع سنوات مديرا للمركز الإسلامي في نيويورك.

إنتاجه العلمي

■ انقسمت مؤلفات دنيا العلمية إلى قسمين: كتب حققها، وأخرى ألفها.. وكانت شهرته في التحقيق أكثر منها في التأليف، ومن أشهر تحقيقاته «تهافت الفلاسفة» للغزالي، «تهافت التهافت» لابن رشد، «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا، «حاشية الشيخ محمد عبده على العقائد العضدية».

■ أما أشهر مؤلفاته وأهمها فهي: «الحقيقة في نظر الغزالي»، «التفكير الفلسفي الإسلامي»، «بين الشيعة وأهل السنة» و«مراجعات في الفكر والثقافة».

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للأستاذ الدكتور الفيلسوف سليمان دنيا ٣ مشاركات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «حول مقال الأحكام الإسلامية» (ع:٦٦)، «الإفتاء والقضاء» (ع:١١٣)، «حول غناء المرأة» (ع:١٣٨).

وفاته

■ توفي الدكتور سليمان -رحمه الله تعالى- عام ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ بالقاهرة، بعد أن أثرى الثقافة الإسلامية بفكره المستنير وآرائه المعتدلة.

المصادر

- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- عدة مواقع إلكترونية مصرية.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



علم الصحافة والدعوة

زيد بن فياض

■ لم تشغله الدنيا وكان حريصا على الدعوة إلى الله، وهداية الناس إلى دين الله القويم، متواضعا جم الأدب، رحيما مع الآخرين، يتعامل معهم بعطف ومحبة.

■ أحد أعلام الصحافة والكلمة في مرحلة ما قبل المؤسسات الصحفية إبان صحافة الأفراد، كانت له جولات في ميدان الحرف وصولات في صفحات الصحف السيارة والشهرية، لا تمر مناسبة وقضية لها علاقة بالوطن أو العالم العربي والإسلامي إلا وكتب وشارك فيها.

■ اشتهر بعنايته بقضايا العقيدة، إذا تكلم نفع، وإذا تحدث أجاد، وإذا نصح أصلح، وإذا وعظ أبلغ.. لا يبالي -في الحق- من أصاب بلسانه أو قلمه، ولا يخاف لومة لائم ولا نقمة ظالم، لذا فقد ابتلي وأوذي بسبب بعض كتاباته برده على أهل الباطل، وفضح المنافقين والكافرين.

■ من نوادر عصره؛ صلاحا وإصلاحا وخلقا كريما ومعشرا وأناقة ولباقة وحديثا وسلامة طوية، كما كان فخرا لشيوخه وأساتذته قبل أن يكون فخرا لمريديه وطلابه وعارفي فضله.

■ كان المترجم محبا للأدب ويكتب القصة ويقرض الشعر وله قصائد عدة.. كما أنه من أبرز أساتذة الإعلام الذين شاركوا مشاركة فعالة في توطيد دعائم الصرح الثقافي الإسلامي وفي ربط الأمة بعضها ببعض بمؤلفاته ومقالاته ومواعظه.

■ رشحه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز لرئاسة تحرير مجلة البحوث الإسلامية، وأخبره برغبته في الانتقال من الجامعة إلى دار الإفتاء، إلا أنه فضل الاستمرار في الجامعة؛ حبا في التدريس، ورغبة فيه.. إنه الشيخ الأستاذ الأديب زيد بن فياض.

مولده ودراسته

■ ولد الشيخ في روضة سدير عام ١٣٥٠هـ، وبعد سن التمييز دخل كتّابها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ودرس القرآن على يد خاله الشيخ عبدالله فوزان القديري، فحفظه وهو ابن عشر سنين، ثم أعاد تسميعه وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

■ وفي عام ١٣٦٢هـ، أرسله والده إلى الرياض لطلب العلم، فالتحق بمدرسة تحفيظ القرآن لدى علي بن عبدالله بن شاكر، ومحمد بن أحمد بن سنان، فقرأه بطريقة مجودة.

■ وفي الرياض درس الشيخ على عدد من العلماء، منهم: سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ، وأخوه الشيخ عبداللطيف، والشيخ سعود بن رشود، والشيخ إبراهيم بن سليمان، والشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

■ وقرأ الشيخ «ثلاثة الأصول» في التوحيد و«الآجرومية» في النحو و«الرحبية» في الفرائض على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم..وقرأ «التوحيد» و«العقيدة الواسطية» و«أصول الأحكام» على الشيخ محمد بن إبراهيم.. وقرأ «قطر الندى» وبعض «ألفية ابن مالك» و«شرح ابن عقيل» على الشيخ إبراهيم ابن سليمان.

■ في عام ١٣٧١هـ، افتتح المعهد العلمي، وأجري امتحان لراغبي الالتحاق به فتفوق فيه، وفي عام ١٣٧٢هـ تخرج من القسم الثانوي بالمعهد، وكان ترتيبه الأول.. وفي عام ١٣٧٦هـ تخرج في كلية العلوم الشرعية (الشريعة حاليا) بالرياض، وكان ترتيبه الأول أيضا.

أشياخه

■ في المعهد والكلية درس على عدد من العلماء، منهم: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان)، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد، والأساتذة: يوسف عمر، وعبداللطيف سرحان، ويوسف الضبع، وعبدالرازق عفيفي، ومحمد عبدالرحيم (الخمسة من مصر).. وغيرهم.

تلاميذه

■ للشيخ تلاميذ كثر، من أبرزهم: سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالله آل الشيخ (مفتي عام المملكة)، ومعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي (الرئيس العام لرابطة العالم الإسلامي)، والدكتور محمد العجلان (عضو مجلس الشورى، ومدير جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية سابقا)، والشيخ

عمر بن سليمان الأشقر، والدكتور صالح السدلان (الأستاذ بكلية الشريعة، وعضو هيئة كبار العلماء)، والشيخ فالح ابن مهدي (صاحب كتاب «التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية»)، ومعالي الشيخ محمد المهوس (رئيس هيئة التحقيق والادعاء العام)، والشيخ الدكتور سعود الشريم (إمام الحرم المكي).

الأعمال التي تولاها

■ تولى الشيخ بعض الوظائف بعد تخرجه في كلية الشريعة، حيث عمل عضوا في دار الإفتاء بترشيح من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان سماحته يعتمد في الفتيا على خمسة من أبرز طلابه، أحدهم الشيخ.

■ ثم عمل في التدريس، حيث انتقل إلى المعهد العلمي وكلية الشريعة، ثم عضوا في رئاسة القضاء.. وفي هذه الأثناء تولى رئاسة تحرير مجلة «اليمامة»، وقد عمل مديرا لدار الكتب الوطنية، ثم موجها للتربية الإسلامية بوزارة المعارف، ثم طُلب للتدريس في كلية أصول الدين بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وكان يدرّس أيضا في كلية الشريعة ومركز الطالبات، وأشرف خلال تلك الفترة على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

محفوظاته

■ كان الشيخ يحفظ القرآن عن ظهر قلب، كما يحفظ عددا من الكتب والرسائل والمنظومات، منها: «ثلاثة الأصول»، و«شروط الصلاة»، وكتاب «التوحيد»، و«العقيدة الواسطية»، و«زاد المستقنع»، و«ألفية ابن مالك»، و«قطر الندى»، و«الرحبية»، و«الآجرومية»، و«أصول الأحكام»، و«نواقض الإسلام»، و«الورقات».. عدا المحفوظات من الشعر لشعراء جاهليين وإسلاميين.

الشيخ والصحافة

■ اهتمامه بالصحافة بدأ منذ التحاقه بالمعهد العلمي، حيث كتب في الصحف مقالات متنوعة، تحمل طابع الغيرة الدينية، والإصلاح للمجتمع، وكان يكتب تحت اسم «أبو مقبل» في بداية حياته، ثم كتب باسمه الصريح سنوات طويلة، ثم رجع في فترة محدودة، ولأسباب معينة للكتابة بالكنية «أبو خالد».

مجلة اليمامة

■ طلب الملك سعود من الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم أن يختار من يراه مناسبا لرئاسة تحرير مجلة اليمامة، فرشح الشيخ زيدا وانتقل إليه امتيازها.

■ كان يكتب فيها مقالات تتميز بالقدرة والجرأة، وكان يكتب افتتاحياتها طيلة مدة رئاسة تحريرها، وتميزت «اليمامة» في تلك الفترة بالاهتمام بقضايا المسلمين في كل مكان.

■ يقول الشيخ زيد: «توليت رئاسة تحرير صحيفة اليمامة، وبعد سنة من انتقالها إلي حولتها إلى صحيفة نصف أسبوعية، وقد حرصت على توجيهها توجيها إسلاميا يهتم بقضايا المسلمين وأحوالهم، وكنت أكتب الافتتاحية، وأعالج في كل عدد الموضوع الذي أرى منه خدمة الإسلام والمسلمين (...) وبقيت رئيسا لتحريرها إلى أن صدر نظام المؤسسات الصحفية، فتحولت الصحيفة إلى مؤسسة اليمامة الصحفية».

مؤلفاته

■ عنايته بحفظ المتون العلمية، جعلت للشيخ نشاطا طيبا في التأليف والبحث العلمي فكان من مؤلفاته: «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية»، و«نظرات في الشريعة»، و«واجب المسلمين في نشر الإسلام»، و«من كل صوب»، و«الوحدة الإسلامية»، و«قضية فلسطين»، و«حكم الله أولى»، و«صور من الجهاد»، و«في سبيل الإسلام»، و«الدين والعلم»، و«بحوث ومناقشات»، و«فصول في الدين والأدب والاجتماع».

■ وللشيخ كتب لم تطبع في حياته، وقد وفق الله -تعالى- لطبعها، وبعضها تحت الطبع، ومنها: «تاريخ الوليد بن عبدالملك»، و«حقيقة الدروز»، و«كشف الحجاب، نقد لكتاب الرسول القائد»، و«دفاع عن معاوية»، و«إقليم سدير في التاريخ»، و«قاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي»، و«العلم والعلماء»، و«نصائح العلماء للسلاطين والأمراء»، و«رسالة في أصول الفقه» (مفقود)، و«أعلام بني تميم»، و«اليهود وفلسطين» (مفقود)، و«المنتخب من المقالات»، و«اليهود والحركات السرية»، و«الرافضة»، و«الخميني».

وفاته

■ توفى الله الشيخ بعد حياة حافلة بالعلم والدعوة والجهاد، والتعليم والتأليف، ومواجهة التيارات المنحرفة، والأفكار الهدامة، ليلة الثلاثاء ١٤١٦/١١/٢١هـ، ودفن من الغد، وشيع جنازته وصلى عليه جمع غفير، حيث اكتظت أرجاء المسجد، وكان الزحام شديدا، وقد صلى عليه جماعة من العلماء وطلبة العلم، وأم الناس في الصلاة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان «التراث الحافل»، ع٢٣.

المصادر:

■ كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
■ موقع «جريدة الرياض» (صلاح الزامل).
■ موقع جريدة «الجزيرة» (أ.د.عثمان ابن صالح العامر).
■ موقع الألوكة.
■ الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي



أستاذ التاريخ والنظم الإسلامية

محمد ضياء الدين

■ فضح مزاعم التنوير المريب وفضح أمره واتجاهاته.. وهو أحد هؤلاء الذين يعظمون دور الإسلام وحضارته، ويرون فيه «دينا ودولة».

■ ملأ الأرض علما وأثرى المكتبة العربية بعشرات المؤلفات والأبحاث.. كتبه الرائدة للبحث العلمي لم يزل الناس يقبلون عليها ويودون أن تطبع مرات ومرات.

■ في كتاباته مزج بين نظرة فلسفية وتحقيق تاريخي، كما وصفتها بنت الشاطئ، التي تؤكد «إذا كانت الدراسات الجامعية تقاس بسلامة منهجها ومدى جدواها على العلم وإفادتها إياه فائدة محققة، فإن كتاباته جديرة بأخذ هذه المكانة بين هذه الدراسات».

■ منهجه في التدريس يجمع بين حرارة الإيمان، والتوهج العقلي، والانتظام الفكري، والقدرة الفائقة على التصدي لمفتريات أعداء الإسلام وأكاذيبهم، ومن ساروا على درب المستشرقين والمبشرين والصليبيين بحجة التجديد الديني والفكري.

■ من أبرز أساتذة التاريخ الإسلامي.. كان إذا جلس على منصة التدريس في المدرج الكبير يجذب قلوب طلابه وعقولهم بصوته الهادئ، ونبرته العميقة.. إنه أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة الأستاذ الدكتور المفكر محمد ضياء الدين الريس.

نشأته وتعليمه.. وحياته العملية

■ الريس ابن لمحافظة الدقهلية المصرية، حيث ولد في المطرية (أحد مراكزها) في ١٧ يناير ١٩١٢م، وكعادة طلاب هذا العصر، التحق بكتاب منطقته فتعلم فيه الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب، وحفظ القرآن الكريم كاملا، ثم التحق بكلية دار العلوم التي قال عنها الإمام محمد عبده «تموت اللغة العربية في كل مكان وتحيا في دار العلوم».

■ درس في «دار العلوم» علوم العربية والشريعة والحضارة والتاريخ الإسلامي والفلسفة بمنهج عميق وأصيل، ثم حصل على دبلوم دار العلوم العليا ١٩٣٥م وكان ترتيبه الأول، مما حدا باختياره ضمن بعثة دار العلوم لدراسة التاريخ بإنجلترا ١٩٣٨م.

■ نجح في امتحان جامعة لندن الخاص ١٩٣٩م، كما نجح في امتحان شهادة الأدب المتوسط في التاريخ والأدب الإنجليزي والترجمة والفلسفة الأدبية ١٩٤١م، ونال شهادة البكالوريوس مع مرتبة الشرف من جامعة لندن في التاريخ والعلوم السياسية، وأذنت له الجامعة بالتقدم للدكتوراه مباشرة.

■ أتم رسالته للدكتوراه ١٩٤٥م، وكان موضوعها «فكرة الدولة كما تصورها النظريات السياسية الإسلامية».. وخلال إقامته في لندن لم يتأثر بأطروحات المستشرقين وسموم بعضهم التي كانوا يفرضونها على الطلاب العرب المسلمين، وتمسك بالمنهج الإسلامي الأصيل وانتصر له.

■ عاد إلى مصر وعين مدرسا للتاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم، وتدرج في المناصب والدرجات العلمية حتى حصل على الأستاذية وعين رئيسا لقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم.

إرثه العلمي

■ أثرى الريس المكتبة العربية والإسلامية بالعشرات من الكتب والأبحاث الفريدة في مجالها، ومن أبرز كتبه: «كتاب النظريات الإسلامية»، و«عبدالملك بن مروان موحد الدول العربية»، و«في التاريخ الإسلامي الحديث»، و«الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية»، و«الإسلام والخلافة في العصر الحديث»، و«الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ١٩٣٥م»، و«ثلاث شعراء مصريون».. وغيرها كثير.

إيداع «الريس» معتقل الطور

■ من طرائف ما لاقاه الريس، أنه في أواخر أربعينيات القرن الماضي، وتحديدا في عهد الوزارة السعدية، قبض عليه خطأ بسبب ورقة وجدت في جيب قاتل النقراشي باشا (رئيس الوزراء وقتذاك)، مكتوب فيها كلمة واحدة هي «ضياء»، فألقت السلطات القبض على كل من يحمل ذاك الاسم، وكان من ضمنهم وأودع معتقل الطور.

«النظريات السياسية الإسلامية»

■ جاء كتابه «النظريات السياسية الإسلامية» فريدا في بابه، فقد قدم بحثا جديدا أظهر جانبا من جوانب التفكير الإسلامي كان يُظن أنه غير موجود على النحو الذي عرف في العصر الحديث وأن علم النظريات السياسية قاصر فقط على الثقافة الأوروبية أو ما تفرع منها.

■ الكتاب أثبت أن المسلمين كان لهم تفكير عميق في السياسة وأن الفكر الإسلامي أنتج نظريات علمية، بعضها لم يتوصل إليه الأوروبيون إلا حديثا.

■ الكتاب رائد في مجاله، وكان ولم يزل موضع اهتمام الباحثين ورجال العلم والسياسة، وقد أصبح منذ صدوره مرجعا أساسيا في الجامعات يدرس في كليات القانون والحقوق والشريعة والتاريخ.

■ الكتاب -بعد صدوره- كان باعثا ليتبنى فكرته سياسيون ومفكرون، كما وصاحبه اتجاه محمود لبعث نهضة إسلامية وإحياء الروح الإسلامية، وسعي لإعادة بناء النظم والتشريعات على الأسس الإسلامية.

■ الكتاب جاء ردا على علي عبدالرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» وما صاحبه من تأييد بالباطل له من أحزاب لا تمثل الأغلبية في الشارع الإسلامي ومن نخبة تعادي ثقافة الشعوب التي تجذرت قرابة ١٤٠٠ عام وانتصرت لثقافة الغرب الذي قصد سلخ الأمة من هويتها وموروثاتها الحضارية

نقضه «الإسلام وأصول الحكم»

■ وهو الذي جعل الأستاذ علي عبدالرازق يتنازل عن رأيه في الخلافة الإسلامية، ومن هنا عدل عن إعادة طبع كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، بل تراجع عن أفكاره في حوار مع المفكر الكبير الأستاذ أحمد أمين في مجلة «رسالة الإسلام» بالعددين الثاني والثالث من السنة الثالثة إبريل - يوليو ١٩٥١.

■ يطول بنا المسار لو قدمنا كل الحجج التي فند بها مفتريات وأكاذيب «الإسلام وأصول الحكم»، لكن نكتفي ببعض الأدلة التي يرجح الريس بنهايتها أن يكون الكتاب من تأليف الشيخ علي عبدالرازق، منها:

■ لم يعرف عن الشيخ قط أنه كان باحثا، أو مفكرا سياسيا، أو حتى مشتغلا بالسياسة.. ولا يعقل أن يقصد قاض شرعي مسلم من عائلة محافظة الهجوم على الإسلام وإنكار ما فيه من سياسة وحكم وجهاد وقضاء، أو الدفاع عن المرتدين، وانتقاد أبي بكر.

■ لا يعقل أن يكون الشيخ قد تعلم في الأزهر ما يورده في كتابه من أحاديث عن قيصر وعيسى ومتى والإصحاح والإنجيل.. أو أن يتكلم عن المسلمين بضمير الغائب؛ كقوله: ذلك الزعم بين المسلمين... غير مألوف في لغة المسلمين... الخلافة في لسان المسلمين... الخ.

أكاذيب اليهود حول أرض الميعاد

■ منذ نكبة ١٩٤٨م، ظهرت العديد من الدراسات التي تفند أكاذيب اليهود حول وعد الله بأرض الميعاد (فلسطين) وشاركهم الريس بدراسة متعمقة بعنوان «الأرض الموعودة خرافة الصهيونية.. دراسة علمية في تاريخ اليهود وتوراتهم» نشرت في مجلة «الوعي الإسلامي» عدد ٤٥ بالسنة الرابعة، رجع فيها إلى أصول كتابهم وبين ما به من تناقضات وحجج واهية لا ترقى لمرتبة الدليل.

■ بين الريس أن الحقيقة التاريخية الأولى والثابتة من «العهد القديم» وأيضا كل المصادر الأخرى، أن فلسطين، وهي أرض كنعان، كانت ملكا لشعب كنعان ووطنه ومقامه، وأن الجماعة العبرية، كانت طارئة غريبة على هذه البلاد، أجنبية عنها؛ لأن إبراهيم جد هذه العشيرة البدوية فيما يزعمون، أصله من «أور» في بلاد الكلدانيين جنوب العراق، وحين جاء إلى أرض كنعان عبر بنفسه (كما ورد العهد القديم)- بأنه «غريب» و«نزيل في أرض غربة». ولما أراد ابنه إسحاق أن يتزوج وأيضا حفيده يعقوب (إسرائيل)، عاد كلاهما إلى قومهما في العراق وتزوجا هناك في «فدان إرم»، ونص هذا الكتاب على أن جميع أبناء يعقوب (بني إسرائيل) ولدوا في تلك الجهة خارج فلسطين .

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للأستاذ الدكتور المفكر محمد ضياء الدين الريس ثلاث مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «إسرائيل جريمة الاستعمار»، ع:٤١، و«دراسة علمية في تاريخ اليهود وتوراتهم»، ع:٤٤، و«الأرض الموعودة خرافة الصهيونية»، ع:٤٥.

وفاته

■ بعد رحلة طويلة مع العلم والتعليم قضاها بين الدرس والتأليف توفي الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس يوم ٢٦ أبريل ١٩٧٧م، وقد نعاه تلامذته ورفقاؤه وشيعوه إلى مثواه الأخير.

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- مقالان للدكتور جابر قميحة والأستاذ أبوالحسن الجمّال.
- موقع «رابطة أدباء الشام».

هشام الصباغ
باحث لغوي

شاعر طيبة ومادح المختار

الصابوني



■ من أبرز شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.. في شعره تجد من العذوبة؛ ما تجده من حرارة العاطفة وصدق التوجه، ما يجعله شعرا سائغا قريب التناول سهل الفهم.

■ رقيق الحاشية طيب النفس متواضع كريم مبسوط البر موطأ الأكناف جياش العاطفة أوتي من سيلولة الشعر وسيرورته، فجرت قصائده على ألسنة المنشدين والكبار والصغار.

■ الشعر طوع لديه، ينساب من بين شفتيه بعفوية ويسر.. لا يتكلفه.. إنما يأتيه عفو البديهة والخاطر .. ودواوينه تعج بنزعة إسلامية خالصة، فألفاظه وتراكيبه وأفكاره وصوره، تتحلى بروح دينية شفافة، وتتأثر ببلاغة القرآن الكريم.

■ في شعره سلاسة، يتدفق كأنه يغرفه من بحر، لاسيما حين يدخل بحر هيامه في مديح المصطفى ﷺ.. دون أن يغفل عن التطرق لهموم المسلمين وقضاياهم الكبرى، لاسيما في فلسطين وفي الشام، مقارعا به الباغين والطغاة.

■ صاحب كلمة مؤثرة، يعشق العربية، التي لم يكن يدرسها لطلابه فحسب، لكنه كان يعلمهم معها حب الخير والدعوة إليه وحب الحبيب محمد ﷺ وحسن التأسي به واتباع هديه.. إنه الأستاذ المربي الداعية الشاعر الفاضل محمد ضياء الدين بن محمد جميل الصابوني.

المولد والدراسة والتكوين

■ في عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ولد محمد الصابوني في حلب لأسرة عريقة مسلمة محافظة عرفت باستقامتها ودينها والتزامها وأدبها؛ فوالده الشيخ محمد جميل الصابوني وشقيقاه محمد وعبدالرحمن كانوا من مشاهير علماء حلب الذين اختصوا في التفسير والفقه.

■ في الكُتّاب، تعلم الصابوني القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وحفظ القرآن الكريم؛ ثم انتسب إلى التعليم النظامي في مدارس حلب، فنال الابتدائية، والإعدادية، والثانوية.

■ بعد حصوله على الثانوية، التحق الصابوني بالجامعة السورية، التي حصل منها على شهادة الليسانس في الأدب العربي من كلية آدابها عام ١٩٥٢م.. وبعدها بعام واحد (١٩٥٣م) حصل على شهادة دبلوم التربية وشهادة أصول التدريس.

حياته العملية

■ بعد إجازته من الجامعة، عين الصابوني مدرسا في محافظة السويداء؛ فانطلق يدعو إلى الله هناك؛ ثم نقل إلى حلب (مسقط رأسه) فذاع صيته بين طلاب ثانويتها ومعاهدها الشرعية، وأصبح من الأساتذة القلائل اللامعين والمعروفين، وتسابق طلبة العلم على حضور دروسه والاستماع إلى محاضراته.

■ بعد فترة من العمل في حقل التعليم والدعوة في سورية، أعير الصابوني إلى المملكة العربية السعودية للعمل موجها تربويا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

■ بعد فترة من العمل في المدينة، انتقل الصابوني إلى مكة المكرمة ليواصل عمله في التدريس، لكن هذه المرة كان في المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة.

■ وفي أثناء فترة عمل الصابوني بالمملكة، صار عضوا في نادي المدينة الأدبي ونادي مكة الأدبي ورابطة الأدب الإسلامي العالمية.

■ كان للصابوني عدة نشاطات أدبية ودعوية، حيث شارك في عدة مؤتمرات ومهرجانات وأمسيات شعرية في سورية، والسعودية، والكويت، ولبنان، ومصر، وتركيا، وبنغلادش، وليبيا.. كما كانت له مشاركات شبه دائمة في الاثنينية التي كان يديرها الشيخ عبدالمقصود خوجة.

مؤلفاته

■ ترك الصابوني العديد من الكتب والأبحاث، منها: من دواوينه الشعرية: «من نفحات الحرم»، و«من نفحات طيبة»

و«تحية رمضان»، و«نفحات القرآن»، و«رباعيات من طيبة»، و«في رحاب رمضان»، و«نشيد الإيمان».

■ ومن كتبه: «الموجز في القواعد والإعراب»، و«الموجز في البلاغة والعروض»، و«شخصية الصديق كما يصوره ابن المقفع»، و«نفحات من الأدب الإسلامي: دراسات تنظيرية وتطبيقية»، و«المدائح النبوية»، و«صور من القرآن»، و«التربية النبوية»، و«هذب لغتك»، و«تصويبات لأخطاء لغوية شائعة»، و«فن الخطابة»، و«أصول الدعوة»، و«حاضر العالم الإسلامي»، و«أفراح الزفاف الإسلامي»، و«مختارات ضياء»، و«نفحات حب وخلجات قلب».

شيوخ الصابوني وأساتذته

■ تعلم الصابوني على يد والده محمد جميل أولا، ثم أخذ العلم عن: محمد نجيب سراج الدين، والشيخ أحمد عز الدين البيانوني، والشيخ أحمد الإدلبي، والشيخ المحدث عبدالفتاح أبو غدة، والشيخ الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ العلامة محمد الحامد، والشيخ المعمر أحمد القلاش، والشيخ المجاهد محمد نمر الخطيب، والشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني.

طيبة

■ لكثرة ما يهجس الصابوني في شعره بجلال المدينة، وتغنيه بفضائلها، وكثرة قصائد مدحه لساكنها (سيد العالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم)، أُطلق عليه لقب «شاعر طيبة».

■ كان الصابوني يستعذب هذا اللقب، ويحب أن ينادى به، ويصر على أن يتصدر صفحات دواوينه ومؤلفاته، ويشبه نفسه بحسان بن ثابت ﵁، فإذا كان حسان شاعر الرسول ﷺ فيما مضى فهو شاعره في حاضره، يقول:

هذا الرسول فكن في الشعر حسانا
وصغ من المدح في ذكراه ألحانا

■ كان الصابوني يطوف ما شاء الله له أن يطوف، ولا يزيده تطوافه إلا حنينا لطيبة، وشوقا إلى ربوعها، فيقول:

شوقي لطيبة دائب يتجدد
والحب لا يفنى ولا يتبدد
أنا ما سمعت بذكرها إلا هفا
قلبي، ونيران الجوى تتوقد

■ حمل الصابوني لقب «شاعر طيبة» لكثرة ما أحبها وذكرها في شعره، ويكشف المتيم بالمدينة سر حبه لها وحنينه دائما للمقام فيها فيقول:

بطيبة طاب لي المقام
وكم قبلي من العشاق هاموا
وما لي لا تطيب النفس فيها
وكل الزائرين بها كرام
ألا يا جيرة الهادي سلاما
لكم عهد المودة والذمام

■ وفي تصويره لأنوار المدينة يقول الصابوني:

قلب المتيم هائم بهواها
هي طيبة عم الوجود سناها
زرها وقبل تربة قد مسها
قدم الحبيب من الجنان براها
كم ذا يكابد من يفارق مرغما
ويحب من أجل الحبيب ثراها

مساهماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ الأستاذ الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني خمس مشاركات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: و«من وحي الإسراء والمعراج» (قصيدة)، ع:٧، و«من وحي الحج» (قصيدة)، ع:٢٤، «ذكرى بدر» (قصيدة)، ع:٣٣، و«بشراك يا دنيا» (قصيدة)، ع:١٣٥، و«إطلالة الربيع» (قصيدة)، ع:٢١٩.

الوفاة

■ في مكة المكرمة، وبعد صلاة جمعة الحادي والعشرين من رجب ١٤٣٤هـ الموافق الثلاثين من مايو ٢٠١٣م، لبى الأستاذ الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني نداء ربه بعد حياة حافلة بالدعوة والإرشاد والعلم والتعليم والعمل، وصلي عليه في المسجد الحرام عقب صلاة العشاء من اليوم نفسه، ودفن في مقبرة «المعلاة» بمكة المكرمة.

المصادر

- كتاب الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي.
- موقع «تراجم».
- موقع «رابطة العلماء السوريين» (يحيى بشير).
- موقع «رابطة أدباء الشام» (عمر العبسو).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).